

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار تأليف العالم العلامة والحبر الفهامة
الولي الصالح والقطب الواضح الشيخ محمد بن أحمد بن الناصر المعروف أبو راس
المعسكري رحمه الله آمين.

الحمد لله الذي لا يزال على تواريخ الدهور ملكه لا يزول ولا لمشيئته اضمحلال
ولا عدول، وعزه دائم وأحوال ما سواه تحول واليه وان طال المد الرجوع وبين يديه
المثول الذي جعل الدنيا جسداً عليه للآخرة الوصول ومتاعها قصره ابتلاء يعقبه
النكر أو القبول.

وبعد لما طلب مني ممن له رغبة بهذا الشأن وبما ثبت أن علم التاريخ والنسب
هو علم لا ينفع وجهالة لا تضر وبعد، فقد ضعفه الجرجاني وابن حزم وابن عبد البر
النمري وقد قال صلى الله عليه وسلم تعلموا من أنسابهم ما تصلوا به أرحامكم إلخ.

تنبيه: القصص والأنساب لا يدخله نسخ وكذا اللغة العربية فإذا صح عندنا في
قصص أو نسب أو نحوه فإنه يعمل به فيما اقتضى العمل به قال كاتبه أن أخبار
الأوائل ومعرفة أجناس الناس والقبائل من لهم ما يعتني ويدخر ولا يقال: الأصل في
الأخبار أن تؤخر لأن في القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد ومن القصص ما يذهل الأبواب ويخجل عنه البحر
العباب وقد قال العلماء: القصص طلب منا لقوله تعالى "أو لم يسيروا في الأرض إلى
من قبلهم" وقال "نحن نقص عليك أحسن القصص" وقال "إن هذا لهو القصص
الحق" وقال "منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك" وقال تعالى "لقد
كان في قصصهم عبرة لأولي الأبواب" إلى غير ذلك فعلم التاريخ من هذا مطلوب كما
طلب علم النسب بمعرفته، ألا ترى قوله تعالى "ومن ذريته داود وسليمان" إلى قوله
"يونس ولوطا" وقوله "إن الله اصطفى آدم ونوحا" إلى قوله "ذرية بعضها من
بعض" وقال أيضاً "ومريم ابنت عمران" إلى غير ذلك ابتدأناه من حيث أخذ في
التوطيد للشروع في المقصود لفقد أوله. قال وقد اعتنى به يعني علم التاريخ أهل

كل طبقة وجهابذة كل ملة من صلحاء¹⁰⁶ السلف وحذاق الخلف في كل عصر عصابة هم أهل الإصابة فألفوا وأفادوا وصنفوا وأجادوا وأبلغوا من المقاصد قاصيتها وملكوها من المحاسن ناصيتها جزاهم الله رضوانه وأحلهم من رياض الفردوس ميطانه وكان أعلم الناس به في الإسلام بعد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، أبو بكر الصديق وابن عباس وجبير بن مطعم وعقيل بن أبي طالب رضي الله عنهم ومن التابعين الزهري وابن سيرين وأمثالهم وفيمن بعدهم الأصمعي وابن عبيدة والرقاشي والشيباني وأمثالهم واشتهر بتدوينه كثير من العلماء الجماهير والأولياء الأكابر كالحافظ أبو نعيم¹⁰⁷ صاحب حلية الأولياء وهو أحمد ابن عبد الله بن اسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني من أكابر الحفاظ والمحدثين وله كتاب تاريخ أصبهان ذكر فيه أن جده مهران هو أول من أسلم منهم وهو مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه توفي سنة 430 وإصبهان بكسر الهمزة من مدن الجبال وألف فيه أيضا الخطيب الحافظ أحمد بن ثابت وكنيته أبو بكر نسبة بغدادي كان من العلماء المتبحرين ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه فإنه يدل على اطلاع عظيم وله قريب من مائة مصنف وفضله أشهر من أن يوصف توفي سنة 463 والعجب أن في وقته حافظ المشرق وابن عبد البر النمرى حافظ المغرب وماتا في عام واحد وكذا ألف فيه البلاذري وذكر فيه أن أرمينية نسبة لملك بها اسمه أرميناقيش وملكتها بعده امرأة "قالا" وبننت بها مدينة فسمتها "قالى" فلذا يقال لها الآن قالى قالا وألف فيه أيضا شهير الدين بن عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالذهبي التركماني الدمشقي وتاريخه فيه عشرة أجزاء كبار رتبته على السنين من أول الهجرة فجعل كل عشرة من السنين طبقة إلى المائة السابعة. فإن وفاته كانت سنة 748 بعد شيخه ابن المجاج بكسر الميم بست سنين وهو كتاب حافل لم يدع شاذة ولا فاذة مما تتشوق النفوس إليه من علم التاريخ والإتقان كأنه جمع الأمة في صعيد واحد ثم صار يخبر عنها أخباراً مَنْ حَضَرَهَا ومن التركمان الحافظ مغلطي أيضا وتركمان نسبة إلى جبل من الترك تسموا به لأنه آمن منهم مائة ألف في شهر واحد فقالوا اتركوا الإيمان¹⁰⁸ ثم خففت فقيل تركمان والذهبي هذا هو القائل بأن المهدي هو عمر بن عبد العزيز ولم يسلموا له في ذلك لأدلة كثيرة عارضته. وألف في علم التاريخ المسعودي كتابا كبيرا اسمه مروج الذهب وألف فيه أيضا ابن الخطيب السلماني

106 نسخة أ: طلبية

107 نسخة أ: ابن نعيم

108 نسخة أ: أترك إيمان

والشيخ أحمد¹⁰⁹ وابن خلدون والسيوطي ممن لا يحصى بعد ولا يدخل تحت حصر ولا حد وألف فيه قبل الإسلام داهر الفرسى وبلوقى ويوسف بن كريون من بنى إسرائيل وهرشيوش الرومى ومن ألف فيه من البربر سابق بن سليمان المطماطى نسبة لمطماطة بن تمصيت بن ضريس بن زجيك بن مادغس بن بربر هذا وإنى قد خضت فى هذا الفن قديما وضعت به أديما لم أزل فى خدمته مستديما حتى كثرت عندي رقاؤه وامتلأت بقاعه وصارت نفسى تحدثنى بالتدوين والانخراط فى سلك المؤلفين وهونت على شينا أمراً وأنا فى كل ذلك أقدم رجلا و أؤخر الأخرى وأين لى بذلك وبضاعتي فى هذا العلم نزر منزور والمشتبه بما لم يعط كلابس ثوب زور مع ما كان يعوقني من ذلك ويمنعني فى الخوض فيما هنالك. أنى فى زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره ومراسمه وعفت أطلاله ومعالمه لا سيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب قد طرحت فى زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان وأشرفت شمسها على الأفول واستوطن فحولها زوايا الخمول يتلهفون عن اندراس العلم والفضائل ويتأسفون من انعكاس أحوال الأذكياء والأفاضل وإلى الله المشتكى من دهر إذا ساء أصر على إساءته وإن أحسن ندم عليه من تعاسته وأدامت بذلك حيرتي واتصل إحجامي ووقفتي حتى سطعت لى أنوار الهداية فتحركت العزائم وتجددت العناية بسبب ما أنعم الله به على المسلمين عامة وعلى أهل الغرب خاصة بفتح وهران بانجلاء أهل التثليث والأوثان على يد من استظل الآنام بظل العدل والإحسان واتبعوا فى رياض الأمن والأمان المنصور بعناية الملك الديان الباي سيدي محمد بن عثمان ملك تفرد بغاية المحاسن والمآثر وجمع اشتها الفاضل والمفاخر نشأ من المملكة فى حجرها ودب و دج من وكرها ورضع بأريق ضرعها لا زالت أقطار الأرض مشرقة بأنوار معدلته وأغصان الخيرات مورقة بسحاب رافته فهو الذى صرف عنان العناية نحو حماية الإسلام وتشديد بنيان الهداية فلا يخاف بعده إنهدام وأمطر على العالمين سحاب الأفضال والأنعام حتى أقامت فى الرقاب له أيادي هي كالأطواق والناس كالحمام وكشفت عن ساق الجد والاجتهاد وشمرت ذيل إزار الثوانى تشمير جاد بأن أنشدت قصيدة فى ذلك على حرف السين فجاءت كعين الإنسان أو إنسان العين محتوية على اختبارات لا تمل تملأ المسامع والأفواه والمقل وترصيع يزين الزواهر ويخل بمحاسن عقود الجواهر وإنما اختلستها فرصا مع ما أتجرع من الزمان غصصا من أمور شاقة عائقة وأحوال عن مثل هذا متضائقة وعدة من عواد وإشغال أحاطت بى عن يمين

¹⁰⁹ نسخة أ أحمد ماكولا

وشمال لا سيما زمننا كثرت فيه عوارض الطوارئ وانتشرت فيه رقباء العوائق وبعد، ما قضيت منها وطري وأجلت في مستودعات أسرارها أقدام نظري ونمقت وزنها من بحر الكامل ذهبت بها إلى حضرة الملك الأفضل الفاضل قرأ بعضها ومدح لفظها ومعناها وأمرني بشرح يظهر لباب تراكييها الصافية ويعذب مجاري أساليبيها الصافية ليفوح معناها من زهر تلك الخصائل وإن أخطاه صوب الغوث الهواطل فحصل من معانيها لبابها وكشف عن الحقائق حجابها فتصان على الخطب أوراق عليها اشتملت وترتفع عن السقوط لقيح أشجار بها احتملت فجاءت رائحة للأعين والجنان حائزة قصب السبق في هذا الميدان لما فيه من أسرار تنبئ عن عظيم شأنها ومساعدة بيان ما انطوت عليه من لفظها فحلت محل القيادة¹¹⁰ من الأجياد والعزة من الجياد جارية على حسب ما يقتضيه المقام من المفاكهات أو ما يدل على أسلوب البلغاء في بعض المطارحات على السنة المعهودة بين البلغاء والأدباء والطريقة المسلوكة بين الشعراء والخطباء ولم أذكر ذلك إشاعة للمفاخر بل إذاعة لقول الشاعر: "كم ترك الأول للآخر" وتحديثاً بنعم الله الذي ألهمني لإبراز الدقائق واللطائف ووفقني إلى سبيل الرشاد وجنبني مهواة المتالف. وأعلم أن امتياز النسب أندرس في هذا الزمان فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع فيه اختلاف كثير في الأمة الواحدة لاختلاط الأنساب وتباين الدعاوى فلذلك أنكر مالك معرفة الرجل بنسبه إلى آدم فقيل له فإلى إسماعيل فقال من يخبره به وعلى هذا درج علماء السلف وكان بعضهم إذا تلا قوله تعالى "والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله" قال كذب النسابون. و بما في الأثر كذب النسابون فوق عدنان و بما ثبت أن علم التاريخ و النسب هو علم لا ينفع و جهالة لا تضر و ذهب كثير كابن اسحاق و الطبري و البخارى إلى جواز الرجح في الأنساب ولم يكرهوه، و تدعو الحاجة إليه للتعصيب في الأثر و النكاح و العائلة و العلم بنسب رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنه من فروض الإيمان و لا يعذر الجاهل به و كذا الخلافة عند من يشترط النسب فيها، قال ابن خلدون في حديث كذب النسابون إلخ أنكر السهيلي عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن عدنان بن آد بن أذاد بن يزيد إلخ و حديث العلم لا ينفع فقد ضعفه الجرجاني وابن حزم وابن عبد البر النمرى.

تنبيه: القصص و الأنساب أمر لا يدخله نسخ و كذا اللغة و العربية. فإذا صحَّ عندنا نقل في قصص أو نسب أو نحوه فإنه يعمل به فيما يقتضى العمل به فيه. وأكثر النسابون على أن إدريس ليس بجد لنوح خلافا لابن إسحاق وزعم الحكماء

¹¹⁰ نسخة أ: فحلت محل القلادة من الأجياد

أن إدريس هو هرمس الحكيم المشهور وقد يترجح صحة هذا النسب من التوراة لأنه وقعت العناية فيه بنسب موسى وإسرائيل ونسب ما بينهما وبين آدم ويؤيده ما في صحيح البخاري في حديث الإسراء من قول نبي الله إدريس لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما مرَّ به وسأل عنه جبريل فقال هو محمد صلى الله عليه وسلم مرحبا بالنبي الصالح ولم يقل والابن الصالح والأخ الصالح كقول نوح عليه السلام وإبراهيم تأمل وما يقال من أن علماء اليهود بدلوا مواضع من التوراة بحسب أغراضهم في دنياهم فقد قال البخاري في صحيحه عن ابن عباس أن ذلك بعيد وقال معاذ الله أن تبدل أمة كتاب نبيها وإنما بدلوه وحرفوه بالتأويل ويشهد له وعندهم التوراة فيها حكم الله وما في القرآن في من أن ذكر التحريف إنما المراد به التأويل ولذا لما وضع ابن سوريا القرصي أصبعه على آية الرجم في قراءته لذلك المحل من التوراة وأراد خفاءها قال له عبد الله بن سلام ارفع إصبعك وقرأها عبد الله فبهت ابن سوريا وكان من دارسي التوراة اللهم إلا أن يقع ذلك على سبيل الغفلة أو بسبب ذهاب ملكهم وافتراق جماعتهم وعدم ضابط في وقعة طيطش ومع ذلك إنه مستحيل بعد انتشارها ولا مانع من قراءتها ووقع في الأحاديث النقل عنها وقد ارتضى هذا تنميمة وفي شرح التجاني للشفاء إذا أفاد النظر فيها مقصدا فلا يبعد الاستقلال به وقال ابن أبي حمزة في الجزء الأول معرفة الشرائع المتقدمة من المحمود شرعا وإن لم يكن فيها حكم لنا مع أنه قد يكون لنا فيها حكم كمن هدم وقفا فعليه إعادته فهو من أحكام التوراة وأصله قضية جريح العابد وأما حكم الإسلام فالقيمة. وإنما بدلوا وحرفوا كما قلنا ذلك بالتأويل ويشهد له قوله تعالى "وعندهم التوراة فيها حكم الله" وقوله تعالى "قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين" ولو تبدلت ألفاظها لم تكن بها حاجة إلى أن يكون ذلك من غير عمد وعند ذهاب ملكهم في وقعة طيطش¹¹¹ كما ذكرت ومع ذلك يمكن وجود الصحيح منها حسب ما هي عند عالمهم يوسف بن كريبون على ما ينبغي من الصحة والطبع وفي عصر النبي صلى الله عليه وسلم عند عالمهم "ابن سوريا" الأعور ومالك بن الضيف وغيرهم قلت فما للشرح الخ، وغيره في فصل قضاء الحاجة غير صحيح ولم يصب من اعتراض القاضي عياض وغيره في كثرة النقل عنها لا سيما في كتاب الشفاء وتحريم الفقهاء قراءتها حتى بلغ بعضهم فقال يجوز الاستجهار بأوراقها وهذا مما لا ينبغي، أنظر شرح شهاب الدين أحمد الخفاجي على الشفا ويشمل توراة وقتنا قوله تعالى "ومن لم يحكم بما أنزل الله" ومع ذلك يمكن وجود الصحيح منها هذا وزعمت السامرية أهل شومرون وجبل نابلس أن

¹¹¹ Titus : الامبراطور الروماني.

التوراة الذي بأيديهم لم يحرفوا منها شيئاً ويقولون في نسخ التوراة التي لغيرهم من اليهود أنها محرفة وإنما ذكرت ما مر من الكلام عن شأن النسب من أن الغرض من هذا الكتاب ذكر فتح وهران ومدح الفاتح لها وهو نادرة الزمان وقبلة الإحسان سيدي محمد بن عثمان باي حال من الملوك محل اللبة من الصدر والنور لها من هالة البدر حتى اشتهر من بينهم اشتهار النهار وشيدت به معالم الحق وانطمس رسم الباطل وكان على شفا جرفها فانهار. لأنني أذكر فيه ما احتاج إليه من النسب على حسب ما اتفق لي من العجم والعرب فجعلت ما تقدم كالمقدمة المجملة وما يأتي كالتكملة لأنني أتخير نوادره من متخير جواهر كل أدب ولباب اللباب فقد قال

أفلاطون الحكيم عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم وظاهره في حسن اختيارهم لأن العاقل لا يأخذ من الكلام إلا الأحسن ديباجة والأكثر طلاوة وحلاوة وقال يحيى بن خالد البرمكي الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويتحدثون بأحسن ما يحفظون وقال ابن سيرين العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا من كل شيء أحسنه وقال العتابي من قرظ شعرا أو وضع كتابا فقد استهدف للخصوم إلا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى وقليل ما هم وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر البيت المشهورة وهي عين في الرضى إلخ وقال أبو الدرداء أنصف أذنك من فيك فإنما جعل أذناك اثنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تقول وإنما اخترت في هذه المنظومة قافية السين لأن أكثر أدباء الورى والامراء يحبونها فقد ذكر الشريسي في شرحه لمقامات الحريري أن أبا عمر وابن العلاء التميمي أحد القراء السبعة كان يساهر الأمير العبادي عباد المهلبى وكان يعجبه روى السين لستين شاعرا كل منهم اسم عمر وكذا يقال وقع لحماذ الراوية مع يزيد بن عبد الملك بن مروان وعباد هذا من نسل المهلب بن أبي صفرة الأزدي بفتح الهمزة وابنه عباد بن عباد ذكره البخاري في صحيحه. في كتاب التفسير وأبو عمر هذا اسمه محمد أو حماد أو حميد بن عبد الله بن حنين التميمي أخذ عنه عيسى بن عمر الثقفي ويونس بن حبيب وأبو الخطاب الأخفشي والأصمعي وغيرهم. قال الأصمعي رأني يوما بلا عمامة فناولني عمامة ثم قال لي الزم العمامة فإنها تشد اللمة وتحفظ الهمّة وتزيد في القامة وزادني كساء توفي سنة 154 عن ست وثمانين عاما وتوفي الأصمعي سنة 217 عن ثمان وثمانين سنة.

وسميته بعجائب الأسفار ولطائف الأخبار

وها أنا أشرع فيما أردت ومن الله الإعانة لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب

قال الشيخ محمد بن أحمد بن الناصر المعروف بابي راس الناصر رحمه الله ونفعنا ببركاته آمين.

طيب الرياح أرض الله جسي .: ويشري اليكم مع الجن والإنس

طيب منادى على حذف النداء مضاف الرياح فلذلك نصب اتفاقا والطيب خلاف الخبيث وطاب الشيء يطيب طيبة وتطايبا قال علقمة بن عبدة التميمي "هذا تطايبها في الأنف مشموم" والأطيبان الأكل والجماع. والريح الطيبة ضد العاصف قال تعالى "وجرين بهم بريح طيبة و فرحوا بها جاءتها ريح عاصف" وقال في اللباب الرياح ثمانية يقال لها رياح الرحمة أربعة ورياح العذاب أربعة أما رياح الرحمة فالمبشرات والحاملات والذاريات والمرسلات وهي الرياح التي يتبع بعضها بعضا قال ابن عباس وقال بعضهم المرسلات الملائكة وأربعة عذاب: العقيم، والصرصر، وهما في البر، والعاصف، والقاصف، وهما في البحر والحق أن العاصف يكون في البر والبحر. قال تعالى "ولسليمان الريح عاصفة" وقال تعالى "كرماذ اشتدت به الرياح في يوم عاصف" وقال عبد الله بن عمير في تقسيم الأربعة رياح المبشرات وهي التي تعم الأرض عما والمثيرة السحاب والمؤلفة واللواقح فتلقح الشجر وقال ابن عباس رضي الله عنه اللواقح هي التي تلقح الشجر والسحاب وقال أبو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء إلا بعد أن تعمه الرياح الأربعة فيه الصبا تهيجه والشمال تجمععه والجنوب تذروه والدبور تفرقه وأما الرخاء فهي الرياح اللينة من أي جهة كانت وهي التي كانت تتواجد بكركسي سليمان عليه السلام¹¹² الذي فيه بساطه وقدمت حول البساط خشب وألواح حتى كان سريرا يحمل جميع عسكره وقواته فتنقله من الأرض في الهوى ثم يتولاه الريح الرخاء بعد ذلك فتحمله إلى حيث أراد سليمان وأما الإعصار فهي الريح الشديدة التي فيها احتراق لكل ما مرت عليه يكون ذلك في شدة الحر وشدة البرد وذلك من فيح جهنم ومن لطائف ابن الجوزي الحنبلي أنه طلق امرأة اسمها نسيم الصبا ثم أراد مراجعتها فأبوت فكانت يوما ماشية مع امرأتين فلما رأته جالسا مع بعض طلبته في جانب طريق مرورها تسترتهما فمرت المرأتان مما يليه فلم يرها لما تسترتهما قال متمثلا في الحال

يا جبلى نعمان بالله خليا .: نسيم الصبا يخلص إليّ نسيمها

فلما سمعته ضحكاً كلهن وضحك أهل مجلسه وقوله جميع أرض الله جميع مفعول مقدم بجسي والأرض مؤنثة وهي اسم جنس وكان حق الواحد منها أن يقال

¹¹² نسخة أ: حيث أراد يروي أن الريح العاصفة كانت تعب على سرير سليمان.

أرضة ولكنهم لم يقولوا والجميع أَرْضَات لأنهم قد يجمعوا المؤنث الذي ليست هاء التأنيث فالتاء كقولهم عرشات ثم قالوا أرضون بالفتح فجمعوا بالواو والنون والمؤنث لا يجمع بالواو والنون إلا إذا كان منقوصا وربما سكنوا الراء فقالوا أرضون ومنه

لقد ضجت الأرضون إذ أقام من بني . هداد خطيب فوق أعواد منبر

وقوله جسي أي اقصدي قال الحافظ البخاري في صحيحه في قوله تعالى فجاسوا خلال الديار تيمموا قال القسطلاني في تفسير تيمموا أي اقصدوا فصح قول جسي بمعنى اقصدي وقال الجوهرى في صحاحه جاسوا خلال الديار أي تخللوا فطلبوا ما فيها كما يجس الرجل الأخبار أي يطلبها وقال في موضع آخر جسه بيده واجتسه أي مسه والمجسة الموضع الذي يجسه الطبيب وجسست الأخبار تفحصت عنها والجواس الحواس وقد يكون بالعين قال الشاعر، "فاعصوبوا ثم جاسوه بأعينهم" وجساس بن مرة الشيباني قاتل كليب بن ربيعة قتل وكليب هذا نجل¹¹³ أحد السادات الثلاث الذين سادوا على ربيعة ومضر وسبب قتله هاجت الحروب المسماة بحرب البسوس بين ثعلب وشيبان أربعين سنة وثغلب إحدى القبائل الثلاث التي بقيت منتصرة من العرب والثانية بهراء والثالثة غسان فقد ذكر الشريسي أن أمراء برجولة أحد مدن النصارى من نسل جبلة بن الأيهم الغساني ومن ثغلب الأخطل الشاعر المشهور وكان بمكانة عند عبد الملك بن مروان وراوده على الإسلام ويتمنى عليه ما شاء فأبى ومن أحسن ما يحكى أن الأخطل جلس يوما عند عبد الملك إذ دخل كثير بن عزة وكان من أجلة الطلبة ومن فحول الشعراء فقربه عبد الملك وحادثه ولاطفه فلما رأى الأخطل ذلك قال يا أمير المؤمنين من هذا؟ وكان يعرفه فقال هذا كثير الشاعر وقال إن أذنت لي هجوته فقال كثير: يا أمير المؤمنين من هذا؟ فقال الأخطل فقال له كثير: هلا هجوت من قال فيكم :

والثعلبي إذ تنحنح للقراء . حكا ستة وتمثل الأمثالا

وكانه ألغمه حجر وضحك عبد الملك حتى استلقى والقائل فيهم هذا البيت لجرير المشهور وقولي وبشري البكم يقال رجل أبكم وبكيم أي آخر بين الخرس قال الشاعر

فليت لساني كان نصفاً منهما . بكيم ونصف عند مجرى الكواكب

ويستعمل لفاقد الصوت من النغم وناقاة بكاء إذا مضى لها ستة أشهر من حملها فلا تصوت ولو قطعت ومرادي بالبكم ما يشمل ما ذكر وسائر الحيوانات التي لا تعقل وسائر الجمادات أي الطيب الرياح يبشر ما ذكر والإنس والجان بفتح ثغر

وهران وإن كانت البشائر عرفا هي حصول السرور للمبشر بالفتح بالأمر المبشر به لأن هذا من المبالغة التي هي أحد أقسام الضرب المعنوي من ضربي البديع وإن اختلف أهله قال بعضهم لا تكون من الحسنات إلا المقبولة لا المردودة واستدل بقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

وإنما الشعر لبّ المرء يعرضه . على المجالس إن كيسا وإن حمقا

وإن الشعر بيت أنت قائله . بيت يقال إذا أنشدته صدقا

وقال بعضهم أنها مقبولة مطلقا لأن أحسن الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه وقال دعبيل لم يكذب أحد قط إلا حطه الناس إلا الشاعر فإن كذبه زيادة في مدحه ولذا استدرك النابغة الذبياني على حسان في قوله :

لنا الجففات الغر يلمعن في الضحى . وأسيفنا يقطرن من نجدة دما

حيث استعمل جمع القلة أي الجففات والأسياف وقال يقطرن ولم يقل يقطن أو نحوه وهو الذي درج عليه الخطيب الغزويني في تلخيصه ولذا قال فيه والمبالغة أن يدعي لوصف أحد مستحيلا أو مستبعدا ولم يقل والمبالغة المقبولة إلخ والمبالغة ثلاثة أقسام تبليغ وإغراف وغلو. وما نحن فيه من الثالث ومنه قول أبي نواس وخافتك النصف التي لم تخلق . وقولي مع الجن خلاف مع الإنس والواحد جني وجنّ الرجل جنونا وأما جنة شاذ.

فائدة، قال الشيخ البليدي في كتابه نيل "السعادات في شرح المقولات" أن الفلاسفة أثبتوا في العالم قسما ثالثا غير جوهر ولا عرض وسموه بالجواهر الروحانية وبالمجردات وجعلوا من ذلك النفوس والأرواح والعقول وحكى أن الغزالي وبعض الصوفية ساعدوهم في النفوس العشرية وقد قيل به في الملائكة أيضا وأنها لا تشكل ولا تعمر فراغا والصحيح خلافه وأنها تشكل وتعمر فراغا كالجن وانظر الفرق بين الشكليين في شرح الأربعين النووية للشبرختي ثم قال :

نادرة: روى شيخ أשיاخنا العلامة يحيى بن سعيد الجزائري أنه قتل ثعبانا فإذا هو جني فاخطفه جني آخر قريبه وألقاه في أودية الجن فدخل بعدوة أعني في محل فوجد شيخا كبير السن وكأنه القاضي شمهروش فقص عليه الحال فقال له إذا أقبل سلطان الجن فقف واطلب الشرع فلما أقبل وقف عليه الإنسي وشكا من الجنّي فأحضره السلطان وسأله عن موجب خطفه الإنسي فقال لقتل أخي فقال الإنسي إنما قتلت ثعبانا فدعا السلطان بالشيخ الأول الجني واستفتاه فيما يلزم الإنسي فقال بعد أن رفع حاجبيه بيده رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "من تصور

على غير شكله قدمه هدر" وهذا سند غريب من وجهين تأملهما. فأمر السلطان برد الإنسي إلى بلاده بالمغرب فوجد زوجته متهينة للدخول فمانع وأخذها. قلت ومما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن أيضا الهام بن الهيم بن لاقس بن إبليس الأكبر ذكره الأبي ومات سنة مائة في أيام عمر بن عبد العزيز وفي موته حكاية لا نطيل بها و أما قصة و فادة الجن على النبي صلى الله عليه وسلم: هل هذا الوفد هم المتجسسون أم لا؟ فاختلفت الروايات، عن ابن مسعود وغيره في ذلك والتحرير أن النفر الذي جاءه دون أن يشعر به هم المتجسسون المتفرقون من أجل رجم الشهب ثم بعد ذلك وفد عليه وفد وهم حسب ما ورد من الآثار قوله تعالى "فلما حضروه قالوا أنصتوا" فيه تأدب مع العلم وكيف يتعلم قال جابر قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة الرحمان فكان إذا قال فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من آلائك نكذب ربنا لك الحمد ثم تفرقوا في الأرض منذرين للجن.

تنبيه: "ذكر الثعلبي" خلافا في مؤمني الجن هل يثابون على الطاعة ويدخلون الجنة أم يجارون من النار فقط وقال مالك وابن أبي ليلى والضحاك والفخر الرازي أنهم في حكم بني آدم سواء. وقولي والإنس البشر، الواحد إنسي وإنسي بالتحريك والجمع أناسي وإن شئت جعلته إنسا ثم جمعته أناسي فتكون الياء عوضا من النون قال تعالى و"أناسي كثيرا" وكذا الأناسية كالصيارقة و الصياقلة ويقال للمرأة إنسان ولا يقال إنسانة وسمي إنسان من التأنيس وسمي إنسان لنسيانه قال الشاعر:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه . ولا القلب إلا إنه يتقلب

تنبيه: لا يجوز إطلاق السهو والنسيان على أفعاله صلى الله عليه وسلم جملة كما للقاضي عياض في الشفاء من الباب الأول من القسم الثالث وقال الشهاب الخفاجي في شرحه وكذلك غيره من الأنبياء وهذا القول ذهب إليه كثير من مشايخ الصوفية وبعض المتكلمين وخصه بعضهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعدم جواز إطلاق السهو والنسيان عليه صلى الله عليه وسلم هو صريح بعض روايات الحديث كما في موطأ مالك. لست أنسى بصيغة المتكلم المعلوم المخفف ولكني إنسي بالمجهول المشدد أي ينسبه الله لحكمه كالتشريع وتعليم الأمة.

نادرة مستخرفة: أن أشعث المشهور صاحب الحكايات والنوادر والمضحكات كان يجالس سالما بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه فقال يوما في مجلسه وفيه أكثر الفقهاء السبعة: لو كان ما تحفظه من الحكايات والنوادر جعلته حديثا لكان أنجح لك قال أما والله إنني أحفظ كثيرا من الحديث فقال له سالم حدثنا بشيء قال حدثنا كريب مولى ابن عباس عن ابن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم أنه قال "من كان فيه خصلتان كان عند الله خالصا فابتدره الفقهاء وما هما يا أشعث؟ فقال نسيت واحدة ونسي كريب أخرى فضحكوا كثيرا رضي الله عنهم أجمعين.

بمغرب الأرض هي ومشرقها .: جوفاً وقبيلتنا والأنجم الخنس

قال العلامة بحرق في كبيره قالوا في المكان أي في طرف المكان من شرقت الشمس تشرق كنصر ينصر ومن غربت تغرب كنصر ينصر أيضا المشرق والمغرب أي بفتح الأول وكسر الثالث وجملة ما جاء من ذلك ثمانية عشر (18) وزنا كما عدها ابن مالك في آخر لاميته وكلها كسر ثالثها شاذ وتصغير مغرب مغيرب على خلاف القياس و سمي المغرب مغربا وغربا لأن أهل المغرب وهو الدلّو الكبير يسقون به الزرع والأشجار وحد المغرب البحر المحيط وحاضرة آسفي وفي قبلة آسفي بلد بودة وفي قبلة بودة أرض لمتونة يتصلون بالبحر المحيط وفي قبيلتهم السودان وأما حده من المشرق فقال بعضهم القلزم والسويس فيدخل فيه مصر وبرقة والعرف الجاري الآن أنه من طرابلس لأنه الذي كان في القديم ديار البربر ومساكنهم ونحوه لأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون في تاريخه الكبير وسيأتي الكلام عن تقسيمه لأقصى وأدنى وأوسط إن شاء الله عند قوله بتقليد المغرب الأوسط لعمدتنا إلخ... ويلي تلول المغرب جبال من تخوم تلك التلول ممتدة من لدن البحر المحيط في المغرب إلى برنيق من بلد برقة مما يلي النيل ورأيت في بعض التاريخ أن مسافتها من المغرب إلى المشرق ستون (60) يوما. وقال مجاهد في قوله تعالى "رب المشرقين" للشمس في الشتاء مشرق ومشرق في الصيف ومغرب في الشتاء ومغرب في الصيف.

فائدة: قال العلامة الشيخ على بن ثابت في شرح البردة عند قول البوصيري:

"حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم إلخ" روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قال "ينقطع الجهاد من كل موضع ولا يبقى إلا بأرض المغرب وإن أقواما بالمغرب مرابطون وهم مع نسائهم في فراش واحد" إلخ.

وقولي الأراضي حذفت النون من غير إضافة للضرورة وقولي وهي الضمير للريح لأنها مؤنثة ولذا قال ريح وريحة كما قال دار ودارة والريح واحدة الرياح والأرياح يجمع على أرواح لأن أصلها الواو وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها فإذا رجع إلى الفتح عادت إلى الواو ورياح حي من يربوع ومنهم عبد الله بن وهب الرياحي وقيل الراسبي بسين-وباء نسبة إلى بني راسب رأس الخوارج وإليه ينتسب الطائفة

الوهبية¹¹⁴ ومنهم بجربة كثير والروح نسيم الريح ويقال يوم روح وريح أي طيب وروح وريحان أي رحمة والراح الخمر والدهن المروح عند النوم المطيب وفي الحديث أنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاثمد المروح عند النوم. وهب مضارعه يهب بضم الياء على خلاف القياس لأنه لازم وقياس المضاعف اللازم الكسر كجن يجن وقولي ومشرقها أي وهي أيضا بمشرقها أي الأراضي وقال الخفاجي عند قول القاضي عياض وفي حديث زويت الأرض مشارقها ومغاريها الجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون وكما المغارب وقال بعض الفقهاء المشارق الشمس والفجران والمغارب غروب الشمس والشفقان أي الحمرة والبياض كما أن الفجرين الصادق والكاذب.

تنكيت: ولم قال صلى الله عليه وسلم زوي لي مشارق الأرض ومغاريها ولم يذكر الجنوب والشمال. كان معظم امتداد ملك أمته في المغرب والمشرق وكذا هو في الواقع كما أخبر به صلى الله عليه وسلم فامتدت أمته ما بين أرض الهند في أقصى المشرق إلى بحر طنجة في أقصى المغرب وطنجة لفظه بربر، مدينة عظيمة فتحت في الإسلام ثم استولى عليها النصارى سنة 876 بعد قتال عظيم ودامت لهم إلى أن أخذها منهم السلطان إسماعيل السجلماسي العلوي ثم الينبوعي أوائل القرن الثاني عشر والحمد لله.

تنبيه: يحكى أن الشيخ ابن تيمية قال رأينا أن الدنيا صورت على صورة طائر له رأس وجناحان وذنب فالرأس المشرق والصدر الحجاز و الجناحان الشام واليمن والذنب المغرب فقال له رجل مغربي في المجلس إن كانت روايتك صحيحة فالمراد بالطير الطاوس فتعجب أهل المجلس من كلامه وألجمهم ولم يراجعوه بكلمة.

وقولي جوفاً وقبلتنا أي معشر المسلمين ويقال له الشمال والجوف يقال للمطمئن من الأرض والجوف للإنسان والجواف ضرب من المسك والجوف اسم واد بأرض عاد ذو ماء وشجر حمأه رجل اسمه حمار بن مويلع وكان له عشرة بنين فهلكوا فكفر فقتل من لقي من المسلمين فأقبلت نار من أسفل الجوف فأحرقته ومن فيه وغاض مأؤه وفي المثل أكفر من حمار بن مويلع.

وقولي والأنجم الخنس وسميت الخنس أي لأنها تخنس بفتح التاء وكسر النون أي في مجراها أي يرجع وراءها بينما ترى النجم في آخر البرج أذكر راجعا إلى أوله ومرادي بالنجوم وجميعها وإن كان المراد بالخنس خمسة فقط زحل، المشتري، المريخ، الزهرة وعطارد قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه وقال

الجمهور، الخمسة والشمس والقمر وقال أبو زيد تخنس أي تتأخر عن مطالعها كل سنة.

تنبيه: ذهب المبطلون إلى أن السماوات محيطة بالكون كالبيضة ومنعوا الخرق والالتئام فأحالوا الإسراء والحق أن السماوات غير الأفلاك لأنه الملائم للشرع الصادق فإن الأفلاك ملتفة كطباق البصل كل فلك منها يشتمل عليه ما فوقه ويشتمل هو على ما تحته والسماوات أطرافها على جبل قاف كأطراف الخبأ والأفلاك تحتها وتأمله مع المشهور من أن الشمس في السماء الرابعة والقمر في سماء الدنيا وأن الأفلاك أجسام لطيفة والسماوات أجسام كثيفة وأن الأفلاك موضع الكواكب والسماوات موضع الملائكة وأن الأفلاك دائرة متحركة والسماوات لا. من البلديدي على المقولات ثم قال تنتم الكواكب على قسمين سيارة وهي السبع وثوابت بمعنى أنها لا سرعة لها وإلا فهي تتحرك من المشرق إلى المغرب حركة بطيئة جدا تقطع في كل أربعة وسبعين سنة شهرا وسبعة وعشرين يوما درجة و السيارة غير الشمس والقمر فلا تنضب لكونها تارة ترجع القهقري وتارة تسير معتدلة وتارة تخنس في غروبها فلأجل ذلك لا يصلح أخذ عمل منها وجميع الثوابت في فلك واحد وهو الثامن وأما التاسع فلا نجم فيه وهو أعظمها وله في كل يوم وليلة دورة من المشرق إلى المغرب ويدور بدورانه كل ما يحويه من فلك وكوكب ثم قال اختلف المتقدمون في حركة الكواكب ف قيل أن الجرم الفلكي ساكن والحركة للكواكب خارقة له وقيل أن الفلك متحرك والكوكب كذلك على خلاف حركته وقيل المتحرك الفلك فقط.

تنبيه اعلم أن عطارد والزهرة والقمر أصغر من الشمس والثلاث الآخر أعظم من الشمس و الشمس أعظم من الأرض بأضعاف والقمر أصغر منها بدليل الخسوف وأصغر كوكب من الثوابت أعظم من الأرض وجميع الكواكب نوره ذاتي إلا القمر ومن الثوابت الثريا واختلفوا في عدة نجومها ف قيل سبع وقيل ست وقيل غير ذلك. و من لطائف أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباصب الشريف الحسنی: قوله:

خليلي إني للثريا لحاسد . . . وإني على ريب الزمان لواجد
أبقي جميع شملها وهي ستة . . . ويفقد من أحبته وهو واحد

وهذا يوافق القول الثاني ومما يستصرف في هذا أن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف تزوج بمصر الثريا من بنات الصحابة فلما سمع ذلك عمر بن أبي ربيعة المخزومي قال ملغزا:

يا أيها المنكح الثريا سهيلا .: أعزك الله كيف يلتقيان
 فهي شامية إذا ما استهلّت .: وسهيل إذا ما استهل يمان
 ونجم سهيل يرى في آخر الخريف من مدينة سميت به في الأندلس لكونه لا يرى
 في ذلك القطر إلا منها وإليها ينسب السهيلي صاحب الروضة في شرح السيرة النبوية
 وقال الشاعر:

إذا كوكب الخرفاء لاح بغدوه .: سهيل أذاعت عزلها في الغرائب

والصائبة هم الذين تدينوا بالكواكب بأن يعرفوا قسمة كل قطر من الكواكب
 ويتوجهوا إليه بما يناسبه في استنزال روحانيته وأول من تدين بهذا الدين كنعان بن
 كوش بن حام وهو أول من ملك الأرض من ولد نوح عليه السلام وفي التوراة أن
 النمرود من ولد كوش وفي تفاسيرها أن منهم أهل زويلية ببرقة والنوبة وفزان وزغاوة؛
 وفزان هذا قبلة طرابلس. ولما نفى سلميشار ملك الموصل الأسباط العشرة إلى قرى
 أصبهان من أرض ملكهم سامرة ونفى معهم ملكهم و"هو شيع لستع" من ملكه
 ولست من ملك حزقيا بن أحاز من ملوك القدس بني سليمان بن داود عليهما السلام
 وبقيت السامرة و أرضا قصبة ملكهم خرابا جمع ملك الموصل المذكور قبائل من كوثة
 وحماة، وصفر، وأروم، وأسكنهم السامرة فسلط الله عليهم السباع فتفترسونهم(كذا)
 فبعثوا وفداً منهم إلى الملك يعرفهم بصاحب قسمة السامرية من الكواكب ليتوجهوا
 إليه بما يناسبه على طريقة الصائبة فقبل له أن الشريعة التي رسخت فيها وهي من
 دين اليهودية تمنع من ذلك فبعث لهم كهنوتين يعلمونهم الدين والتوراة فتعلموا،
 فقهر الله عنهم السباع فهذا أصل السامرة فهي في فرق اليهود وليسوا من نسبهم فلم
 يظهر لهم وأما الأسباط العشرة فلم يظهر لهم خبر من حين نفيهم إلى آخر الدهر.
 فاليهود الموجودون الآن إنما هم من سبطي يهود وبن يامين ومن ذرية نبي الله هارون
 عليه السلام الذي هو من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام و ذلك أن من أولاد
 فنجا بن العارز بن هارون عليه السلام لما ذهب الأسباط العشرة بيرغام بن نباط
 من سبط إبراهيم بن يعقوب إلى السامرة ونابلس وملكوه عليهم بقوا بالقدس بأيديهم
 الكهونية العظمى وبيت لحم وسكنوا مع سبطي يهود وبن يامين ولما فتك إيطوخس
 الرومي بأهل القدس وكاد أن يستأصلهم، هرب للجبـال ميتيتيا بن يوحنا بن شمعون
 الكوهن الأعظم من نسل هارون عليه السلام فلما انقلب إيطوخس إلى رومة جمع بني

* يقال له بالفرنسية : OSEE و يقال له حزقيا بن أحاز HAZKIA fils d'Arhaz

إسرائيل وملكوه عليهم وبقي الملك في عقبه وهم المعروفون بملوك جشمناي* إلى أن انتقل الملك منهم إلى أبي هيدروس وهو إتصفتر من أعيان بني إسرائيل وأكثرهم مالا واتصل الملك في عقبه إلى أن قطع طيطش سلطان الروم ملكهم فلم تقم لهم قائمة بالملك إلى الآن فاستلحمهم ملحمة عظيمة لم تقع مثلها لا قبلها ولا بعدها. قال يوسف بن كريون: فكان عدد القتلى الذين خرجوا من الباب للدفن بأخبار من بالباب مائة ألف وخمسة وعشرون ألف وثمانمائة (125800)، غير الملقى في الآبار أو طرح خارج الحصن أو قتل في الطرقات والسبي عددهم مائة ألف (100.000)، فكان طيطش يلقي كل يوم منهم للسباع إلى أن فرغوا ووصل منهم إلى رومة مائة ألف (100.000) شخص يعلمون فيهم أولاد الروم رمي الرماح والسيوف فانقطع بذلك ملك بني إسرائيل أجمع وتفرقوا في الأراضي خوفا على أنفسهم مما ابتلاهم الله به ومن نسل هارون عليه السلام بنو الأخطب وبنو الحقيق وغيرهم وأهل خيبر وفدك ووادي القرى وبنو نظير وبنو قريظة وبعضهم من الإسرائيليين الذين أغزاهم يوشع بن نون إلى العمالة الذين كانوا بتلك الأرض وأوصاهم أن لا يتركوا أحداً منهم فتركوا ملكهم الأرقم، فلما أخبر يوشع غضب عليهم فبقوا هنالك. وصفيّة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم بنت جبير من نسل سيدنا هارون بلا شك إلخ.

طوامي الأبحر وأهل جزائرها .٠ يفتح وهران دار الشرك والومس

طمى بمعنى علا وجاء السيل فطمى الركبة أي دفنها وعلا عليها وكل شيء علا فقد طمى. يقال فوق طامة طامة ومنه سميت القيامة طامة وبحر طام أي علا ماؤه و كثرت أمواجه وجاوز حده والأبحر واحدة بحر يوزن فعل ولذا جمع جمع القلة و أكبرهم البحر المحيط وسمي أيضا البحر الأخضر وبحر الظلمات لأنه تقل فيه الأضواء ومن الأبحر البحر الرومي المتفرع من هذا البحر المحيط يخرج من بين طنجة وطريف من بلاد الأندلس وعرض خروجه ثمانية أميال وكانت هناك قنطرة ركبها ماء البحر وينتهى هذا البحر إلى سواحل الشام وثغوره أنطاكية، والعلايا، وطرطوس، و المصيصة، وصور، وغيرها، كاسكندرية، مما يلي القبلية والجزائر، ووهران، المحدث عنها وغيرهم وطوله ستة آلاف (6000) ميل وعرضه بين سواحل إفريقية وجنوة سبعمائة (700) ميل ومنهم بحر القلزم والسويس ويتصل بذلك بحر المندب إلى عدن في ساحل اليمن وبحر الهند وبحر فارس إلا أن بعضها متصل ببعض وبعضها منفصل

* جشمناي : Les Macchabées

ومن الأبحر بحر نيطش* تسكنه أمم من الترك في حافته الجنوبية وكثير منهم في جزائره مما يلي الشمال وأما عدوته الشمالية فيسكنها البلغار نسبة إلى مدينتهم ويليهما في الشمال أيضا البريجان أمة كبيرة لا تعرف أخبارهم وبحر النيل منبعه وراء خط الاستواء من تل مرتفع فالذي يأتي من المشرق يصب في البحر الرومي حذو أبي قير والذي ذهب إلى المغرب يصب حيث انتهت أرض لمتونة في البحر المحيط ولذا سمي يوسف بن تاشفين وقومه لمتونة بالمرابطين. كان ابن ياسين الذي بعثه معهم التقى تلميذ أبي عمران الفاسي لما رجعوا من حجهم، انعزل بجزيرة يحيط بها بحر النيل فتجرد للعبادة، بها يحيى بن عمر بن ثلاثين من رؤساء لمتونة وأخوه أبو بكر ثم ابن عمهم يوسف المشهور وتسامع الناس بهم فكل من فيه مثقال خردلة إيمانا دخل فيما هم فيه فكمّلوا ألفا وزادوا على ذلك فاشتبهوا بالمرابطين لأجل تجردهم للعبادة بتلك الجزيرة ثم ولّوا أمر حربهم إلى يحيى ولقبوه أمير الحق وشمروا للحرب وإقامة الدين إلى آخر أمرهم. ومساكن الريح على بحر الهند وقاعدتهم مدينة هلسا وغيرهم أهل مدينة معرشو وفي غربهم عليه أيضا أمة يقال لها الدمام وهم حفاتا (كذا) عراتا وغيرهم الحيشة على شاطئ البحر الغربي مجاورون لليمن ودار ملكهم "كقبر" وهم نصارى وينتظرون ملك اليمن آخر الزمان مرة ثانية.

وقولي وأهل جزائرها أي الأبحر مثل. ميروقة، ويابسة، ومنركة، وصقلية، وقريطيس، وسردانية، وقبرس(كذا)، ومورة وغيرها مما لا يحصى وجزائر سويس مثل ذلك أو أكثر يسكنها أمة يقال لهم البُحَا و هم نصارى ومسلمون ويجاورونهم النوبة وقاعدتهم مدينة دنقلة لكانهم على شاطئ النيل الغربي وفيهم النصارى وهم الأقرب لمصر وفيما ذكرت كفاية ولو تتابعت ذلك لضاقت الطروس.

غربية إن ملكا كان أبو جعفر المنجم متصلا بخدمته، طلب رجلا من أكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة فاستخفى فأراد الملك منه أن يعمل ما يهتدي إليه وعلم الرجل أن أبا معشر يستخرجه بعمله فأراد أن يعمل شيئا لا يهتدى ويبعد عنه حسده فأخذ طستا وجعل فيه دما وجعل في الدم هاون ذهب وقعد على الهاون أياما ولما عجز الملك عن طلبه قال لأبي معشر: عرفني أين موضعه بعلمك فسكت زمانا متحيرا فقال الملك ما سبب سكوتك وحيرتك فقال أرى شيئا عجيبا قال وما هو؟ قال الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم فجبل الذهب جزيرة بحر من الدم، لا أعلم في أرض الله موضعا على هذه الصفة فقال له أعدْ نظرك وغير المسألة وجدد المطالع ففعل ثم قال ما أراه لا كما ذكرت لك وهذا شيء ما وقع لي شيء مثله

* البحر الأسود

فلما آيس منه الملك نادى في البلاد بالأمان للرجل ولمن أخفاه وأظهر في ذلك ما وثق به فلما اطمأن الرجل وحضر بين يدي الملك فسأله الملك عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما عمل فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه ولطافة أبي معشر. وأبو معشر هذا هو جعفر بن عمر البلخي المنجم المشهور وله في علم النجم تواليف منها المدخل والريح والأتواق وكانت له إصابة عجيبة مات سنة (اثنين و سبعين ومائتين) 272

وقولي بفتح وهران إلخ وهران بفتح الواو وسكون الهاء مدينة كبيرة معدودة من أمصار المغرب الأوسط على ساحل البحر الرومي ذات أسوار وحصون وأشجار وعيون وبناء لم يوجد مثله ولا يضع واضع شكله لو رآه صاحب تاريخ مصر القاهرة لَعَدَّهُ من أعجوبات البناء ذكرها في كتابه حسن المحاضرة ولو رآه الغزال¹¹⁵ صاحب الرحلة لما اعتنى بوصف سبته، وطيطة، ولو أخبر به صاحب كتاب اللباب الواصف لضخامة بنيان البلدان لما قال الدار داران إيوان وغمدان، ولا سيما قلعة مرجاجو الشهيرة الفذة الجامعة الكبيرة يقل مثلها في الوجود وتتيه على قلاع بني حمود، قد وضعت في قمة¹¹⁶ جبل لمس الأفلاك بيده ونظم النجوم في مفرقه وتلفع بالسحاب في مروطه وأوى الرياح إلى جوه وألقى إلى خبر السماء بإذنه وأطل على البحر بشماريخه واستدبر قاعات سيرات وملاته بظهره وأقام سائر جبال بني ماخوخ في حجره وحق المدح للجديد والعيون فإنهما والله قرة للعيون واجتمعت العجائب بالبرج الأحمر، فإنه يفوق حصون بني الأحمر ولو رأى ابن كريون برج اليهودي لما وصف قلاع أمصيا هو ملك بني يهود ولو وصفت لك سائر مصانعها على التمام وما تحت أراضيها من الأبنية العظام لقلت يعجز عنه "سور- ديب" المقتخر ببناء الاهرام ولو رأى ذلك سليمان بن سابق لقال لا يقدر على مثله لاحق ولا سابق هذا وقد ملك الله جميع تلك الهياكل والمصانع الحوافل للمنصور بعناية الملك الديان سيدي الباي محمد بن عثمان مغنما ومكسبا حاللا طيبا قرت بذلك العيون وصدقت بسعاده الظنون لقد شفي غليل المسلمين من دار الشرك والفجور وقالوا الحمد لله الذي اذهب عَنَّا الحزن ان ربنا لغفور شكور.

ولقد أمر اعلا الله مجده ووصل سعده ببناء محكمة مشتملة على الحزم والعدل والحلم والفضل فوق ابنية البرج الاحمر اذا رأيتها قلت عقاب في عقاب ونجم في السحاب لها القمام عمامة والهلال قلامه و قلت فيه متمثلا:

¹¹⁵ نسخة أ : الغزالي وهو خطأ.

¹¹⁶ نسخة أ : قَنَّة.

* يقال له : أمصيا Amasia

فلله مبناها الجميل فإنها .: تفوق على حكم السعود يمانيا
هي القبة الغراء عز نظيرها .: ترى الحسن فيها مكتسبا وعاريا
يمد لها الجوزاء كف مصافح .: ويد نوالها بدر السماء مناجيا
ولا عجب إن فانت الشهب في العلا .: وقد جاوزت فيها المداء المشاهيا
بها مقعد حاز البهاء وقد غدا .: بها القصر قد فاق المباني مباهايا
وسياتي تاريخ بنائها وما يتعلق به إن شاء الله.

وقولي دار الشرك والومس، الومس بفتح الواو والميم الفجور قال الجوهري والومسة
المرأة الفاجرة ومعنى الثلاثة الأبيات، أيها الريح الطيبة اقصدي جميع خلق الله
وبشريهم بفتح هذا الثغر العظيم الذي كان ماوى للشرك والفجور فعطف الومس الذي
هو الفجور على الشرك من عطف العام على الخاص وقولي بفتح الخ متعلق ببشري
وبمغرب الأرض الخ بيان لمكان الثلاثة قبله وقولي والانجم الخ بالنصب معطوف على
البكم ومعنى اهل جزائرها سكان جزر البحر لا البلد المعروف الخ.

وحدثهم بويلات لنا سلفت .: فطال مارمت الإسلام بالتعس

الضمير المرفوع للريح المبشرة، و المنصوب للأشياء المارة.

وقولي بويلات لقائل ان يقول لم يقال ويلات وهو مصدر والمصدر لا يثنى و لا
يجمع ولم جمع على الويلات ولا يجمع على ويلات قياسا للوبلة ويجاب عن الاول
بانه انما جمعه باعتبار الاسمية لا المصدرية بالنظر الى اعتبار تعدد محن الإسلام
بسبب وهران وعن الثاني فانه بتقدير الهاء عليه فصار ويلة وقال الجوهري ويل كلمة
مثل ويح الا انها كلمة عذاب وقد تدخل عليها التاء فيقال ويلة و انشد قول مالك بن
جعد الثعلبي.

بأملك ويلة وعليك اخرى .: فلا شات تنيل ولا بعيرا

فساغ جمعه على وزن ويلات بهذا التقدير وقد قال امرؤ القيس

يوم دخلت خدر خدر عنيزة .: فقالت لك الويلات انك مرجل

فيحتمل ان يكون جمع ويلة وهو الظاهر ويحتمل ان يكون جمع ويل على غير
قياس كما قالوا في جمع سجل وسرداق سجلات وسردقات وروي عن عطاء بن يسار
رضي الله عنه انه قال الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لذابت من شدة
حرها أي يذوب من شدة حر النار

وقولي لنا أي معشر المسلمين سلفت تقدمت. هذا اللفظ يقال لكل متقدم ومنه قيل السلف الصالح والولايات التي اصابته المسلمين من الكفرة مشهورة كشن الغارات و غيرها من ذلك أن الكفرة أذلهم الله لما استولوا على برج المرسى وكان ذلك على يد اليهودي ولما ملكوا المدينة انزلوا اليهودي بهذا البرج وفوضوا له التصرف في الخرجات البرية والبحرية وتوارثها عنه بنوه من سنة تسعمائة وخمسة عشر 915 إلى سنة ثمانين 80. جرت بينه وبين نصارى وهران منافسة فبعثوا الى طاغيتهم ان اليهود يريدون تملك البلاد للمسلمين فجاء المكتوب باخراجه ونفيه الى عدوتهم. فكان يخرج العامل اليهودي من هذا المرسى الى مطالب بني عامر وخرجاته في زي الملوك بخدم من اسارى المسلمين فينزل اليهودي بفسطاطيه فيحكم بين اهل الاسلام في شكاياتهم ويامر وينهي ويفصل ويقتل ويضرب. حاصله يتصرف كيف شاء وهذا اكبر المصائب وافضح المعاييب وكانت لهذا اليهودي جوارى من احسن بنات الاسلام والى ذلك يشير الشيخ ابو محلي حيث يقول:

فهل مبلغ عني قبائل بني عامر . . . ولا سيما من قَدَّوَي تحت كافر
وكل فتى من صناديد راشد . . . بتيجانها مع رأسها عبد القادر
وشيوخ بني يعقوب والهامي الفتى . . . بل كل قبيل مولع بالعساكر
وطلحة والاحلاف غرب هذه . . . وشيوخ سويد بل وكل مفاخر
أيا معشر الاسلام اين فحولكم . . . اما ابصروا في السبي غير الحرائر
وتحت اليهودي غاظة عربية . . . يعاليتها و الخنزير فوق الهزابر

إلى آخره. فيقول قبائل عامر نسبة الى عامر بن زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال. بنو عامر بن صعصعة احد بطون هوازن بن منصور بن عكرمة بن يزيد بن حفصة بن قيس بن غيلان اصل ارضهم بجبل غزوان عند ال طائف واخوتهم بنو سعد بن بكر بن هوازن وفيهم استرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم... وبنو عامر هؤلاء الذين بالمغرب بطون ثلاثة بنو يعقوب الذي تنسب إليهم ارض اليعقوبية المشهورة و الثانية بنو حميد منهم الحجز وهم بنو حاجز بن عبيد بن حميد منهم جحوش وجحيش ومحمد ورياب والمحاجة وغيرهم والبطن الثالث بنو شافع وكانوا أي شافع في شفع جند نصارى وهران و غيرهم من أخوتهم رعية و ذلك لقرب أرضهم من وهران حينئذ ورياسة بنو عامر كافة لداوود بن هلاك بن عطاف بن كرش بن عياد بن منيع بن يعقوب ومن زغبة ايضا بنو مالك بن زغبة منهم سويد المذكور في الشعر وهو ابن عامر بن مالك وعمه الحارث بن مالك. و من الحارث، العطاف

وارضهم غربي مليانة و الديالم من ولد ديلم بن حسن بن ابراهيم بن رومي وكانت لسويد مغارم على بلد سيرات والبطحاء وهوارة. ومن بطون سويد فليقة ومجاهر وجوثة والحساسنة بنو حسان بن شبابة وغفير وشافع غير شافع العامري ومالفة وأبو رحمة وأبو كامل وحمان واولاد مقدر ومخيس بن عمار اخو سويد نزلوا ضواحي وهران. ومن بطون سويد هبرة ينسبهم الناس إلى مجاهر بن سويد هم يزعمون أنهم من ولد سيدنا المقداد بن الاسود الصحابي البدري ومنهم من يزعم انهم من تجيب قبيلة من كندة تسموا باسم امهم والله اعلم. ومن ضواغن سويد صبيح بن هلال وكانت لهم إقطاعات جبل دارك وموطن الديالم قبلة وانشريس وكانت لهم إقطاعات وُزْنَة ومن بطون الحارث عريب ومن بطون بني عامر بنو صغير بن عامر ومن بطون يعقوب بنو ساسي بن سليمان بن داوود ومن بطون زغبة خميس بن عروة بن زغبة ومنهم اولاد خليفة والحماقنة والسحاري ذوى زيان وقوله طلحة والاحلاف هذان من عرب المعقل اليمانية و هم قبائل ذوى عبد الله و ذوى منصور و ذوى حسان و مواطنهم غربي تلمسان إلى ملوية وهم بارض انقاد وهم يزعمون أنهم من ولد جعفر بن ابي طالب وليس بصحيح لان اهل البيت لم يكونوا اهل بادية ونجعة والصحيح والله اعلم أنهم من اليمن من معقل بن كعب بن عليم بن خباب من بني قضاة أو من معقل بنو ربيعة من مدحج وهو الانسب قاله ابن خلدون. ومن المعقل الثعالبة الذين بمتيجة وهم الرقيطات و الشبانات وبنوا منصور ذوى عبد الله مجاورون لبني عامر من المغرب وكانت لهم الاتاوة على وجدة وندرومة وقيل ندرومة وبنو زناسن ومديونة وبنو سنوس وهما بطنان الهداج والخراج وكان منهم شيخ كبير على جميعهم عظيم الشأن يقال له طلحة فلذا يقال لاهل انقاد الآن طلحة كما في الشعر ومات في آخر القرن الثامن ومن الهداج والخراج الجعاونة من جعوان بن خراج و الغسل من غاسول بن خراج و المطارفة و العثامنة و المهاية اولاد مَهْيَا بن مطرف بن خراج وبنوا هداج اهل تاوريت والثعالبة اخوتهم ملوك متيجة واستمر ملكهم بها الى اخر المائة الثامنة فقتلهم ابو حمو وسباهم الى ان دثروا ومنهم الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن عمر بن نوفل بن عامر بن منصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن مفضل بن عبد الرحمن بن عبد البر بن قيس بن هلال بن عامر بن حسان بن محمد بن جعفر بن ابي طالب هذا نسب الشيخ رضي الله المنقول عنه كثيرا وقد علمت عن قريب ما يخالفه و الله أعلم توفي رحمه الله سنة خمس و سبعين و ثمانمائة عن ستة و سبعين سنة و دفن بالجزائر فوق طريق باب الواد وقبره في غاية التعظيم عند ملوك الجزائر، حل لطلب العلم متوجها للمشرق أوائل القرن

التاسع فدخل بجاية ولقي بها اصحاب الشيخ عبد الرحمن الوغليسي فحضر مجالسهم ثم ارتحل الى تونس فلقي بها الشيخ الغبريني و الآبي و البرزلي و غيرهم وأخذ عنهم ثم ارتحل لمصر فلقي بها الشيخ ولي الدين القرافي فأخذ علوما جملة معظمها علم الحديث واجازه فيما قرا عليه ثم حج ولقي بمكة المكرمة بعض الافاضل ثم رجع الى تونس فوجد فيها أبا عبد الله بن مرزوق قادما لإرادة الحج فأخذ عنه وأجازه في التدريس في انواع الفنون قال وحرصني على اتمام تقييد وضعته على ابن الحاجب الفرعي ثم وفد علينا الشيخ ابن مرزوق في ارضنا مرة اخرى بعد رجوعه من حجه آتيا من تلمسان متوجها الى تونس سنة 863 للصالح بين سلطانها و سلطان تلمسان. فقد ختمنا بعض نسب العرب برحلة هذا الولي الأنجب. واستمر تغلب كفرة وهران على ما يليهم من ارض اهل الايمان الى اثناء الحادي عشر فغزاهم باشا وهو اول من غزاها من الأتراك ونصب عليها المدافع والبومبة من المائدة فامتنتعت عليه ورجع الى مملكته ومن ثم وقعت لهم العناية بقلعة مرجاجو ودبروا في إقامتها و صعب عليهم الماء فكان أول من أتى بقرب الماء لأجل إقامتها شيخ احميان وقبيلته ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واهميان هؤلاء من بني يزيد بن عيسى بن زغبة كانت لهم الاتاوة على ارض حمزة والدهوس وارض بني حسن من قبل الموحيدين وسبب اتيان احميان لتلك الارض ان يغموراسن بن زيان لما تولى ملك تلمسان كثر عبث المعقل وفساد المجاورين له وهم اهل انقاد فأتى ببني عامر من صحراء بني يزيد وانزلهم بينه وبين المعقل لان زغبة كانوا قبل ذلك ما بين المسيلة في المشرق الى قبلة تلمسان في المغرب في ارض القفر ولما أتى بهم من تلك الارض لحقتهم قبيلة احميان احد قبائل بني يزيد واستمروا ساكنين بين المعقل وتلمسان بحذاء واد زاووقية حتى تملك ابو حمو الاصغر في حدود نيف وستين من القرن الثامن من أعياص ملوك بني زيان بعد فتك أبي عنان بهم وكاد يستأصلهم، نقل بني عامر من ضواحي تلمسان القبلة وانزلهم في تاسلة واتصلت مجالاتهم الى هيدور جبل وهران فكان قسم احميان احد بطون بني يزيد تلك الارض الحفرة وما ولاها والاكثر منهم نفي بالقفر إلى الآن لم ينتقل الى ضواحي تلمسان مع بني عامر من اول الحال، هذه أحوال احميان بن عقبة بن عبس بن زغبة واخبرني كثير من التقاة بالتواتر أن منهم المحاميد اهل حداد ومنهم بنوا كرز وبنو موسى والمراعبة والخشنة كل هؤلاء شعوب بني يزيد ومن اخوانهم عكرمة بن عبس وكانت لاولاد لاحق ثم انتقلت منهم لاولاد معافة ثم صارت في بيت سعد بن مالك من نسل المهدي بن يزيد بن عيسى بن

* اسم إقليم يسقي معظمه بوادي بجاية (الدھوس) و أرض حمزة : إقليم برج بوعريرج

زغبة وهم يزعمون انه المهدي عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه نسب تأباه رياستهم على غير عصبيتهم هكذا قال ابن خلدون وانظر تمامه. وامتدت ايدي الكفرة ايضا الى ارض الاسلام لما أقلع عنها ابراهيم باشا المذكور وهم معها بين نفرة واستقامة الى ان ولي الغطريف الهمام والاسد الضرغام معز الدين والايمان الباي شعبان: رحمه الله الأتي ذكره فطالت بهم معه الحروب، أتصل عليهم بدولته أعظم الكروب وذلك في حدود السبعين من القرن الحادي عشر فمن ثم قطع الله فسادهم واخمد نارهم واذهب من ارض المسلمين اثارهم فصاروا لا يفارقون الحصون ولا يفترقون ساعة عن الحراس والعيون الى ما كان ما ياتي إن شاء الله تعالى والى جميع ما مر اشرت بقولي فطال ما رمت الاسلام بالتعس. الهلاك واصله الكب وهو ضد الانتعاش قال مجمع بن هلال:

تقول وقد افردتها عن خليلها .°. تعست كما اتعستني يا مجمع.
وفي الحديث تعس عبد الدنيا.

و من لطائف ما يحكى أن أبا جعفر المنصور جلس ذات يوم عند جنازة للدفن و هي امرأة من بني عمه فأتى أبو دلامة فوجد الخليفة حزينا كئيبا كان على رأسه الطير ناظرا إلى القبر، فأراد أن يسره كعادته معه فسبقه المنصور بأن قال له: تعست أبو دلامة وانتكست أفنيت عمرك في المجون و ما لا ينبغي¹¹⁷ و ما أعددت يا و يحك لهذا المكان يريد القبر، فقال ارتجالا بنت عم أمير المؤمنين، فضحك المنصور حتى استقل. و من أخباره أنه مرض و لده فعالجه طبيب فلما برئ قال له ما عندي شيء نعطيك و لكن ادعي على فلان اليهودي و كان ذا مال كثير بمقدار جعلك وأنا وولدي نشهد بذلك فمضى الطبيب إلى قاضي الكوفة ابن أبي ليلى وقيل عبد الله بن أبي شبرمة فأدعي عليه الطبيب فأنكر اليهودي فقال: لي بيّنة و خرج لإحضارهما فاحضر أبا دلامة وولده و دخلا إلى المجلس و خاف أبا دلامة أن يطالبه القاضي بالتزكية فأنشد قبل دخوله بحيث يسمعه القاضي:

إن الناس غطوني تغطيت عنهم .°. و إن بحثوا عني ففيهم مباحث
و إن نبثوا بئري نبثت بئارهم .°. ليعلم قوم كيف تلك اليناث

ثم أحضرا بين يدي القاضي واديا الشهادة عند القاضي فقال لهما كلامكما مسموع وشهادتكما مقبولة ثم غرَمَ المبلغ من عنده واطلق اليهودي وما امكنه ان يرد شهادتهما خوفا من لسانه فجمع بين المصلحتين يتحمل المغرم من ماله. ودلامة بضم

¹¹⁷ نسخة أ: ما لا يعني.

الدال هو ابن يزيد الجون وذكر الحافظ ابو الفرج انه كان عبدا اسود ونوادره واخباره كثيرة ومنها ان المهدي اعطاه جارية فأتى بها الى زوجته ام دلالة وقال لها تحفظي بها لا يراها دلالة ابني فعلمت انه يستر لها عليها فلما أتى ابنها قالت له ما قال ابوه واغرته بوطئها فوطئها ابنه فقوتها على ابيه فلما اخبر ابوه أخذه وذهب إلى المهدي واخبره.

فقال المهدي للحرس خذه للسجن فقال الولد يا امير المؤمنين اتسمع مني كما سمعت منه قال قل، قال إن أبي هذا منذ اربعين سنة وهو يظأ أمي وما سمع مني كلمة ولا شكاية والآن وطئت جاريته مرة واحدة فصرت الى ماترى، فضحك المهدي حتى استلقى وامر لابي دلالة باخرى واقر الولد على الاولى ومعنى البيت ان كفرة وهران طالت في الاسلام صولتهم وتعددت على ايديهم روعتهم وسوم الخسف والاخذ بالعرف لكن من اول دخولهم إلى ولاية البايع شعبان اكثر واضر ومنه إلى أبي الفتوحات يقع الضرر احيانا ومرات:

فرد ربنا الكرة عليها لنا .٠. قضينا ديننا منها قد كان في تنس

الكر هو الرجوع على العدو و التأخر، قال عبد الله بن المطيع وهو من أجل التابعين، لما حوَصر مع الزبير بمكة و كان تأخر بعض الأيام لما حمل عليه بعض جيوش الحجاج بن يوسف و لأمه سيدنا عبد الله بن الزبير. فصار يقاتل و يقول "ساخلف الكرة بعد الفترة والشيخ لا يفر الا مرة". واشتد قتاله معهم حتى قتل. و لما سأل هرقل اباسفيان عن احوال الرسول صلى الله عليه وسلم فكان من جملة ذلك أن قال كيف الحرب بينكم وبينه قال سجال ينال ونال منه، قال كسرى هي عادة الانبياء تبثلى ثم تكون لها العافية فقلت: فعلى هذا فان العافية والكفرة لا يكونان الا بعد مكابدة وجهد قال الله تعالى " ثم رددنا لكم الكرة عليهم" أي ثم بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد قيل سنحارب ملك الموصل او جالوت ملك الجزيرة او بخت نصر على اختلاف وبعد ترددهم وسط الديار رددنا لكم الكرة عليهم الخ وقد قال تعالى " والعاقبة للمتقين" أي رد ربنا الكرة لنا على اهل وهران حتى قضينا ديننا نسجت عليه عناكب النسيان والمراد حصل الياس منه حتى صار لم يذكر وتؤسي حتى فتح الله بالنصر واعاننا على الظفر فشفينا غلنا وقضينا ثارات ديننا وقرت الاعين بعد الإياس و تعطل الأسباب. قرت عين مسافر بالسلامة و الإياب قال أمية بن الصلت في يوسف بن ذي يزن الحمدي:

* بخت نصر: الملك البابلي نبوشو دُونُصُور

لن يطلب الثَّارُ إلا كابن ذي يزن .°. يديم الخُبَّ على الاعداء جوالا
 يمم قيصر لما صان رحلته .°. فلم يجد عنده بعض الذي سالا
 ثم أتى ابن كسرى من بعد تاسعة .°. على الاعداء يهئ النفس والمالا
 حتى أتى بني الاحرار يقدمهم .°. مخايل قد جرت في الأرض أحابالا
 لله درهم من عصابة خرجوا .°. ما إن أرى لهم في الناس امثالالا
 الى ان قال :

تلك المكارم لا قعبات من لبن .°. شيب بماء فعاد بعد أبوالاً
 وهذا الشعر أحق ما يتمثل في فتح أبي الفتوحات سيدي محمد بن عثمان باي ثغر
 وهران وانا اقول فيه :

فتم هنيئاً وبك النصر مقترن .°. بقصر وهران دار لك محلالا
 ورثت مُعْنَى في جوده و في شيم .°. وفي الشفاعة ورثت ابن مكيالا
 فلا يدانيك قرنهم وان هو ذي يزن .°. ولا لمختطف من سواك نوالا
 ومما يستصرف في هذا المقام ويسلك في عقد هذا النظام الموردي : قال سايرت ابا
 طاهر اسماعيل بن القائم ابن عبيد الله المهدي الملقب المنصور ثالث ملوك بني عبيد
 بالمهدية وذلك يوم هزم أبا يزيد الخارجي صاحب الحمار الافريني وببيد المنصور
 حينئذ رمحان فسقط احدهما مرارا فمسحته وناولته إياه و انشدته قول الشاعر سجين
 بن واثيل

فألقت عصاها واستقر بها النوى .°. كما اقر عينا بالإياب المسافر
 فقال ألا قلت ما هو خير من هذا واصدق "وأوحينا إلى موسى أن الق عصاك فإذا
 هي تلقف ما يَأْ فِكُونْ فوق الحق و بطل ما كانوا يعلمون، فغلبوا هنالك وانقلبوا
 صاغرين." فقلت يا مولانا أنت ابن رسول فقلت ما عندك من العلم ومثل هذا لما أمر
 عبد الملك بعمل باب بيت المقدس وكتب اسمه عليه ساله الحجاج ان يعمل له باباً
 فإذن له فاتفق ان صاعقة النار وقعت واحترق منها باب عبد الملك وبقي باب
 الحجاج فعظم ذلك على عبد الملك فكتب له الحجاج "بلغني أن نارا أنزلت من
 السماء فحرقت باب امير المؤمنين ولم تحرق باب الحجاج وما مثلها في ذلك إلا
 كمثل ابني ادم اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر فَسُرَّ عنه لما قراه
 ومن بديع ما قلته في فتح وهران ادامها الله للإيمان.

خليلي قد طاب الشراب المورد .°. لما ان صار الامير في الثغر يقصد

وأجفت رحال الوافدين ام عسكر .: وقد كان ماوى للوفود ومقعد
تَجَدَّبَتْه وهران لما افتحتها .: وقد قالت اهلا بالحبيب محمد
فهات عقارا في قميص زجاجة .: كيا قُوتَة في درة تتوقد
يصب عليه الماء مسبك فضة .: له حلق بيض تحل وتعقد
جلوسا على ذُرِّو الحصون فما ترى .: بوهران ناقوس ولا الوثن يعبد
قواعدها تهز شوقا إلى النداء .: إذ قال في الخمس المؤذن اشهد
فهلا أبصرت طربها بآذاننا .: وقراءتنا أم كان طرفك أرمَد
إذ أقطعت باندلس يدًا العدا .: يدا بقيت والحمد لله لي يد
وما زال طمع المسلمين في رده .: لعلمك أن الدهر يدني ويبعد
فهاهي وهران العدا صفت لنا .: وفي كل عورة لها لنا مرصد
كأن لم تكن بالامس ترمي صواعق .: علينا بزمجر عتلية صلد
تقتني من النار الجحيم بنفسها .: فيا عجب لي كيف يجتمع الضد
وكيف تدوم الخَيْرَات بكفرهم .: وتَدْمُرُ ومنها الفريدة روند
وقرطبة كانت محط رحالنا .: شريس الشريسي وشقة ثم لوكد
بتذكارهم عمت وجمت همونا .: الى أن نفي الاكدار قوم ممجد
بفتح لوهـران وسطة عقدهم .: بها طال ملكهم قديما ممدد
زهت به مصر ثم نجد وشامنا .: وبضربهم بها عريض ومبعد
واهل الحجاز قد تسامعوا فعله .: ولا شك للمصرين يعلو ويصعد
فكان بوسط الغرب زخر مضرة .: وكم درة علياء باليم توجد
وعم العفاة نيل فيض عطائه .: وملك من احسانه ليس يجحد

والدائرة والكرة عند العرب واحد فقد قال بسطام بن قيس الشيباني لمن الكرة
وعلى من الكرة لما وقف عبد الله بن مسعود على ابي جهل وهو مثقل بالجراح يوم
بدر فقال له لمن الدائرة اليوم فقال ابن مسعود لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

يجهـذ شمس للحرب متزرا .: يحلل النصر فيا له من ليس

الجهـذ هو كامل لخصال الأبطال الجامع لما افترق من المحاسن في الرجال
والازار معروف والحلل برود اليمن كما لابي عبيدة والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة
حتى تكون ثوبين والحلة بفتح التاء دهن السمسم والحل بكسر الحاء ضد الحرام

والخليل الزوج والخليلة الزوجة. قال الفرزدق في حلقة الحسن البصري.

وذات خليل أنكحتها رماحنا .°. حلال على السابي لما لم تطلق

جواب عن الحسن رضى الله عنه لما سأله سابي كافرة عن حليتها فقال الحسن للفرزدق إنك مع شعرك لفقيره.

و قولي فياله من ليس هي صيغة تعجب كقولهم ياله رجلا وويله إنسان والله دره فارسا ولاشك في دخول من على هذه الصيغ إلا أن باب التعجب لما ذكر من هذه الصيغ بل لصيغتين مشهورتين وهما ما افعل وافعل به مرادي بهذا الجهد المشمر للحرب اميرنا المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان بآي ممدوحنا بهذه القصيدة فانه والله اتقن سوق العلم وغلاء سعره وعلا شأنه وعظم اهله فجمع بحزمه بين دينه ودنياه ولم يطاوع احدا في هواه فسياسته للخاصة اشادة وللعمامة سعادة بل بلطافة المستحسنة و مقاصده الحسنة

ومما يستصرف في هذا المعنى ويضاف الى صور هذا المبنى ان عبد الله بن أبي السمط لما قال في المأمون.

أضحى إمام المهدي المأمون مشتغلا .°. بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قال له المأمون ما قلت فينا شيئا انما جعلتني عجوزا في محرابها ويدها سبحتها فمن يقوم بأمر الخاصة والعمامة ومن يصادع الأمور الطامة عجزت ان تقول ما قال جرير في عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه .°. ولا غرض الدنيا عن الدين شاغله

وكيف أميرنا لا يجمع الخصال المحمودة والهداية المشهودة بل خليق بكل ذلك وجدير بجميع ما هنا لك لانه ذو بديهة معجزة وبصيرة مطرزة ولا يشق له غبار ولا يجدر في مضمار، ولا اختراعه الافتكار واقتراعه الأزهار ويطلع الانوار ويبعد الأزهار ضابط الملك بالآية رابط السلك بارائه فاق ابن مكرم في شجاعته وعمر في حماسه واحق ما يتمثل به في ممدوحنا المنصور بالله قول أبي العباس الدارمي في سيف الدولة ابن حمدان.

أمير العلا أن العوالي كواسب .°. علاك في الدنيا في جنة الخلد

يَمُرُّ عليك الحول سيفك في الطلا .°. وصرفك ما بين الشكيمة والبلد

وتمضي عليك الدهر فلك يرتضى .°. وقولك للتقوى وكفك للرقد

اتته الخلافة منقذة .°. اليه تجر اذبالها

فلم تك تصلح الا له . ولم يك يصلح الا لها
ولو اراد احد غيره . لزلزت الارض زلزالها
ولو لم تطعه مئات القلوب . لما قيد الله أعمالها
ومن قولي فيه بشري إلخ...

بشرى لأهل المغرب الأوسط أن لهم . ركننا وثيقا اليه تسند الامر
لقطب دائرة الملوك قاطبة . فخرهم إذا ما بالملوك افتخر
محمد الهمام المُخَشِّي بواده . يحلل النصر مرتد ومتزر
كم سد خلت في سنين مجذبة . واكسب الناس بعد عسرهم يسر
فالكل عمهم جوده ومعروفه . كما عم الخلق بضيائه القمر
ففارق الناس داء القحط كلهم . أهل القرى و أهل المدن والوبر
من كل فج اتوه لائدين به . نعم الملاذ ونعم السيد النصر
إذا جفا ارضهم غيث فقالوا له . بابي عثمان اخلفناك يا مطر
فالمجد والسؤدد و الحلم حيز له . كَحَوَزٍ ما اقتنص البزات والظفر
إذا جاورته لاتعبأ بحادثة . إذا أدرعت فلا تسال عن السمر

و قولي: من لبس اللبس بمعنى اللبس من باب شرب تقول لبس يلبس لبسا
بمعنى التخليط قال تعالى: "والبسنا عليهم ما يلبسون". قال المعري ابو العلاء في
الصدر الاول:

وانما في لبس الفتى شرف له . فما للسيف إلا غمدة والحماثل

نَكَبَ عن جانب طرق عواقبها . لم يستشر الا السيف والقنا الدعس

نَكَبَ أي عدل عن جانب أي جهة، طرق بمعنى طرق عواقبها أي مهلكاتها
وقولي ولم يستشر أي احد الا السيف فهو استثناء منقطع والقني بالقصر جمع قنات
والدعس أي الشديدة ويقال ايضا للطعن ويكنى به الجماع وهذا مبالغة في قوة عزمه
وحزمه ومما يليق رسمه بهذا الموضوع، وينخرط في سلك المجموع، ان المعتصم بن
هارون الرشيد العباسي لما حاصر عمورية إحدى مدن الروم وطال أمره عزم صبيحة
يوم ذي قروص على حربهم فقال بعض وزرائه لخادمه إذهب إلى المنجمين لعلمهم
يخبرونا عن حربنا هذا اليوم، فأتى الخادم من عند المنجمين بعدما نظروا في كيفية
ذلك و قال الوزير، قال لك أهل التنجيم إن حاربتهم هذا اليوم هزمك الروم وأبادوكم

فقال الوزير للخليفة ذلك فغضب وازداد عزمه وقال لا بد لي من الحرب اليوم و لا استشير الا السيف فسكت الوزير وتاهب الناس الى القتال فأرادوا إيتار قوسهم فلم يقدرُوا لفشل ايديهم ومفاصلهم من كثرة الجليد فامر مناديا يقول كل من عجز عن الايتار فَلْيَأْتِ بالقوس لاميِر المؤمنين يوترها له فاوتر تلك الصبيحة اربعة الاف قوس ثم زحفت الجنود الى القتال طوعا أو كرها ففتح الله على المسلمين فتحا عظيما و أكثر الشعراء في ذلك ومن أجاد فيه أوس بن حبيب الطائي المشهور بابي تمام حيث قال :

السيف أصدق أنباء من الكتب . في حده حدّ بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف . في متونهن جلاء لشك والريب
فحكم السيف لا تعباً بعاتبه . وسر بنا سيرة تبقى على العقب
فما تنال بغير السيف مرتبة . ولا ترد صدور الكمات بالكتب
وقال سعيد بن ثابت :

إذا هم القنى بَيْنَ عَيْنِيهِ عزيمة . ونكبا على طرق العواقب جانباً
ولم يستشر في امره غير نفسه . ولم يرض الا قائم السيف صاحباً
كان أبو جعفر كثيراً ما ينشد في جلسائه بعد قتله ابي مسلم الخرساني مؤسس الدولة العباسية قول بعض الشعراء :

طوى كشحه عن أهل كل مشورة . وبات يناجي عزمه ثم صمما
واقدم لما لم يجد مذهبا . ومنّ لم يجد بدا من الأمر أقدماً
ما احسنهما في هذا المعنى ولم اقف على قائلهما بعد الفحص والبحث.
فائدة للسيف اسماء كثيرة منها اسمه المشهور وهو السيف ومنها المخدم ومنها الرسوب قال علقمة بن عبده التميمي :

مظاهر سِرْبَالِيَّ عليهما . عقيلا سيوف مخدم ورسوب
ومنها الحسام قال الاحوص يخاطب مطراً
فطلقها لست لها بكف . و إلا يعلو مفرقك الحسام
والمشرفي كما في قول امرئ القيس :

أَيَقْتُلْنِي والمشرفي مضاجعي : . وَمَسْنُونَه زرقاء كانياب اغوال
والضمير في يقتلني عائد على زوج سلمى ومنها القاضي والقاضب قال أبو تمام :

يَمُدُّون من ايد عواصي عواصم .٠. يصلون باسياف قواض وقواضب
والأبيض ومن قول أبي تمام أيضا في مراثية محمد بن نهشل حين استشهد:
وقد كانت البيض القواضب في الوغى .٠. بواتر فهي الآن من بعده تبر
واما الصامصة فهي اسم سيف كما قال الشاعر

حاز صامصة الزبيدي عمر .٠. من بين الانام موسى الامين

ويقال انه من سيوف عاد بن عوص بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام. كان
أبو جعفر المنصور امر الجند ان يغيروا زيهم، بان يجعلوا قلنسوات طوال ويعلقوا
اسيافهم على أوساطهم ويكتب كل واحد في قميصه من عند الاكتاف "سيكفيهم الله
وهو السميع العليم" فقال الجند لما استثقلوا ذلك لابي دلامة: ان أبطلت علينا هذا
الذي أدِينالك جعلنا فدخل يوما على الخليفة وهو في ذلك الزي فقال له كيف أنت
يا ابا دلامة فقال واي خير فيمن صار وجهه في وسطه وسيفه معلق على استه وكتاب
الله وراء ظهره فضحك المنصور كثيرا وامر بتغيير ذلك الزي

لا يُثْنَى عن الرجاء غير مبتسم .٠. حتى يُزَالَه بالسيف والفرس

لا يُثْنَى أي لا يترك امرا يرجى نجاحه وطرق الموصل إليه غير سهلة حتى يزاوله
بالسيف والخيول والمزاولة المعالجة والمحاولة. قال الشاعر:

وقال رائدهم أرسو نزاولها .٠. فكل حتف امر يجري بمقدار

والضمير في نزاولها للحرب قاله في المطول ولم يسم قائل الشعر والفرس يقال
للذكر والانثى ولا يقال للانثى فرسة لكن تصغير الذكر فريس والانثى فريسة وفارس
وفارسان بالفتح قبيلة وابو فراس شاعر بني حمدان وفارس واحد الفرسان بالكسر
وجمعه على فوارس شاذ وفارس امة من اقدم أمم العالم وأعظمها ملوكا ونسبتهم الى
فارس من ولد ايرام بن اشور ابن سام بن نوح عليه السلام، وهم أهل العراق وفارس
ايضا اسم سلطان المغرب ابن ابي الحسن المريني وكنيته ابو العنان وكان ابو زيد
سيدي عبد الرحمن بن مخلوف من كتاب السرّ عنده و صنف تاريخه الكبير المشهور
كما اخبر بذلك في مقدمته، قال ابن مزيد:

إذا رام يحيي الامر ذل صعابه .٠. وناهيك من راع له ومدبر

تنبيه كثيرا ما يعبر العلماء والشعراء بهذا اللفظ وهو ناهيك واني وجدت معناه في
شرح الشريسي على مقامات الحريري ونصه يقال ناهيك من رجل وناهيك من رجل
أي انه ذو نجدة وعناية ينهك عن ان تطلب غيره فناهيك بمعنى كافيك إنتهى.

يقال فلان ناهيك به من فارس قال الحسن البصري رضي الله عنه ما كنت اظن ان الفارس يقوم مقام الف في الحرب حتى رايت عباد بن الحصين التميمي في احد وقعات دير الجماجم ومن الفرسان عمير بن الجباب القيسي وكان يدعى فارس الاسلام ومنهم الحريش بن هلال السعدي ومنهم الوليد ابن طريف الشاوي بايعته الخوارج ايام الرشيد فاستولى على نصيبين و الخابور و ما وراء ذلك فكان الرشيد يجهز له الجيوش فيهزمهم ويأخذ اموالهم وكان كثيرا ما ينشد في تلك الحروب :

جوركم اخرجني من داري . فبعث نفسي للاله الباري

ثم وجه اليه الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني فجرت بينهم حروب عظام وقتله اليزيد في آخرها ورثته أخته بالأبيات المشهورة التي منها.

أيا شجر الخابور مالك مورقا . كانك لم تحزن على ابي طريف

فتى لا يرضى بالعز الا من التقى . ولا مال الا من قنا وسيوف

خفيف على ظهر الجواد اذا عدا . وليس على اعدائه بخفيف

فلو كان فيه الموت يقبل فدية . فديناه من سادتنا بألوف

وكان لعنتر بن شداد العبسي في الحروب ايام مشهورة ومواقف مدونة مذكورة منها يوم الفروق الذي يقول فيه :

ونحن منعنا في الفروق نساءنا . نطرف عنها مشعلات عواشيا

حلفت لهم والخيل تردي بنا معا . نؤاؤلهم حتى يهرّ العواليا

يقال هرت القوم الحرب تهرة وتهره كرهته ومن أيامه يوم القرن بينه وبين بني تميم ويوم عراعر بينه وبين بني ثعلبة وغير ذلك،

ومن قولنا في ممدوحنا ابي الفتوحات المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان باي،

هذه الأبيات :

سلطان وهران ما خيب قاصده . زهت به وعلت اقاليم الامم

شد قواعدها بحرمة فَعَدَتْ . مكفولة به لم تيتم ولم تيم

يرثها أولاده بعده ابدا . كارث آل شيبة مفتاح الحرم

فالدنيا البست الهناء بطلعته . رشيدها الثاني جاءت به للعلم

عم باحسانه بدوا وحاضرها . كالغيث للهضبات يروي والاكم

في قبة من نوافذ شيدت عن حسب . وجعفر بن يحيى بها من الخدم

وابن امامة وابن سعد تابعه . . . وحاتم ابو دلف مع هرم
تعودت كفه بسط الجسم فلو . . . اراد قبضها لم تطعه بل تهم
سار مسير زحل في منازلها . . . وهب كالريح في الاراضي والاطم
شمس ظهرت في أعلى الأفق ساطعة . . . أضاءت الخلق من عرب و من عجم
ملوك أقطار الأرض هم كواكبها . . . شعاع أنواره وأراهم كالظلم
بشرى فقد انجز الاقبال موعده . . . بالكوكب السعدي لم يقل ولم يرم
ذو المفخر اعيتهم مآثره . . . من دون ادناها وقفوا على العدم

ولما انشدت مثلها على هذا الروي بين يدي شيخنا سيدي محمد بيرم مفتي
الحنفية في تونس وذكرت فيها البدو كهذه وكنت كسرت واو به ونونته في ظني انه
منقوص فقال لي انصبه فليس هو من الاسماء المنقوصة فقلت له رايته مرات بالياء
فقال لي لعل الياء التي رايته فيها جيء بها للنسب فتنبعت عن الغفلة من هذا
الامر المعلوم كانتباهي من النوم

قاد المقانب للجهاد رائدها . . . ينبغي كفاح ذي التثليث والحرس

و المقانب واحدها مقنب، وهي الكتيبة من الخيل من الاربعين الى الستين او الى
المائة، والمراد بهم الجيوش والاجناد، قال ابو الطيب المتنبي في مدح سيف الدولة بن
حمدان لما فتح خرشنة إحدى مدن الروم.

قاد المقانب لا يرضى استرجاعها . . . كالموت ليس له ري ولا شبع
هذا في الجمع و قال كعب بن زهير المزني في المفرد في مدح الأنصار
من اراد كرم الحياة فلا يزل . . . في مقنب من صالح الانصار

والرأئد في الاصل الذي يتقدم القوم لطلب الماء و الكلاً، والمراد به هنا الأمير على
الاجناد ورئيسها ومقدمها، فإذا حسن رجوع الضمير للمقانب ورجع مؤنثا لانه معنى
الكتائب أو القبايل. انظر مثله في الخفاجي عند قول الشفاء، قالت قريش و قال
الشاعر رائدهم أرسوا نزاولها أي قال رئيسهم و مقدمهم أرسوا أي أحبسوا، ومقدمهم
أرسوا، أي احبسوا، نزاولها في الحرب والكفاح. قال الأصمعي كافحهم إذا
استقبلوكم في الحرب بوجوههم ليس دونهم ترس ولا غيره والتثليث لقوله تعالى "قد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة" الآية. تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، وان
أردت الوقوف على ذلك انظر شرح الكبرى عند قول الشيخ السنوسي ومن هنا تعلم
وجوب تنزيهه تعالى الخ وحاشية اليوسي هناك فاني رايت عدم الخوض في ذلك

احسن في هذا الكتاب، أو أنظر ابن خلدون في الخبر عن الملوك القياصرة المنتصرة من اللاتنيين و هم "الأكيتوم".

و قولي و الجرس الصوت الخفي، و في الحديث يسمعون جرس طير الجنة. الأصمعي: كنت في مجلس شعبة بن الحجاج و قد قال فسمعوا جرش طير الجنة بالشين المعجمة فقلت جرس بالسين، فنظر إلي وقال خذوها عنه فإنه اعلم بهذا منا وأجرس الحلي إذا سمعت صوت جرسه، قال الحجاج :

تسمع للحلي اذا ما وسوسا .°. وارتج في أجياها وأجرس

والجرس بالفتح فقط الذي جرب الأمور، يقال جرسه الأمور أي جربته ومرادنا هنا صوت الناقوس وقد استعمل في كلام البلغاء واهل اللغة كثيرا. ومن ذلك ان ابن مردنيش أمير بلنسية لما ضايقه العدو بعث كاتبه ابا عبد الله ابن الآبار لأبي زكريا الحفصي عام 636 يستصرخه للمسلمين وانشد قصيدة يستحثه فيها و قال محل الشاهد وهو:

ما للمساجد عادت للعداء بيعا .°. و للنداء يرى أثناء ها جرساً

قال الجوهري في فصل النون من باب السين: نقص الناقوس الذي يضرب به النصارى لاوقات الصلاة، قال جرير.

لما تذكرت بالديرين رَقْنِي .°. صوت الدجاج وضرب بالنواقيص

والنقص ضرب الناقوس و في حديث عبد الله بن يزيد كانوا ينقصون حتى رأى عبد الله بن يزيد الاذان في المنام وكانت ام خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد بن كرز البلخي المعروف بالفهري امير العراقيين لهشام نصرانية وكان قد بنى لها كنيسة تتعبد فيها وفي ذلك يقول الفرزدق يهجو

الاقبح الرحمان ظهر مطية .°. تتهادى من دمشق بخالد

وكيف يأم الناس من كانت امه .°. تدين بان الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها الصليب لامة .°. و يهدم من بعض منار المساجد

وذكر الطبراني ان هشام ولى خالد العراقيين سنة 105 و عزله سنة عشرين وسببه أن امرأة مسلمة أتته شاكية بغلام له مجوسي وطئها غصبا فقال لها كيف وجدت فعلته فكتبت حسان النبطي الى هشام بذلك فعزله وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج و أمر بحبسه و التضيق عليه واستمر في الحبس حتى قتله ايام

الوليد بن يزيد سنة 126 بالحيرة على فرسخ من الكوفة وكان خالد من المشهورين بالبلاغة والجود وأخباره كثيرة.

حتى أقام علة أرباض وهران لا . . تحصى عساكره بالعد والحدس

الأرباض جمع ربض وهو ما حول المدينة، قال أبو الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة

حتى أقام على أرباض خرشنة . . تشقى به الروم والصلبان والبيع.

و الحدس الظن و التخمين يقال هو يحدس بكسر الدال لأنه من باب ضرب، أي يقدر شيئاً بالظن و حدست بسهم أي رميت و حدسته برجلي أي وطأته قال الشاعر.

بمعترك شط الحُبَيَّا ترى به . . من القوم محدوسا و آخر حادس.

و الحدس ليل شديد الظلمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا خيبر أصبح ذات يوم بجنوده في ساحتها فخرج اليهود من المدينة بمكاتلهم ومجارفهم لخدمة البساتين فمن رأى منهم العسكر قال محمد والخميس أي هذا محمد والجيش فقال صلى الله عليه وسلم: الله اكبر خربت خيبر إننا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. فخيم أميرنا المنصور بالله على وهران بجحافله وأنأخ عليها بكلاكله، قال الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره . . تعددت الاسباب والموت واحد

ومن اللطائف الرقاق وغرائب الإنفاق إن صاحب البيت وهو ابو نصر عبد العزيز محمد بن نباتة التميمي السعدي قال: دق على الباب رجل يوما أول النهار فخرجت له وقلت من أنت، قال شرقي قلت ما حاجتك، قال: أنت القائل ومن لم يمت بالسيف مات بغيره الخ، قلت نعم، قال ارويه عنك، قلت نعم، فرواه ومضى.

واتى آخر، آخر النهار ودق الباب فقلت من؟ قال رجل من تاهرت بالمغرب قلت ما حاجتك قال أنت القائل ومن لم يمت بالسيف الخ قلت نعم قال ارويه عنك قلت نعم فرواه ومضى و عجبت كيف وصل إلى و حلَّ إلى أقصى المشرق و المغرب و مات صاحب هذا البيت سنة 405.

جند عرمرم لا شيء يقدم له . . يضيق عنه فضا الأثلاث و المفس

عَرْمَرُم أي كثير ويقدم له أي يثبت له في الحرب والفضاء أي المتسع من الارض والأثلاث هو الموضع الذي قتل فيه إخوة بيهس واستحيوه لصغر سنه وكانوا بعد

قتلهم اقتنصوا و حشًا و فصلُّوا لحمه فقال بعضهم: ضلُّوا لحكمكم فنطق بيهس: إن بالأثلاث لحما لم يضل فذهب مثلا فقال أكثرهم هذا الصبي يأتينا منه شرا فلا بد من قتله فمنعهم باقية عنه فلما ذهب لاهمه سألته عن اخوته فقال قتلوا فقالت ولم تركوك أنت، فقال لها لو خيرك القوم لاخترت فذهب مثلا ثم أخذ بثأره منهم بعد ذلك ومعه عمُّه خالد ابو حنش وهي قصة معروفة و بيهس من أسماء الاسد و المفس موضع بازاء القيروان و قصته أن معاوية رضي الله عنه لما صفت له الخلافة، ولي عقبة بن نافع الفهري على المغرب فاخترت القيروان سنة 47 وافترق امر الافرنج وصاروا الى الحصون وبقي البربر بضواحيهم الى ان ولي يزيد بن معاوية فولى على افريقية ابا المهاجر المولى ورئيس البربر يومئذ كسيلة من البرانس ويرادفه سكر دبر بن رومي من أوربة اسلما أول الفتح ثم ارتدا لدين النصرانية وعند ولاية أبي المهاجر اجتمع اليهما البرانس وزحف إليهما أبو المهاجر حتى هزمهما الى يسر بإزاء تلمسان وفض جمعهم فظفر بكسيلة فاسلم وأطلقه ثم ولي عقبة بعد أبي المهاجر ثانية على افريقية وزحفت اليه جموع البربر بالزاب ففضهم ثم تراجعوا الى السرسو قبلة تاهرت فهزمهم أيضا وسار على تبعمهم حتى دخل المغرب الاقصى واطاعته غمارة الى ان وصل الى وليلي وجبال درنة غربي مراكش فحاصره المصامدة أهلها فنهضت إليهم زناتة من المغرب الاوسط فأفرجوا عن عقبة واثخن فيهم حتى اسلموا ودوخ بلادهم ثم جاوز إلى صنهاجة أهل اللثام فأتخن فيهم وانتهى الى ترودانت فاثخن فيهم و في مسوفة وراء السوس وسبى منهم ورجع وكسيلة أسيرا معه وذلك لما قدم في هذه الولاية الثانية سنة 62هـ، اطلع على أبي مهاجر صحبة كسيلة واثقه واخذه معه الى ان انتهى الى البحر المحيط وقد دوخ البربر كلهم كما مر وزاد الشيخ علي بن ثابت في شرح البردة ان عقبة بن نافع الفهري، خاض فرسه في البحر المحيط حتى وصل الماء الى ركبة الحصان ثم وقف وقال اللهم انك تعلم لو لا هذا البحر منعني لعبرت الى جهاد اعدائك بالأندلس ثم رجع وهو في كل ذلك يستخف به أي بكسيلة وامره يوما بسلخ شاة بين يديه فدفعها كسيلة الى غلمانها وارغمه عقبة ان يتولى سلخها هو نفسه وانتهره فقام اليها مغضبا (كذا) وكلما دحس يده في الشاة مسحها بلحيته وقال العرب ما هذا يا بربري وهو يرد عليهم هذا جيد للشعر فقال شيخ منهم البربري يتوعددهم بمكيدة وقد كان أبو المهاجر ينهى عقبة عن اهانتة واعتقاله وقال له كان صلى الله عليه وسلم يستألف جبار العرب و انت تعمد إلى رجل جبار في قومه بدار عزه قريب عهده بالشرك فتفسد قلبه وَخَوْفُهُ فتكه فتهاون عقبة من قوله فلما وصل طبنة قافلا عن هذه الغزوات الطويلة صرف العساكر افواجا ثقة بما دوخ

من البلاد فارسل كسيلة إلى قومه فقتلوا عقبة واصحابه كلهم رضي الله عنهم ولم يفلت منهم احد و كانوا ثمانية و ثلاثمائة من الصحابة و التابعين و منهم أبو المهاجر فأبلى بلاءا حسنا وقبورهم بارض الزاب الى الآن وقد جعل على قبر عقبة مسجدا عرف باسمه تصلى فيه الجمعة، وبنيت المدينة حوله وهو من الأضرحة المشهورة بالبركة والزيارة و أُسِر من الصحابة يومئذ محمد بن اوس الأنصاري ويزيد بن اخلف القيسي وما بقي معهما ففداهم ابن مصاد صاحب قفصة وبلغ الخبر زهير البلوي بالقيروان فخرج هاربا بجلّ المسلمين، و نزل برقة و قام ينتظر المدد من الخليفة و دخل كسيلة القيروان و أمن فيها أهل الإثقال و الذراري من المسلمين و بقي ملكا على إفريقية مدة خمس سنين، لما قارن ذلك مهلك يزيد وفتنة الضحاك بن قيس الفهري بمرج رابض مع ما اتصل ذلك من حروب آل الزبير رضي الله عنه فاضطرب امر الخلافة واضرمت المغرب نارا وفشت الردة فيه فلذلك قال الشيخ محمد بن ابي زيد "و ارتد أهل المغرب اثنا عشر مرة ولم يرسخ الايمان في قلوبهم الى ان قطع طارق بن زياد الى الاندلس وقطع معه كثير من رجالهم وفتح الله عليهم فعند ذلك ايسوا من الكفر "انتهى. واستمر ملك كسيلة بافريقية الى ان صفت الخلافة لعبد الملك وكان زهير مقيما ببرقة منذ موت عقبة وأصحابه فبعث إليه عبد الملك بالمراد فرحف بالاف من جنود طالبا ثأر عقبة و زحف إليه كسيلة بجنود عظام فالتقوا بمفس من نواحي القيروان واشتد القتال ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومنح الله العرب أكتافهم فقتلوا منهم ما لا يحصى و كان ذلك سنة سبع و ستين (67)، ثم صاروا يهزمونهم بعد ذلك المشهد جمعا بعد جمع الى واد ملوية فحينئذ ذل البربر وحصد العرب شوكتهم و قتلوا فرسانهم و استولى العرب على ويلي وهي بين فاس ومكناسة بجانب جبل زرهون ومن ثم اتصل تدويخ جيوش القيروان وان للمغرب مرة بعد أخرى إلى أن نزل عليهم ادريس الاكبر رضي الله عنه فبايعه البربر وقاموا بأمره فتم له الملك و لأولاده إلى أن ظهرت دولة الفاطميين ملوك المهديّة والله غالب على أمره لا اله الا هو.

هلا هنيئا له التمكن ساحتها .: سلاه كسيت الاوعار والوعس

سلاه جمع سلهب قال الجوهري السلهب من الخيل الطويل ويقال بالصاد ايضا ووصف اعرابي فرسا فقال إذا عزّ سلهب واذا قيد جعلب، و إذا إنتصب أتلاب و الوعر المكان الصعب ضد السهل والوعس يقال ارض وعسا أي لينة سهلة و المعاييس الأرض التي لم تطأ و أو عسنا مشينا ليلا

و مما يستصرف في هذا: أن يزيد بن المهلب أغزاه سليمان بن عبد الملك
أذربيجان فظفر و سبى فحصل لرجل من جنده جارية جيدة فكتب إلى زوجته يقول
ألا أبلغ أم البنين وقل لها . غنينا واغتنينا السلاهة الجرد
بجيد مناط المنكبين إذا جرى . و بيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذه لايام العدو وهذه . لحاجة نفسي حين ينصرف الجند
فلما قال كتبت اليه هذين البيتين
إلا أقراه السلام مني وقل له . غنينا واغتنينا القطارفة المرد
فلا قفل الجيش الذي انت منهم . وزادك رب الناس بعدا على بعد
فلما وقف على ما قالت خاف الفضيحة، لما جبل على النساء، من الغيرة وبعث
إليها الجارية تخدمها والاجرد في الخيل الذي رقت شعرته وقصرت وهو ممدوح في
الخيول والجريد فضاء لا نبات فيه وموضع بارض تميم
وقولي هنيئاً هذا دعاء منا لأميرنا المنصور بالله وشاع هذا الدعاء في اشعار العرب
فمن ذلك ما كتب به بدران الى اخيه الأمير ديبس بن سيف الدولة وهو نازح عنه
ألا قل لمنصور وقل لمسيب . وقل لادريس إنني لغريب
هنيئاً لكم ما في الفرات وطيبة . اذا لم يكن لي في الفرات نصيب
فكتب اليه ديبس
ألا قل لبدران الذي جاء نازحاً . الى ارضه والجد ليس يخيب
هنيئاً لايام السرور فانما . عذار الاماني بالهموم يشيب
أي ملأ الساحة وهران بالابطال وغلب الرجال ولما وفد عامر بن طفيل العامري
الأعور أحد فرسان الجاهلية المشهورين على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا
عامر ألا تكف عن جحودك قال على شرط أن تجعل الأمر من بعدك لي، فقال صلى
الله عليه وسلم ذلك لله تعالى، ولكن اولئك اعنة الخيل في سبيل الله قال له عامر أو
ليست هي بيدي اليوم لاملان عليك لابييتها بالف شقراء. فلما انصرف من عند النبي
صلى الله عليه وسلم هو و ابن عمه أربد بن قيس فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده وقال اللهم اكفني عامر بن طفيل فاخذته غدة فمات في طريقه في بني سلول ولما
حضرته الوفاة قال غدة كغدة البعير وموت في بيت امرأة سلولية. ومما قلت في
المنصور بالله:

كثيرا ما تراه نحو وهران غازيا . بجند عرمرم الى الروم فاجع

يقود الجيوش كل حين اليهم . فكانت له مع الاعداء وقائع
 ترى كل بطريق وان كان قومهم . بقصر امامنا لنفسه باخـع
 فان ابعدوا يوما لاجل رعاية . او مُحْتَطَبٍ تخطفهم زعازع
 من فرسان إسلام ضراغم غارة . حماة كماء كالصقور صوادرع
 من جند أمير المؤمنين محمد . وكل فتى شهيم في قرنه طامع
 يرثون العلجات حزنا ونكبة . وشق الجيوب فاقدات البراقع
 ملوك بني خاقان قد علا مجدهم . بملك همام للمآثر جامع
 بملكه زاد الملك حسنا وبهجة . وكوشى ثياب حسنة الصنائع
 فانه قطب دائرات تملوكهم . وقد حاز قصب السبق ليس بدافع
 سليم بن عثمان كهو في عصره . أوائل عاشر وآخر تاسع
وقام فيها بأمر الله منتصرا . كالصارم آهتز او كجود منجسس
 أول آية نزلت في الجهاد قوله تعالى "اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على
 نصرهم لقدير"

قال ابن عباس وابن جببر نزلت عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة
 وآية الامر به هي قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يَلُونكم من الكفار"،
 وقالت جماعة من المفسرين معنى هذه الآية ان الله تبارك وتعالى امر فيها المؤمنين ان
 يقاتلوا كل فريق منهم الجنس الذي يليه من الكفرة وقولي كالصارم اهتز الصارم من
 اسماء السيف أي قام على وهران محاصرا لها ومضايقا لأهلها شمر ذلك تسمير المجد
 واهتز اهتزاز مهند قال الحطيئة:

"معيد ومتلاف اذا ما اوتيته . تهلل واهتز اهتزاز المهندي"

والجود بفتح الجيم وسكون الواو وبالดาล المهملة المطر الغزير ومعنى منجس أي
 منفجر فكان جوده وسع الغزاة والجنود ومعروفه عم الصفات والجود كما قال الشاعر
 في خالد بن عبيد الله القيسري:

تفرعت لي بالجود حتى نعشتني . وأعطينني حتى حسبتك تلعب

فانت النداء وابن النداء واخواننا . حليف النداء ما للنداء عنك مذهب

وكان امرينا في جوده لا يجاري وفي شدة باسه لا يصاري فكان ذلك في جانبه
 مشهور كتميم او باديس بن المنصور، وكان هذا باديس أمير افريقية والمغرب من قبل

سلطان مصر الحاكم العبيدي وكان باديس إذا هَزَّ رمحا كسره. مات سنة 406 أربعمائة و ستة، وسبب موته انه حاصر تونس لما فتكوا باهل جنده من الشيعة وعزم على خرابها وقال تبقى ارض تحرث ولا تبقى تونس وعرضت عليه عساكره من اول النهار الى نصفه فسر بذلك، ففرغ أهل تونس إلى ولي الله سيدي محمد بن خلف المشهور بسيدي محرز سيد تونس وتضرعوا اليه في ذلك، فقال لما قالوا له ما قال باديس "بل تبقى تونس ولا يبقى باديس" ثم قال "اللهم يا رب باديس اكفنا باديس" فمات من ليلته ودار ملكه إذ ذلك القيروان فَحْمِلَ إليها، هذا الذي رويته بتونس في ذهابي للحج ببعض التواريخ من إن حصاره كان على تونس وقال ابن خلكان ان ذلك وقع في محاصرته لبعض قرى طرابلس و الله أعلم. وتوفي الشيخ محرز سنة 413 وعلى ضريحه في تونس مشهد عظيم وهو سبب رسالة ابي زيد لانه هو الذي أمره بوضعها ومات الشيخ ابن أبي زيد سنة 396 ثلاثمائة و ستة و تسعين من القرن الرابع نفعنا الله بهم آمين. ولما وصلت رسالته الى ابن زرف بفاس لم يعتن بها ولما وصلت الى القاضي اسماعيل بن المسيب ببغداد وابن القصار والقاضي عبد الوهاب وغيرهم فاعتنوا بها وعظموها فكانت تباع المائة دينار ذهباً ومما ينخرط في هذا المبحث في فنون الجود أن أبا الفرج الموصلي لما ضاقت به الحال عزم على قصد ابن زريق وزير مصر وعجزت قدرته على نفقة زَوْجَتِهِ بَعْدَهُ، كتب إلى الشريف ضياء الدين الحسيني نقيب العلويين بالمَقْصَر الموصلي بهذه الابيات :

و ذات شجو ارسال البين عبرتـها . فقامت تؤمل بالتقييد أمساكي
من لي اذا غبت في المحل قلت لها . الله وابن عبد الله مَوْلَاكَ

فتكفل الشريف المذكور بجميع ما تحتاجه الزوجة إلى أن قدم ثم انقلب من مصر بمال كثير واشتغل يدرس بحمص وقال الكاتب في الخريدة في شأن أبي الفرج ما زلت وانا بالعراق، إلى لقائه مشتاق فاني كنت اقف على قصائده المستحسنة ومقاصده الحسنة وشهدت كفايته وسجلت بان أهل العصر لم يبلغوا الى غايته. فلما حاصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردي حمص خرج إليه أبو الفرج المذكور فقدمته الى السلطان وقلت له هذا الذي يقول في قصيدته الكافية التي مدح بها بن زريق :

المدح لترك ابقى الفضل عندهم . والشعر لا يزال عند الترك متـروك
قال فاعطاه السلطان وقال حتى انه لا يقول متروك ثم مدح السلطان بقصيده يقول في اولها :

قال للبخيلة بالسلام تورعاً . كيف استحلّيت دمي ولم تتورع

وزعمت ان تصلي بعام قابـل . هيهات ان ابقى الى ان ترجع
 ما كان شرك لو غمرت بحاجب . يوم التفرق أواشرت باصبع
 مات ابو الفرج سنة 580 قال المؤلف رحمه الله تعالى
ثغر لمغراوة حلوه سابقة . على يد الأموى سلطان أندلس

وقولي ثغر بدل وهران انه بدل مطابق والثغر هو الذي يكون على سيف البحر
 بكسر السين أي ساحله يقع الخوف من العدو فيه كعسقلان ودمياط بدال مهملة
 وحكى بعض اعجامها ذكره السيوطي وهاذان الموضعان مشاهد فيهما الخوف إلى الآن
 وأكثر خوفهما من أهل مالطة أذلهم الله وأهلكهم ولهم شهرة بذلك الساحل كما
 حدثني بذلك صاحب القريحة الوقادة، والبصيرة المتقدمة خاتمة العلماء والادباء
 ورئيس الشعراء والخطباء: أخونا سيدي محمد المسيري¹¹⁸ عالم الإسكندرية وقال لي
 أن عسقلان الآن خراب وان اهل دمياط لهم اعتناء بالقراءة حتى أن فيهم ستين امرأة
 محققات القرآن حفظا و إمعانا و تحقيقا واتقانا و من الثغور المشهورة: صور
 وطرسوس والإسكندرية ونحوها من السواحل التي يتوقع فيها خوف العدو وليس من
 ثغور. جدة بضم الجيم لان الثغر محل رباط وانما هي محل تجارة. قال ابن عرفة:
 إذا ارتفع الخوف عن الثغر لقوة الإسلام به أو بعده عن العدو زال حكم الرباط.

تنبيه: اختلف إذا سكن بأهله في محل الخوف هل هو رباط الذي اختاره الباجي
 أو ليس برباط وهو قول مالك، قولان. وقولي لمغراوة هذه القبيلة هي إحدى القبائل
 الكبار من برابرة المغرب و كان لهم ملوك ورؤساء و عمال من قبل الإسلام. قال ابن
 خلدون و كان لمغراوة ملك كبير أدركهم الإسلام عليه و قال في موضع آخر و كان دين
 البرابرة المجوسية، و في بعض الأحيان يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم فقد
 نقل ابن الكلبي أن حمير أبو القبائل ملك المغرب مائة عام و بنى بها مدينة صقلية،
 وأن الروم كانت تغزوهم و خربوا قرطاجة و هي التي بين تونس و البحر مما يلي
 الشمال، ثم جددوا بناءها بعد تخريبها سنة 900 تسعمائة من بنائها و 700
 سبعمائة لبناء رومة لأن بناءها الأول كان قبل بناء روماش لرومة إثنين و سبعين سنة
 (72)، و باسمه سميت رومة و أول من بناها ديدون بن أشياس من نسل عيصوا بن
 إسحاق عليه السلام و هي قاعدة إفريقية و لم يذهب رسمها إلا في وسط القرن السابع
 لما أمر بتخريبها المنتصر الحفصي ممدوح حازم صاحب المقصورة ثم إن الروم إختطوا
 سبيطة قبله الكاف و جلولة و مرناق و غيرهما من المدن التي خربها المسلمون، و قد
 كان البربر لما غلب عليهم ملك الروم و بنوا هذه المدن دانوا بدين النصرانية. و أدوا

¹¹⁸ نسخة أ: محل رباط المسلمين وجدة ليست محل رباط وإنما هي محل تجارة

إليهم الجباية كما يؤديها لهم ملك طرابلس و الأندلس والسكندرية و غيرهم لأن الروم كانوا غلبوا على هؤلاء أجمع و عنهم أخذوا دين النصرانية فولى الفرنجة أمراء إفريقية و لم يكن للروم بها ولاية و ما يوجد في كتب فتح إفريقية من ذكر الروم فمن باب التغليب و "جرجير" الذي قتله سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه إفرنجي و بعض البربر يدينون بدين اليهودية جلبوه من بني إسرائيل و هم إجراوه أهل جبل أوراس و نفوسة قبدلاوة و مديونة حتى محى إدريس الأكبر جميع أديانهم واستمر استيلاء الإفرنج على البربر إلى أن زحف إلى إفريقية عبد الله بن سعد بن صرح أحد بني عامر بن لؤى في زمان عثمان رضي الله عنه و قد كان أخوه من الرضاة فولاه مصر ثم أمره بغزو إفريقية سنة (29) تسع و عشرون و قد أتى معه إلى الغزو من الحجاز أربعة آلاف 4000 من الصحابة و أولادهم رضي الله تعالى عنهم فيهم عبد الله و عاصم ولدا عمر بن الخطاب و عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم كما ذكره ابن خلدون و غيرهم و كان جرجير ملكا بين طرابلس و طنجة ودار ملكه سببيلة فلقى المسلمين في مائة و عشرين ألف و المسلمون في عشرين ألف فكان من هزيمة الصحابة لهم وما نفلهم الله من أموالهم و بناتهم التي اختصت منهن إبنته أمينة بقاتله عبد الله بن الزبير لعهد المسلمين له بذلك بعد الهزيمة و في بعض التواريخ أن جرجير قال من قتل أميرهم إبن سعد فله ابنتي فلما سمعها ابن سعد قال للمسلمين من قتل جرجير فله ابنته فلما قتله ابن الزبير سكت و لم يدع قتله فلما اجتمع السبي قال الأمير: من قتل جرجير فليأخذ ابنته فلم يجبه أحد قالت إن الذي قتل أبي أعرفه فعرضوا عليها العسكر فخرجت على ابن الزبير فقبل له لَمْ لم تتكلم فقال إنما قتله لله لا لإبنته ثم إن الأمير عبد الله بن صرح قسم الغنيمة و بعث الخمس مع ابن الزبير المبشر بالفتح فأخذ برقة بعبيده و حشمه فمات أكثر الإبل ببرقة حتى صارت أمينة تعاقب خادم ابن الزبير على بغير فكان اذا ركبت عقبته قال لها ذلك الخادم يا ابنت جرجير تمشي عقبك لتحملن من قبل قربتك ان عليك بالمدينة ربك فلما فسر لها ذلك أنفت من ان تكون أمة لغيرها فسقطت على راسها من فوق البعير فماتت ببرقة هذا تحقيق امرها بلا منازع ودع عنك ما سواه فهو جعاجع. ثم إن ابن صرح بعد قسم الغنائم شن الغارات في بطائح افريقية، ثم لقيتهم مغاوة ببعضها ووقع بينهم حرب عظيم ثم انهزموا وتقبض المسلمون في تلك الهزيمة على اميرهم وانزمار بن صقلاب جد بني خزر فرفعوه الى عثمان فاسلم على يديه ومن عليه واطلقه في امارته فذلك سبب اسلام مغاوة كلهم ثم ان الفرنج

صالحوا المسلمين على ثلاثمائة قنطار ذهب على ان يرحلوا عنهم ففعلوا ورجعوا للمشرق واشتغلوا بفننة الجمل وصفين وهذا القول الذي ذكرناه في شان اسلام وانزمار هو الذي خرج عليه "بغية الرواد في أخبار بني الواد" من أن مغراوة موالي عتق لبني أمية مع انه ان صح لم يكن الولاء لهم إلا على بني وانزمار وحدهم ولا شك ان وانزمار لما رجع من المدينة النبوية مسلما اسلم قومه تبعاً له ومعلوم انه لم يجر عليهم سبي ثم اسلموا بعده وهذا هو المتعين لان شرط صحة الملك السبي بشرط الكفر وهذا امر إتفق عليه الفقهاء وقد بسط الكلام، في ذلك الشيخ أحمد بابا في تأليف مستقل جامع و مانع. هذا، وان ابن خلدون نفسه ذكر في موضع آخر ما ارتضاه صاحب بغية الرواد بل هو المعول عليه عنه و يدل له أنه لما ذكر صنهاجة و نسبهم و عدّ قبائلهم قال و لصنهاجة ولاية لعلی بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه كما أن لمغراوة ولاية لعثمان بن عفان الأموي رضي الله عنهم إلا انا لا نعرف سبب هذه الولاية ولا اصلها بلفظة ومن مغراوة بنو خَزْروم ملك طرابلس ومن مشاهيرهم سعيد الذي قتله بنوا زغبة بن هلال لما نزلوا هناك آتين من المشرق وسط المائة الخامسة ومنهم بنوا فلفول ومن مشاهيرهم خزرون الذي زحف الى سجلماسة سنة (366) ثلاثمائة ست و ستين فهزم ولد الشاكر و قتله واستولى على بلده و بعث برأسه إلى قرطبة مع كتاب الفتح للسلطان هشام المؤيد الذي أبو داود القارئ من موالیه كذلك أول حُجَابِه المنصور بن بي عامر و بقتل ولد الشاكر انقرض ملوك مكانسة من المغرب الى الآن ومنهم بنو خزر أصحاب المغرب الأوسط ومن الذين اختلطوا مدينة وهران، كما يأتي من مشاهيرهم محمد بن الخير واشرفهم نسباً. من ذلك ان الناصر الاموي ملك قرطبة لما ولي يعلى بن محمد الافريني المغرب الاوسط نزع محمد بن الخير من طاعته إلى طاعة الشيعة ووفد على المعز الى افريقية فوافق تجهيز المعز كاتبه جوهر المعروف بالقائد الرومي الى غزو المغرب سنة(48) ثمان وأربعين فاتى معه وكان عنده بمكانة رفيعة وهو سبب قتل جوهر ليعلى لما لقيه بتاهرت وخرّب مدينته التي بناها بايفكان ولما جاز جوهر الى المغرب كان معه وحضر جميع وقائعه ولما شرق جوهر اقره على عمله وكان له مع الشيعة حروب عظام قبل تقليد طاعتهم ثم فسد ما بينه وبين الشيعة و تقلد طاعة بنى أمية و حشد جميع زناتة المغرب الأوسط ماعدا تاهرت لأنها مستمرة في عمل الشيعة إلى انقضاء دولتهم وامتدّ المرواني من قرطبة بما اراد من الجند ونهض من وهران يجر الامم بحذافرها فلما سمع بذلك زيري جمع الجموع التي لم تعهد مثلها في الدهر إلا قليلا فلما اجتمعت عليه بدار ملكه أشير عقد عليهم لأبنه بلكين، فالتقى الجمعان بالبطحاء*

* البطحاء : مدينة مشهورة في تاريخ الجزائر الوسيط تقع بين مازونة و قلعة بني راشد و يؤكد الشيخ المهدي البوعيدلي أنها "المطر" الحالية قريبة من غيليزان.

فدارت بينهم حروب في الدهر لم يكن مثلها يوما¹¹⁹ ثم آنحلّ مصاف مغراوة وجموعهم ولما أيقن محمد بن الخير بالهلاك وعلم انه احيط به مآل الى ناحية من عسكره وذبح نفسه وانهزم قومه في سائر يومهم وبقيت عظامهم ماثلة بمصارعهم أعمرا فهلك من مغراوة بضعة عشر اميرا فاخذ بلكين رؤوسهم وانقلب بها الى ابيه ظافرا ثم بعثها زيري إلى افريقية للمعز فامتأ المعز سرورا و غم المنتصر الأموي بقرطبة فعلا، بسبب ذلك، علّا بلكين على سائر عمال المغرب و لما عزم المعز على الرحيل إلى مصر لما بنيت له استدعي جعفر بن علي عامل المسيلة لتولية إفريقية فهرب لظنه انها خديعة فلحق بمغراوة فالتقوا بيده زمام امرهم وقام بدعوة الحاكم المرواني فزحف لهم زيري واقتتلوا قتالا شديدا وكان المعز ولاءه جميع افريقية فكانت على صنهاجة وركب زيري فرسه فاحتزوا راسه و بعث به إلى الحاكم المرواني بقرطبة سنة 360 لست وعشرين من ولايته فأخذ مغراوة ثأرهم وشفي غليلهم وتهدم بزيري بنيان قوم

والدنيا يــــوم بيــــوم . والدهر قاضي ما عليه لوم
ثم نهض ابنه بلكين الى الاخذ بثأره فكانت له مع مغراوة حروب صعب و من نظر إليها يشيب لها راس الغراب ووافق ذلك رحلة المعز إلى مصر، وقلده أمر طاعته كله الى برقة فاتسعت مملكته وعلا صيته ولم يخرج من عمله سوى صقلية فافر عليها المعز ابا الحسن الكلبي ومدينة طرابلس اقر عليها عبد الله الكتامي وسماه يوسف بدلا من بلكين فانتهت غزاته إلى أقاصي المغرب و ملك فاس وسجلماسة وطرده جميع أولياء الشعبية و تقبض على ابن خزر المغراوي فقتله و فر من بقي من ملوك زناتة مثل يدّ بن علي اليفرني و بنو عطية و غيرهم ولاذوا بسبته و بعثوا الصريخ إلى المنصور بن أبي عامر، فخرج من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء وأمدهم بعساكر جمّة وولى عليهم ابن حمدون و عقد له على حرب بلكين و أمده بمائة حمل من المال فاجازوا البحر و ضربوا مصاف القتال بظاهر سبته و بلكين بعساكره في تطوان فتحيل و أضل على عسكرهم فرأى ما أدهشه و قال هذه أفعى فاغرت إلينا فاها فكرّ راجعا فهدم البصرة** و جاهد في برغواطة فسباهم و بعث بذلك إلى القيروان وأذهب دعوة بني أمية من المغرب كافة ولم تزل تارة مشردون منه بالصحراء إلى أن هلك سنة (73) ثلاث و سبعين و ثلاثمائة ومن مغراوة بنوا حمدان ملوك البصرة ومنهم بنو

¹¹⁹ نسخة أ: لم يعد الدهر بمثلها يوما
** مدينة هي الآن خراب تقع بين فاس و تطوان

عطية ملوك فاس ومن اشهرهم زيري بن عطية وهو اسدي اختط مدينة وجدة سنة 384 ونقل دخاثره من فاس اليها ويأتي زيادة كلام عليها ان شاء الله ومن بني عطية الفرطاس الذي زحف الى المنصور بن بلكين فكانت على الفرطاس سنة 99 ومنهم بنو وانود ملوك صفرو و أبادهم يوسف بن تاشفين ومنهم منديل بن عبد الرحمن ملوك مازونة وتنس وعبد الرحمن هذا الذي اختط مازونة سنة 565، وابنه منديل هو الذي زحف اليه ابن غانية يحيى بن قابس وزحف اليه هو من مازونة فكان مصاف القتال بينهما بواجر فكانت على منديل وتقبض عليه يحيى بن غانية وذهب به إلى الجزائر فصلبه على سورها في أول السادس وتولى ملك مازونة ابنه علي وهو الذي وفد على ابي زكرياء الحفصي ومعه أمير توجين العباس بن عطية و سهلا عليه أمر تلمسان فغزاها وفر منها يغموراسن ثم استعمله عليها سنة 639 ولما نزل شلف آتيا إلى تونس أمر كلا من ابن علي والعباس ان يأخذا زي الملوك من بنود وطبول، ونجائب وغير ذلك ففعلا بما امرهما مضاهاة ليغموراسن وشجا في صدره وكذا منصور المليكشي على صفة زي يغموراسن وسلطانه ولما ولي بعد مهلك يغموراسن ابنه السعيد بن عثمان فجهز العساكر مع اخيه ابا عامر فاستلحم توجين ومغراوة وعفا رسمهم واندثر امرهم فصاروا من القبائل الغارسين إلى الآن، وانقطع الملك منهما معا والبقاء لله الواحد القهار. كما أن مغراوة وإخوتهم ملوك فاس قطع ملكهم يوسف بن تاشفين كما يأتي وما ذكرت من ان عثمان قطع ملك بني منديل وهو الذي في الحافظ التنسي في كتاب الدر والعقيان في ملوك بني زيان "مع اني رأيت في غيره، ذكر راشد بن محمد بن ثابت بن منديل ملك مغراوة في نحو سبع من القرن الثامن والله اعلم. ومن مغراوة قبيلة سنجاس وقبيلة حذو بجاية ومنهم ريغة في الزاب ومن مغراوة بنو قوط بين الزاب وجبل راشد ولهم قصر مشهور لهم ومنهم بنو "أوراء" بإزاء قسنطينة و منهم بضواحي مراكش و السرسو و في نواحي طرابلس و منهم بنو يرنان بإزاء ملوية و من بطون يرنان بنو و طاط بالجبل المطل على ملوية من القبلة و بنوا عبو أهل كروط والله اعلم ومنهم بنو خلوف في أسفل شلف و منهم قبيلة مشهورة بمغراوة بإزاء بني زروال من أوليائهم و علمائهم عالم وهران وصالحها سيدي محمد الهواري كما يأتي ومنهم ولي الله سيدي الاكلح المشهور بمدح النبي صلى الله عليه وسلم كشهرة ابن عروص بتونس و منهم أبو عبد الله المغوفل كان أحد أعجوبات الدهر في علمه وكراماته، يشهد لعلمه قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها سبعون بيتا و ليس حرف مما يستحق النقطة بل كلها عواطل من النقط و كفى به حجة وكان دقيقس المضرب من نسل بني مخزوم يخدمه و خرج من نسله علماء وأولياء

نفعنا الله بهم، يعسر عددهم و من مشاهير أولياء الله سيدي محمد بن يحيى المشهور مقرئ الجن و تلميذ الشيخ السنوسي وله تأليف في التوحيد و غيره و ضريحه بواد فروحة لكن رأيت تأليفا منسوباً للولي الصالح سيدي أبي زيد التجواني ذكر فيه أن الشيخ محمد بن يحيى المذكور شريف و سلمه شارحه الجوزي و وَصَّلاً نسبته بأمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه و رضي عنه و وزوجه فاطمة رضي الله عنها بنت الرسول صلى الله عليه وسلم سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنهم و الله أعلم. و منهم الولي الصالح سيدي محمد المغراوي توفي بالقلعة أوساط القرن الثاني عشر وابنه ابو القاسم وله شهرة بتلمسان و غير ما ذكر مما لا يحصى كالشيخ الطاهر بن سيدي محمد المذكور وله باع في القراءات وأحكامه وله منظومات كثيرة على رسم القراءات العظيمة أخذ القراءة و تعلمها عن الشيخ أبْن زقاق العبد الوادي المستوطن في قرية الدبة أحد أعمال القلعة و فيما ذكرت كفاية و السلام.

وقولي حلوه سابقة إلى آخره نزوله قديماً كما يأتي و قولي على يد الأموي إلخ هو عبد الرحمن بن الحكم بن هاشم، الخليفة بدمشق الشام و الرصافة بالجزيرة و هو أول من أحدث الأذان جماعة، ابن عبد الملك بن مروان بن أمية بن الحكم بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كان عبد الرحمن هرب من بوصيرة من أعمال مصر لما قتل بها مروان بن مروان بن محمد آخر ملوكهم بالشرق سنة 132 و أعجز عبد الله بن علي عم السفاح أول ملوك بني العباس، و بعث في طلبه عامر المدهجي فلم يقف له على أثر و توجه للمغرب فلحق بمقيلة بإزاء مازونة فقطعوه من بعض مراسي أرضهم على الأندلس، فسلم إليه الأمر عمّا لهم به كعبد العزيز بن موسى بن نصير و مغيث و غيرهم واستقام أمره و علا صيته و كان موصوفاً بالعقل و الفضل و العلم و العدل و كذا بنوه فإن حالهم أشبه بحاله و ساسوا الرعية على منواله و لما سمع الإمام مالك رضي الله عنه بعدلهم كثر مدحه لهم بمجالس عمله بالمدينة المنورة فكانت أحد الأسباب في أخذهم بمذهبه بالأندلس و حملوا إيالتهم عليه و إلا فأسلافهم القائلين بالشام على مذهب الأوزاعي الشامي و كان ملكهم يمتد إلى عدوتنا و تارة يقتصر على الأندلس و كان ممن أمتد له الملك بهذه العدو عبد الرحمن الذي أسست على يده وهران و هو أول من ضرب الدراهم بالمغرب قال الشيخ إبراهيم في شرحه على مختصر الشيخ خليل في مبحث الصرف عند قول المصنف "وسلعة بدينار لإدْهَمين". فائدة: أول من ضرب الدينار و الدراهم آدم عليه السلام وأول من ضرب الدراهم في الإسلام عبد الملك بن مروان و نقش إسمه عليها و هو أول من عمل الموازين و أول من ضرب الدراهم في المغرب عبد الرحمن بن الحكم

القائم بالأندلس في القرن الثالث وإنما كانوا يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم المشرق وأول من ضرب الدراهم الزيوف* عبيد الله بن زياد قاتل الحسين رضي الله عنه انتهى. وامتد ملك بني أمية بالأندلس من مبدئه الى سنة ثلاثين وأربعمائة زاحمهم بنو حمود الادارسة في احدى عشر سنة مما ذكر على والمأمون ويحي من سنة أربع من الخامس إلى السنة الرابعة عشر منه وهم بنو حمود، بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيد الله بن ادريس رضي الله عنهم.

ثالث قرن خزر منهم قد أسسه . وملكهم في غاية العزو الشمسس سنة تسعين أو إحدى وتسعين و خزر هذا كان عاملا بالمغرب الاوسط لبني أمية. فمدن مغراوة وهران وتبحرت في العمران وعدت من امصار المغرب لا تدافع ومن احسن معاقله بلا منازع قصدها العلماء والتجار وارباب البضائع وكان مقصدا للعفات والوجوه والعساكر والجيوش ودخلها ابن خميس احد العلماء الكبار والفقهاء الأخيار، في آخر القرن الرابع فوقعت منه كل موقع بعدما دخل الجزائر اذ ذاك قريبة العهد بالبناء كما ياتي فقال: اعجبني بالمغرب مدينتين بثغرين وهران خزر وجزائر بلكين ومن علمائها ومحدثيها أبو القاسم الوهراني احد شيوخ ابي عمر بن عبد البر التمرى القرطبي ومنهم ابو عبد الله محمد الوهراني الملقب ركن الدين كان دخل مصر في حدود 570 واشتهر فيها بالعلم والادب وحسن الفهم فكان قد حصل من العلوم لبابها وكشف عن الحقائق حجابها ومنهم ابو تميم الوهراني الواعظ نفعا الله بهم

وقولي وملكهم الخ... يقال فرس شماس أي قاسي الراس لا ينقاد لأحد. قال عمر بن معدي كرب الزبير لما علاه عمر بن الخطاب بالدرّة:

اتفز عني كأنك دُورَعَيْنٍ . . . بأنعم عيشة أودُو نَّوَّاس

فكم كان قبلك من عظيم . . . في ملك ظاهر الجبروت قاس

تحولت دنياه عنه فبانّت . . . وصار لذله بعد الشمساس

أي صار طائعا مذلولاً بعد ما كان شماساً لا يطيع احداً ولا يؤجله نمر ولا أسد. روي أن عمر لما سمع هذا من عمر استحي ورمي له بالدرّة فقال اضربني كما ضربتك فعفي عنه.

سنة ست من أربع أراحهم . عن ذلك الثغر ازداجة مع عجس.

* الزيوف: تعنى الفاسدة

و هاتان القبيلتان من بطون البرانس قوم كسيلة المتقدم ذكره يعدونهما من بطون زنادة موطنهما بالمغرب الأوسط بناحية وهران و كان لهما اعتزاز وآثار في الحروب ومن رجالهما شجرة بن عبد الكريم و أبو ديلم بن الخطاب و لبني أبي دليم ذكر بالأندلس و من بطونهما بني مسقن منازلهم ملاصقة لوهران و تغلبوا عليها بمعونة جميع حيهم فملكوها سبع سنين من يد محمد خزر ثم بعد سبع سنين من ملكهم لها أخذها محمد من أيديهم بعد حروب وولي عليها ابنه الخير واستمرت بيده إلى أن استولى أبو عبد الله الشيعي على إفريقية سنة 296 فجهز عروبة بن يوسف الكتامي لحرب أهل المغرب فأناخ على تاهرت و ملوكها يومئذ بنو عبد الرحمن بن رستم من الخوارج الإباضية فدارت بينه و بينهم حروب طوال غلبهم في آخرها وانقرض أمرهم بها و لما أراد الرحيل عنها عقد عليها لأبي حمير دواس بن صولات الهيمي سنة 98 فاتصلت حروبه مع لمائة شيعة بنى رستم ملوك تاهرت و كانت في هذه الحرب - لمائة متوطنين السرسو - يبلغ عدد خيولهم ثلاثين ألف 30.000 أو تزيد على ذلك فأئخن فيهم دواس و فرقهم فبعضهم انتقل إلى جبل مصاب و بعضهم إلى جبل راشد إلى غير ذلك. ثم حارب لواتة و مطماطة و كان من غلبه من الخوارج ينقله إلى الرافضية أو على رأي الشيعي المذكور ثم حارب عجيسة وأزداجة وأئخن فيهم وأخذ وهران من الخير بن محمد بن خزر و ولى عليها محمد بن عون فعمت الرافضة المغرب الأوسط ثم كان الناصر الأموي ولي يعلى الإفريقي المغرب الأوسط و عقد له حرب الأرفاض فزحف إلى وهران فحاصر بها محمد بن عون وأزداجة لأنهم صاروا مع محمد يدا واحدة وعنه أخذوا الرافضية وطالت الحروب بينهم حتى تغلب عليهم و فرق جمعهم سنة 343 ثلاثمائة وأربعين و ثلاث وافتتح وهران عنوة أضرمتها نارا فلحق أزداجة بالأندلس وأكثر عجيسة و بقيت وهران خرابا ثم بناها يعلي وانتقل إليها بأهله و حشمه وولده من أفكان ثم أن الخير بن محمد لما رأى وهران اتخذها بني يفري، دار ملكهم و بثوا فيها الدعوة المروانية نزع إلى الشيعة وأدى لهم الطاعة ووفد على المعز بإفريقية وأتى معه جوهر فكان ما أمر من قتل جوهر ليعلي و عقد لمحمد وهران دار ملكه إلى آخر ما مر. ثم أن عجيسة هؤلاء وإخوتهم إزداجة رَحَفُوا عَلَى قلعة أنكور، دار ملك بني صالح سنة ستة من القرن الخامس و خربوها و ملكوا هناك إلى أن قطع ملكهم يوسف بن تاشفين و من عجيسة الشيخ عبد الوهاب تلميذ ابن الغازي و هو الذي شرح بيت ابن الغازي و بينها وهو قوله:

صلحان عتقان و بضعان معا . . عمري لآرشي عوض به أرجعا.

و قد علمت مما مرّ ان عجيسة هل هم بطون البرانس أولاد برّ أحد بطون أرناطة أولاد جانا و الذي رأيته للشيخ أبي المهدي عيسى بن موسى التجيني لما ذكر قصيدة الشيخ عبد الوهاب هذا في عدد البدرين المذكورين في صحيح البخاري عند قوله و المقداد ذو نجد قال أبو المهدي المذكور أي ذو نسب أي أن الشيخ عبد الوهاب من نسل سيدنا المقداد بن الأسود الصحابي رضي الله عنه فعلى هذا يكون من العرب والله اعلم وعجيسة بجيم مخففة قال ابن خلدون "وقوله ولم يزل محمد بن خزر متغلبا على اعمال المغرب الاوسط مقاسما فيها ليعلى الافريني الى ان اشتغل الخير وابوه بقتنة صنهاجة فتغلب يعلى على وهران الخ هذا إنما يظهر في حرب محمد بن خزر الشيعة أولا و أما حربه معهم في أخرى لما زحف إليهم ولقيّه بلكين بن زبري و أنحل مصاف مغراوة وذبح محمد نفسه إنما كانت بعد موت يعلى بسنين. نعم لما مات قام مقامه ابنه يدّا إلا انه لم يملك وهران والحاصل أن في ابن خلدون تخليط وتناقض و الصواب ما ذكرته لك لأنه زبدة ما نظرنا من الاخبار في ذلك. يدّ بن يعلى كان من الدهاة العظام كانه قيس بن زهير أو وزير مصر ضرغام ومن كلامه لما بعث له المنصور بن ابي عامر ليأتيه حمير الوحش فقال له "حمير الوحش لا تنقاد إلى البيطار فذهب مثلاً.

حتى ازالهم عنه يوسف وعلي .: كما ازالهم قبل عن أراضي فاس

الضمير في ازالهم يعود الى ازداجة وعجيسة لانه أي الثغر لم يدم لهم إلى أيام يوسف بل أرجع ملكه مغراوة كما مر واستمر لمحمد بن الخير ثم لأخيه الفتح و لعقبهم إلى أن ظهرت دولة لمتونة و قهر ملكهم يوسف بن تاشفين وجميع ملوك المغرب من الجزائر إلى البحر المحيط وأخذ ملكهم و سلبه منهم فكان من جملة ذلك ملك مغراوة و المراد ببيعلى وابنه القائم بالملك بعده و لمتونة هؤلاء احد بطون صنهاجة ويقال لهم المثلثون أيضا اختلف في نسبهم ونسب كتامة فقييل من نسل برنس وقيل من اولاد زيغ اخوه هوار لامة وهي تضلي أوتضكي ولا يعرف لها أب وهذا قول ابن حزم في جمهرته وقيل من المكاسك بطن من كنزة او كندة وقال ابن الكلبي همامن اليمن غزاهم فرقيش بن صيفي الذي سميت به افريقية فلما قفل تركهما بها وهو الذي سمي البربر بها لانه لم يفهم اصواتهم قال ما اكثر بربرتكم لان البربر في اللغة الاصوات الغير مفهومة ومن ذلك بربر الاسد وقال هانئ بن بكار الضريسي وسابق بن سليمان المطماطي وكهلان بن لوي وايوب بن زيد من نسابة البربر ان البربر فريقان البرانس والبتر فالبتر من ولد قيس بن عيلان و البرانس بنو

بر من نسل دام من مازيغ بن كنعان بن حام قال الطبري خرج بر بن قيس فارا من اخيه عمر الى البربر فتزوج فيهم وانشد عالم البربر عبيدة بن قيس العقيلي

فاقسم انا والبربر اخوة .: تماما وهم جد كريم المناصب

وقال البكري أن لمضر ولدان الياس وعيلان وأمهما الرباب بنت حيد بن عمر بن معد بن عدنان، من ولد عيلان قيس وولد قيس بر فتزوج بنت عمه "البها" بنت دهمان فحسده اخوته فذهبت به امه الى البربر لانهم كانوا بالشام يجاورون العرب فولدت له مادغس ومادغس يلقب بالابتر وهو ابو البتر من البربر وجميع زناة من ولده ولابن عبد البر إن البربر من ولد قبط بن حام قال ابن خلدون والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره انهم من لد كنعان بن نوح وان جدهم يازيغ واخوته كريكس وفلسطين وان ملكهم جالوت و جالوت ليس من البربر وانما هو من اخوتهم فلسطين فلا يعقبن في وهمك غير هذا. وان صنهاجة وكتامة من اليمن من بنى حمير وأول من اخرج البربر من الشام داوود عليه السلام أوحى الله إليه: ياداود اخرج البربر من الشام لأنهم جُذّام الأرض رواه ابن الكلبي و منازلهم من الإسكندرية إلى البحر المحيط وجرت لهم الحروب مع الافرنج ثم اصطلحوا على ان السواحل للإفرنج و لهم الضواحي و الجبال حتى جاء الإسلام و كان منهم من تهود و منهم من تنصر ومن تمجس ومنهم من يعبد الشمس، و منهم من يعبد القمر، ومنهم من يعبد الاصنام، وأكثرهم صنهاجة إلى الآن لا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلو من بطن من بطونهم حتى قيل انهم ثلث البربر من ولد صنهاجة بن شرين بن بر ونقل ابن النحوي مؤرخ دولتهم انهم من ولد صنهاج بن المثنى بن المنصور بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير الاصغر بن سبا تنتهي بطونهم إلى سبعين بطنا و ذكر الطبري أن بلدهم مسيرة ستة أشهر و منهم بلكانة مواطنهم بين المغرب الأوسط و إفريقية وهم أهل مدن و منهم ثابت بن وزيد بن عقب على إفريقية أيام السفاح و الملك في ثلاثة فرق منهم الأولى بلكانة ملوك إفريقية و الأندلس أيام الطوائف ومنهم مناد مقيم دعوة بني العباس وابنه زيري الذي مر ذكره. ولما ملك الشيعة إفريقية تحيز إليهم للولاية العباسية التي لعل على رضي الله عنه وأرضه، من المسيلة إلى حمزة فلذا اختط مدينة أشير بسفح جبل تيطري و حصنها بأمر المنصور العبيدي واتسعت خطتها ورحل إليها العلماء و هي الآن خراب في طرف أرض بني مرقان مما يلي المغرب واختط ابنه ولكن بأمره الجزائر في أواسط القرن الرابع وكانت قبل فيها

خاصَّ يسكنها بنو مزغنة وما في الجامع من أن الجزائر بناها ملوك الأتراك قصور. وكذا اختط بلكين ابنه أيضا مليانة في خمس وخميس من الرابع بإذن أبيه أيضا و المدينة في ذلك التاريخ و هذه المدن التي بنتها ملوك صنهاجة من أعظم مدن المغرب الأوسط لهذا العهد. مات زيري سنة 360 وابنه بلكين الذي بنى هذه المدن مات سنة 73 كما مرَّ ثم قام بأمره ابنه باديس بن بلكين ومر سبب موته ثم قام بالأمر المعز بن باديس ببيع ابن ثمان سنين وضخم ملكه و عظم أمره وما يشهد لضخامته أن عامل باغاية أدى له مائة حمل من المال وان بعض تراتيب أهل بيته من العود الهندي بمسامير من الذهب وأن باديس أعطى فُلُولا المغراوي لما انقطع إليه ثلاثين حملا وثمانين تختا من الثياب و عُشْر ساحل صفاقس ثمانون ألف قفيز وكان سنيا ولذا بعث له المنصور العرب و جرت الوقعة المشهورة بينهم بظاهر القيروان. فكان هو أحد أسباب دخول العرب القيروان ولما قدم ابن عمه زاوي من الأندلس، و كان ملك غرناطة واستخلف على ملكه ابن أخيه حابوس سنة عشرين وأربعمائة سلم له من دار الملك بالقيروان 1000 امرأة كلها لا تحل له وهو، أمر غريب ثم ملك بعده ابنه تميم وهو الذي مدحه ابو علي بن رشيق بقوله:

أصح وأعلما سَمْعًا في النداء . من الخبر المنشور منذ قديم

أحاديث ترويه السيول عن الجبال . عن البحر عن كف الأمير تميم

وتوفي سنة 501 وقبره في قصر السيدة بالمسيح ومدة ملكه سبعة و أربعين سنة (47) سنة وخلف اكثر من مائة ابن و ستين بنتا وفي ايامه ملك نصارى جنوة المهدية سنة 80 فبذل لهم تميم 100.000 ألف دينار فخرجوا منها ثم ولى ابنه يحيى واستمرت دولتهم الى ان انقضت بآخرهم الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز في حدود سنة 66 من القرن السادس ولما ضعف أمرهم ارتحل بأهله يريد مراكش بإذن يوسف بن عبد المؤمن فمات بتامسنة في طريقه والله وارث الارض ومن عليها. الفرقة الثانية من صنهاجة لمتونة وهم المثلثون ومساكنهم بين البرابرة و السودان قوتهم الألبان و الأنعام و نحوها و تميزوا بالثام من بين الأمم و هم بطون و مساكنهم ما بين البحر المحيط بالمغرب الى قبلة برقة وهم الذين يقال لهم التوارق واهل غانة من السودان "سرق" وكان دينهم المجوسية ثم اسلموا بعد فتح الاندلس وكان يتلوتان من ملوكهم يركب في مائة ألف نجيب ويؤدي له الجزية عشرون ملكا من السودان مات سنة 222 ومر لنا سبب تسميتهم بالمرابطين ومن اشهر ملوكهم يوسف بن تاشفين فاؤل حربهم مع مسعود بن واندود ملك سجلماسة فقتلوه ونهبوا عسكره

وأخذوا البلاد عنوة وقتلوا ما بها من مغراوة واسقطوا المغارم والمكوس ونشروا العدل الذي لم يكن بعده مثله آخر الدهر وكانوا يشاورون العلامة وإيجابي اللمطي تلميذ أبي عمران الفاسي ويقفون عند أمره ونهيه وكان من أعيان الأولياء. هلك يحيى بن عمرو سنة 247 وقدم أخوه أبو بكر ففتح سوس، وماسة وترودانت واغلمات وهرب أميرها لقوط المغراوي ثم استباحوا تادلا وقتلوا بني يفرن ملوكها وقتلوا برغواطة أهل تامسنا وكانوا أشد كفرا وفي حروبهم استشهد شيخهم عبد الله بن ياسين تلميذ وإيجابي سنة خمسين فاستأصلوا برغواطة وأخذوا عقيلتهم زينب ثم ارتحل أبو بكر إلى الصحراء واستعمل ابن عمه يوسف بن تاشفين فدعا لبني العباس، وقد نزل له عن زينب لما كرهت أرض الصحراء وجاهد أبو بكر في السودان حتى استولى على تسعين مرحلة من بلدهم ثم إن يوسف بن تاشفين دوح أرض المغرب وقطع ملك بني عطية من فاس بعد ما قتل منهم ثلاثة آلاف (3000) أو أزيد وقطع ملك بني الخير من وهران وقطع ملك بني واندوس في صفرو وكلهم مغراوة ثم اختط يوسف بن تاشفين مدينة مراكش سنة أربع وخمسين وأربعمائة ونزلها بالخيام وزاد سورا على مسجد الصلاة وقصبة صغيرة لاحتراز أمواله وكمل تشييدها على يد ولده وهو الذي حمل أهل فاس على استكثار المساجد وكان قبله مساجدها في غاية القلة وامتد ملكه إلى الجزائر و بسط العدل أتم بسط و غزا الأندلس فأوقع بالكفرة في الزلاقة الواقعة المشهورة التي زينت لها بغداد والحرمين وغيرهما من مدن الشرق و شاع خبرها إلى "مرة"¹²⁰ قاعدة من مدن الهند و بعث له الناصر العباسي خرقا كثيرا يقصر عنها الوصف وقطع ثوار الأندلس مثل ابن عباد وغيره و مات رحمه الله و نفعا ببركاته على رأس المائة الخامسة و كان قتل من كفرة برغواطة سبعة آلاف و ثلاثمائة 7300 عند صخرة معلومة هناك رحمه الله و في الجنة مأواه ثم ولى ابنه "علي" فكان خير ملك ودولته عزة الإسلام كان فقيها عالما فاضلا و في أربعة عشر من ولايته ظهر أمر المهدي و في ثماني و عشرين منها كمل بناء مراكش وأمر بحرق كتاب الأحياء أغراه عليه أبو القاسم بن حمدين و يقال أن ابن رشد و القاضي عياض وافقاه ولذا قتل الموحدون القاضي عياض بالحمام بدسيسة، و مات على سنة سبع و ثلاثين بعد ما جاهد في الله حق جهاده بالأندلس و قام بأمره و لده تاشفين وأخذ بطاعة أهل العدوتين، كأبيه وجدّه واتصلت حروبه من أول أمره مع عبد المؤمن بن علي إلى أن فر إلى وهران في مواحدة ابن ميمون قائد أساطيله بالبحر و حاصره الموحدون فلما علم أنه لا طاقة له ودع أصحابه و خرج ليلا

* عقيلتهم: ملكتهم
120 نسخة أ: سورة

على فرس عتيق أقحمه في الأوعار في طريقه فتردى به في بعض الأخاديد فوجدوه ميتا صبيحة تلك الليلة أي عيد الفطر سنة إحدى و أربعين فصلب على جذع واستأصل القتل على أصحابه رحمهم الله و قد هرب بعضهم للنهر المنحدر من رأس العين فأضرم النار الموحدون في الوادي و كان مشعبا فمن بقي احترق ومن خرج قتل و لما بلغ مراكش الخبر بايعوا ابنه إبراهيم ثم خلع وبويع عمه إسحاق بن علي ثم وصل الموحدون إليها فخرج إليهم في خاصته فقتلهم الموحدون في مجلس عبد المؤمن فانقرض أمر بني تاشفين إلى الآن ولكل بداية نهاية. فاستولى الموحدون على المغرب أجمع ثم جاز عبد المؤمن إلى الأندلس سنة إحدى و خمسين وقتل كافة أمراء لمتونة و هرب جلهم إلى ميورقة شرقي الأندلس. الفرقة الثالثة من صنهاجة اولاد غانية بنت عم يوسف بن تاشفين وأبوهم من مسوفة مسوفي من بطون صنهاجة يقال له علي بن يحيى من الشجعان و له من غانية محمد و عيسى فولى علي بن يحيى الأندلس، و محمد شرقة كميورقة و يابسة و غيرها. أما يحيى أخذ منه ملكه و هلك وأما محمد فاستمر في ولايته الى ان هلك ثم خلفه ابنه عبد الله وتوارثوا الملك بشرقي الاندلس الى ان انتقل علي بن محمد بن علي الى بجاية ومعه اخوته يحيى وعبد الله و الغازي وملوكها من يدي ابي الربيع بن عبد المؤمن سنة 581 فزحف اليه الموحدون فكان مصاف القتال بمتيجة فنهبهم علي بن غانية وهزمهم أقبح هزيمة وفتح الجزائر ومازونة ومليانة وعظم ملكه فسرح اليه يعقوب المنصور العساكر فقتلوا عماله بالمدن المذكورة و هو يومئذ محاصر قسنطينة فهرب إلى طرابلس واستنصر بقراقش الغزي ولحق به جل قومه من لمتونة ومسوفة ففتح ارض الجريد واقام بها دعوة بني العباس كما كان يوسف وبعث ولده الى بغداد فجدد له الخليفة العهد وطلب منه الإعانة فكتب الخليفة إلى صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يمدّه فكتب له صلاح الدين إلى قراقش فاتصلت ايديهما ففتحوا الجريد وفي خلال ذلك مات علي ثم قام بالامر اخوه يحيى فاكثر تدويخه لبلاد افريقية الموحدين مرة بعد أخرى والتقى هو و أبو محمد عبد الواحد بصبراً وافتخار بحروب شديدة وصبر الفريقان طول النهار ثم انقض جند ابن غانية آخر النهار و أفلت هو جريحا الى قابس ورجع ابو محمد ظافرا وأرسل للناصر بن يعقوب المنصور بالفتح لان ابا محمد عامل له على افريقية، وهو ابو الملوك الحفصيين فبعث له الناصر مائتي ألف دينار و ثمانمائة (800)كسوة و ثلاثمائة 300 سيف و مائة فرس غير ما أنفد له من سبته وبجاية ووعد بالزيادة ثم أن ابن غانية غزا تلمسان فكارن ذلك وصول أبي عمران بن يوسف بن عبد المؤمن إلى تاهرت وهو والي تلمسان فأصابه ابن غانية بها وهزم جنده وقتله و استباح تاهرت فكان

آخر العهد بعمرانها الى الآن. وامتألت يده بالسبي فاعترضه ابو محمد فاستنقذ الأسارى من يده و لحق بطرابلس ثم عزم على معاودة الحرب وباعه أولياؤه و الذواودة على الموت وحشد جميع قبائل طرابلس واجمعوا على افريقية فزحف اليهم ابو محمد وذلك سنة ست من قرن السابع فتزاحفا عند جبل نفوسة واشتدت الحرب فاختلت مصاف القتال ومات شيخ الذواودة مسعود البلط وابن عمه حركات وشيخ بني قرّة والغازي أمير مغراوة وغنم الوجدون من عسكره ثمانية عشر ألف 18000 من الظهر ثم إن ابن غانية زحف إلى الموحيدين بعد ذلك و زحفوا إليه فكان مصاف القتال بودان فهزموهم واستولى على قابس والزاب وأطاعه أهل بسكرة ثم توجهت اليه حشود الموحيدين فدخل الرمل فأعجزهم ثم إن ابن غانية غزا المغرب فأوقع بمغراوة بواجر كما مر ثم زحف الى ابن غانية إلى افريقية ومعه هواره بطعائهم وأبلى شيخهم بَعْرَة بن جناس بلاء حسنا فانهمز المثلثون وابن غانية ثم زحف مرة أخرى الى تونس فملكها وعظم ملكه حتى هزم بعد حرب شديد وغزا سجلماسة و سبى وغنم ثم لما ولي ابو زكرياء صرف وجه الحرب اليه فشرده الى ورقلة واختط بها مسجده المعلوم ولما نزلها في إتباعه ولم يزل ابن غانية يدوخ الموحيدين ورعايهم مرة بعد الاخرى ويأخذ بثار بني تاشفين إلى أن هلك لخمسين سنة من إمارته سنة 633 بشلف تحت مليانة فانقرض أمر لمتونة وباد ملكهم الى الان والبقاء لله وبقي قبائل كل صنهاجة بعد هلاك يحيى من القبائل الغارمة وقال الشاعر

سأطلب حقي بالقنا ومشائخي . . كأنهم من الطول مالثموا مرد

ثَقَالُ إذا لقوا خفافا إذا دعوا . . كثيرا إذا شَدُّوا قليل إذا عدوا

بطعن كأن الطعن لا طعن عندهم . . وضرب كأن النار من حره برد

وهم الذين قال فيهم ابن رشد هم حماة الدين. وقدولاه على بن يوسف قضاء قرطبة سنة 9 إلى سنة 12 من اوائل السادس ثم عزله وولي ابن حمدين فاستفرغ لتأليف التحصيل والبيان شارح العتبية وخلف يحيى بن غانية ثلاث بنات بنى لهن أبو زكرياء قصرا بتونس يعرف الآن بقصر البنات أقامت تحت جرابته معظمات لوصية أبيهن بذلك لهن و حفظهن وقد يقال أن ابن عم لهن خطب احداهن فبعث اليها أبو زكريا وقال هذا ابن عمك و هو أحق بك فقالت لو كان ابن عمنا ما كفلنا الاجانب الى ان كن عوانس قال ابن خلدون اخبرني والدي انه أدرك واحدة منهن أيام صباه تناهز تسعين سنة فقال كانت اشرف النساء نفسا وخلقا وأزكاها أخلاقا وأما باقي صنهاجة مثل زاووة وغيرهم لا ملك لهم اصالة وأعزهم جانبا بالمغرب اهل

الجبل المطل على تادلا وبزواوة أهل الجبل المطل على دلس وفيما ذكرنا كفاية والله
الموفق للصواب

موحدون اتوا من بعد ذاو عُلُو . استحوذوا عليها في وسط السادس

وجه تسميتهم موحدون ان شيخهم المهدي بن تومرت لما ذهب الى المشرق اول
عام من المائة السادسة لقي الغزالي وأخذ عنه طريق الاشعري في التوحيد واهل
المغرب اذ ذاك على مذهب الحنابلة، لمتونة وغيرهم، فلما سمع به عبد المؤمن في
بجاية وهو يقرأ في تلمسان وطار ذكره اهتمت الطلبة بلقائه فاول من سبق إليه عبد
المؤمن فألقاه بحرا في العلوم ولا سيما التوحيد والف فيه كتابا سماه بالمرشدة لم يكن
مثله فأخذ أصحابه عنه طريق الاشعري فسموا أنفسهم موحدين تعريضاً بلمتونة
وغيرهم وكان عبد المؤمن قبله يقرأ على ابن الخطيب الصلاة والشيخ عبد سلام
الويسبي ضجيع الشيخ أبي مدين رحمهما الله تعالى. وكان أبو حامد شيخه أتى مغربا
لزياره يوسف بن تاشفين فلما وصل الإسكندرية سمع به مات فرجع و ذلك قبل
توجه المهدي للمشرق ثم لما سمع بكتاب الأحياء احترق بالأندلس بمشورة الأمير علي
وكان وافق ذلك قدوم المهدي عليه وحقق له الخبر مد يديه في محافل نحو أربعمئة
400 من الطلبة يدعو على أهل الأندلس فنطق المهدي فقال ايها الشيخ يكن وبالهم
على يدي فقال الشيخ "على يدك إن شاء الله"، فمن ثم حدثته نفسه بالخلافة و هو
من هرة أحد بطون المصامدة ولما رجع من المشرق و اظهر أمره بالملك سنة 514
واحس به علي وقيل هذا صاحب الدرهم المربع الذي ينتظر ملكه بالمغرب.

فأراد أن يقبض عليه، فهرب إلى أغمات ثم إلى أهله فمنعوه منه ورجعوا إلى علي
بمراكش فأوقع بهم وكاد أن يستأصل جنده. ثم أن بقية العسكر لما رجعوا له
قالوا: أين ما وعدتنا. قال: لا يطلع الفجر الصادق حتى يسبقه الكاذب" وبقي على
حاله من دعوى الملك إلى أن مات سنة 524 وكان استخلف عبد المؤمن فكان من
خبره ما هو مشهور.

وعبد المؤمن هذا كومي من بني عابر¹²¹ جبلهم وسط جبال أطرارة مطل على
أهناي أو أحناي وبعضهم يقول إنه من عبس أحد قبائل قيس بالحجاز والظاهر
الأول. وكان من العلماء الجهادية والفقهاء الأكابر وكذلك أولاده وكان العدو قد ملك
اسفاقس وسوسة وطرابلس فغزاهم عبد المؤمن حتى خلسها من العدو وأكثر من غزو
الأندلس فدوخ الكفرة وقطع منهم أعمال لمتونة وفي سنة 542 أناخ على سبتة ففزعوا

¹²¹ نسخة أ: بني عامر

إلى القاضي عياض فأجاز البحر إلى يحيى بن غانية جد يحيى المار في الفرقة الثالثة من صنهاجة. فلقية بالخضراء وطلب منه واليا على سبتة فبعث معه يحيى الصحراوي فكان الحرب بينهم ستة أشهر إلى أن دخلوا في الطاعة، واستعظم منصب القاضي عياض فعفا عنه إلا أنه نقله إلى بادية سالا فبقي فيهم قاضيا إلى أن مات سنة 544 وحمل إلى مراكش فدفن فيها وقبره مشهور. وقد قيل إنه دَسَّ عليه من قتله بالحمام لأنهم اتهموه بأنه أفتى بجواز إحراق "الإحياء" وقد كان رضي الله عنه يتفرغ للعبادة، يوم السبت أخذًا بالحديث:

"يا موسى تفرغ لي يوم السبت"

فكان أعداؤه الموحدون شنّوا عليه بذلك أيضا.

ثم أن ابن غانية، لما تحقق تغلب الموحدين، هرب إلى ميروقة بشرق الأندلس عند أخيه محمد وحاصرت جيوش عبد المؤمن اشبيلية واشتد القتال إلى أن فتحت عنوة وأتى القتل على عبد الله بن أبي بكر العربي من غير قصد.

ثم لما قدم إلى مراكش، وجدهم يتقدمهم القاضي أبو بكر فغزاه عبد المؤمن في ابنه وانصرف هو وأصحابه بالجوايز والإكرام وهلك القاضي في طريقه راجعا. ودفن بمقبرة فاس سنة 542 رحمه الله.

وفي سنة 546 غزا إفريقيا ودخل الجزائر على حين غفلة وهزم أهلها صنهاجة وبنى مزغنة ودخل بجاية من الغد صباحا ثم سرح ابنه محمد إلى القلعة التي تعرف الآن بقلعة بني حماد قبلة مجانية وبها يومئذ جوشن ابن عبد العزيز، ففتحها وحرقها وقتل جوشن وثمانية عشرة ألفا من جنوده.

وأول من اختط هذه القلعة حماد بن بلكين بن زيري؛ أحد ملوك صنهاجة لما استقل بالإمارة وخرج عن طاعة ابن أخيه باديس المتقدم سنة 398 ونقل إليها أهل حمزة وخربة وأكثر أهل مسيلة. وكان يعظم العلماء، فرحل إليها كثير منهم فصارت بلدا مستبصرة كثيرة التجارة وكان أظهر السنة وقتل الرافضة ورضى عن الشيخين. وما يتعجب منه أن زيريا بن مناد اختط مدينة آشير في سفح جبل تيطري كما مرّ.

وأما ابنه بلكين بن زيري فاخطط المدينة و الجزائر ومليانة و ابنه حماد بن بلكين بن زيري فاخطط القلعة المارة الذكر. فمدينة زيري خربت ومدينة ابن ابنه خربت، ومدائن بلكين الثلاثة متبحرات العمران بل في زيادة على تطاول الزمن ولا شك أنه رزق السعادة في عمله.

ولما ذهب المعز العبيدي إلى مصر، أسلم إليه إفريقية والمغرب وأمر الناس بالسمع والطاعة وأوصاه بأمور كثيرة وسماه يوسف ولما شيعه من القيروان إلى اسفاقس قال له لما أمره بالرجوع "إن نسيت وصية فلا تنسى ثلاثاً أيا كان، أن ترفع الجباية على أهل البادية ولا ترفع السيف عن البربر ولا توالي أحداً من أهل بيتك فإنهم يرون أنهم أحق بالأمر منك وكان له أربعمئة جارية حتى أن البشائر وفدت عليه في يوم واحد بولادة سبعة عشر ولداً. وهذا لم يسمع مثله. وكان جيد السيرة إلا أنه رافضي ولا شك أنه ويوسف بن تاشفين من أعظم ملوك صنهاجة. وصنهاجة بكسر الصاد و لابن دريد بكسر الصاد لا غير ومن فقهاءهم الكبار وعلمائهم الأخيار: الشهاب بن القرافي صاحب الفروق والدخيرة والقواعد المحصول والتنقيح. سكن مصر ومات بها سنة 684 وكذلك منهم صاحب الآجرومية المشهور "بالبركة" وكثرة الشروح وغيرها مما لا يسعه هذا المختصر.

وبلكن بضم الباء واللام وكسر الكاف المشددة، وكنت في جماعة من علماء إسكندرية بمجلس رئيسهم في الأدب والعلم وواسطة عقد سلكهم في التاريخ والجدود وحسن الفهم، العلامة البار، المحقق الجامع المانع أخونا السيد محمد المسيري إذ قدم مكتوب عشية الخميس سادس رمضان سنة 1204 من حضرة ملك مراکش السلطان محمد، كتب قبل موته لأن موته كانت برجب تلك السنة، مضمنه أنه بعث لعلماء الإسكندرية 14.000 ريال وأربعين ريالاً صنيولية فيشتروا موضعاً يكون قرابة للعلماء. وقال كاتبه: صحبة خادمنا فلان الصنهاجي، فنأولني المكتوب فوجدت صاحبه جعل فوق صاد الصنهاجي بكسرة و فتحة. فقلت ما تقولون فيه فسكتوا. فقلت: لم أفق على فتح الصاد في أي مظان ذلك لا في كتب اللغة ولا في غيرها وإنما الذي وقفت عليه إما بالكسر والضم وكان أكثرهم جاهلاً بحالي فقربوني وأحسنوا إلي واشتغلوا بضيافتي واحداً بعد واحد. ولما قدمت على شيخنا خاتمة المحدثين بمصر أبي الفيض المرتضى برد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فسيحه، أخبرته بذلك، فزادني سروراً رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين.

ولما دخلت الإسكندرية سابع ربيع الثاني قادماً من الحج سنة 1205 دعاني العلامة أخونا المسيري، فذهبت معه حتى دخلنا فندقاً (كذا) كبيراً هائلاً بعيد المهوى عن أدراك العيان، كثير البنائين والعملة والأعوان، أجلسني به مع حلقة من العلماء وجماعة من الصلحاء، فحضرت أنواع الأطعمة وأصناف الفواكه والأشربة فسألت بعد الأكل عن ذلك. فقال لي العلامة المذكور اشترينا هذا الفندق بأولئك

الدراهم الذين بعثهم (كذا) السلطان وفاضلهم نُتَم به إصلاحه ويكون خراجة للعلماء كما كتب لنا أولاً.

ولنرد عنان القلم إلى أخبار الموحدين. ثم بعد وقعة القلعة، سمع أهل إفريقية بجنود الغرب أتتهم، فحشدوا الحشود وجندوا الجنود ورجعوا إليه فجهز لهم ابنه عبد الله المذكور، فكان مصاف الحرب بسطيف، فاقتلوا ثلاثة أيام ثم انفضت جموع إفريقية والعرب. وسبى عبد الله نساءهم وفي سنة 557 مات عبد المؤمن وبويع أبو يعقوب و في سنة 563، لقب بأبى المؤمنين وهو أول من لقب به من ملوك هذه العدو، وكان يوسف يلقب بالأبى فقط وكذا ابنه علي وخاطب العرب بإفريقية يستدعيهم للجهاد، فأجابوه ووفدوا عليه، كما هو معروف، ثم غزا الأندلس ففتح وبرة وقلعة رباع وقنطرة السيف ثم رجع إلى مراكش و في سنة 77 نهض من مراكش غازيا لإفريقية وتقبض على علي بن المعز بقفصة ووفدت عليه جموع العرب بالطاعة ثم رجع إلى مراكش.

سنة 580، غزا الأندلس وحاصر شتزين ثم أن النصرى خرجوا فوجدوا المسلمين غافلين فهجموا عليهم وأصيب بسهم في تلك الوقعة فمات. وقد أبلى بلاء حسنا في هذه السنة واسمه يوسف وكنيته أبو يعقوب و هو أول من كتب في أول الرسائل الحمد لله. أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب في أول الرسائل بالبسملة فقط واستمر الأمر في ذلك إلى أن ولي السفاح أول ملوك بني العباس فزاد الصلاة على النبي (صلع) ودام الأمر على ذلك إلى أن بويع يوسف بن عبد المؤمن جعل مكان البسملة الحمد لله وعليه العمل الآن، ثم بويع ابنه يعقوب المنصور المشهور وفي أيامه ظهر أولاد غانية بإفريقية على ويحي فتغلبوا على الجريد فزحف إليهما المنصور من مراكش سنة 83 وجمع ابن غانية جميع الأعراب وقراقش الغزي صاحب طربلس فلقبهم أبوحفص يوسف بن عبد المؤمن بمغرة فأتخن فيهم ابن غانية، فخرج إليهم المنصور من تونس فالتقيا بالحامة فانفضت جموع ابن غانية ودوخ المنصور السواحل وسبى من حرم ابن غانية وذويه وأمن الغز و قراقش وقتل جل الملتزمين ورجع إلى مراكش سنة أربع و ثمانين، ثم أن ابن غانية تغلب على بسكرة وحاصر قسنطينة وبجاية، فنهض إليه المنصور من مراكش فلما وصل مكناسة بلغه كلب العدو بالأندلس فأهمه ذلك فاجاز البحر وراح بقرطبة أياما و كملت جنوده ثم زحف للعدو بالارك¹²² ساحة بطليوس فكانت الهزيمة المشهورة على ابن القبوس وابن الرنك*

¹²² الأرك ALARCOS

* الكبوس، Alphonse وابن الرند - HENRIQUEZ

لعنهما الله فقتل 30.000 منهم وأسر خمسة آلاف من زعمائهم بقصبة الارك ففدى بهم أسرى المسلمين سنة 591، ثم¹²³ سار إلى طليطلة فأحرق بسائطها وبساتينها و قفل. سنة 593 تقدم إلى اشبيلية فأسر قاضيها أبا الوليد حفيد ابن رشد ثم أطلق سراحه وحمله إلى مراكش فتوفي القاضي بها. دخل المنصور مراكش سنة 594 ومات في السنة الموالية فخلفه ابنه محمد الملقب بالناصر وهو الذي خاض وقعة العقاب الشنيعة التي حصد فيها الكافر اللعين شوكة المسلمين بالأندلس. وفي سنة 99 تغلب ابن غانية على المهديّة وأخذ طرابلس من قراقش ثم دخل تونس فقتل جل أهلها وأذعنّت له بالطاعة أهالي إفريقية فوزع الأمصار على عماله وأمر بالخطبة للعباسيين. وأخذ جبال طرابلس وفرض على أهلها جباية قدرها ألف ألف دينار فنهض الناصر من مراكش سنة 601 على رأس جنده لمقاتلة المرابطى برا ويقوم الأسطول بحصاره من البحر، فلما سمع ابن غانية بخبره، نقل أمواله إلى المهديّة. والتقى الفريقان بنابي فمالت الحرب على ابن غانية وأخذ الناصر منه 18 ألف حمل من المال والأمتعة والآلة وفر المرابطى بحرمة وبنيه والتجأ إلى قبيلته. كانت وقعة العقاب المشنومة على المسلمين عامة وأهل الأندلس خاصة سنة 609. ولما نزل سلا قافلا، قتل وزيره ابن قادس لاتهامه له بجرّ الهزيمة وقد ولي ابنه المستنصر وفي السنة الثالثة عشر من ملكه ظهر أمر عبد الحق المريني وفي أيامه دخل دولتهم الهرم. ومن ملوك الموحدين السلطان السعيد الذي قتل يغمراسن وأخذ محلته بجبل بني ورنيد. وفي الغنائم، المصحف العثماني التي كانت أم الأصبع بعثته إلى أخيها عبد الرحمن الداخل. وتداولته أيادى الملوك وصحبته في غزواتهم، فبلغت هذه الذخيرة في تلمسان ثمانية عشر درهما بعد ما نزع حليته التي وجده منبهيا بها إلى يغمراسن فأخذه و بقي عندهم إلى وقعة أبي الحسن بتلمسان، فلم يظهر بعدها.

قال وانقضت دولتهم أجمع بقتل أبي دبوس على يد يعقوب بن عبد الحق المريني سنة ثمان وستين وستمئة والبقاء لله: والمهم الشيخ المهدي هو أول من زاد في الصبح "حل الصباح ولله الحمد و هو أول من أمر بتلاوة الحزب، صباحا وعشية و دام ذلك إلى الآن و هو أول من أدخل إلى المغرب اعتقاد الأشعري كما مرّ. و لما دخل العالم المشهور الشيخ أبو النصر عبد الرحيم بن القشيري مدينة تلمسان، عقد بها مجلس و عَظَّ حضره الشيرازي. أطبق علماء بغداد أنهم لم يروا مثله وجرى له يوما بالمدرسة التهامية كلام مع علماء الحنابلة في الاعتقاد لأنه تعصب للاشاعرة و انتهى الأمر إلى القتال فمات من الطلبة من الفريقين خلق عظيم و أتى أولاد تهم

¹²³ نسخة أ ثم غزا طليطلة فحرب بسائطها واكتسح مسارحها.

الملك فسكنوا الفتنة. ولا حول ولا قوة إلا بالله. و قولي استحوذوا أي غلبوا و قولي وسط السادس و قد مرّ لنا أن ملك الموحدون وهران سنة 541 وما قارب الشيء له حكمه.

تمت آل زيان سلك ملكهم قد خلت وامتد لهم إلى دلس

اخط بنو يفرن تلمسان قبل الغزو الإسلامي بكثير وجعلوها قاعدة ملكهم ثم ملكها عقبة بن نافع الفهري في أول الإسلام لما عين عاملا على إفريقية في خلافة معاوية بن سفيان -أي وسط القرن الأول- وترأسها عمال الخلافة أجيالا كثيرة ثم أخذها المولى إدريس بمعونة المطهرة المشهورين بالمداغير. وصارت بعدها في ملك إدريس الثاني بن إدريس الأول. ولما ظهر سيدي محمد بن سليمان بن عبد الله

الكمال، ابن أخ إدريس الأول، ببيع ملكا عليها. أخطأ الشامي لما قال إن سليمان بايعه أهلها لما دخلها. والأصح أن سليمان قتل في وقعة الفخ، لما أمر الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي بقتل الشرفاء. اعلم أن قبور هؤلاء الأخيار بين تنيم ومكة المكرمة مع ضريح ابن عمر رضي الله عنهم.

تاء التأنيث الساكنة تلحق من الحروف ثم ورب ولا فتحها إنما هو للتحقيق انظر حاشيتنا: النكت الوفية بشرح المكودي على الألفية. وبنوزيان أحد بطون بني عبد الواد، استولى عليها أبو يحيى يغمراسن ودافع عنها وعن تلمسان يعقوب بن عبد الحق وامتد ملكهم إلى دلس قرية على البحر بين بجاية والجزائر وحاصل أمر بني عبد الواد إنهم كانوا بصحراء تلمسان أهل بادية من جملة بني واسين وزناتة وقد ألف الحافظ التنسي كتابا سماه "الدرو العقيان في شرف بني زيان" وذكر أن بني عبد الواد اثنا عشر قبيلة وكان شيخهم لما ضعف كرسي بني عبد المؤمن، جابر بن يوسف بن عمر بن زيان وقد أرجفوا بملك تلمسان ولما سمع عاملها عثمان بن يعقوب المنصور كان ولاءه عليها أخوه الخليفة إدريس المأمون، اعتقل جماعة منهم فشفع فيهم لمتوني فردت شفاعته فأنف وجمع جموعا وهجم على العامل عثمان فاعتقله وسرحهم وخلع طاعة بني عبد المؤمن وتناول لأحياء الدولة اللمتونية وأخذ يرضى بني عبد الواد.

فأتوا البلد وفهموا ما عزم عليه فخرج للقائهم فقبضوا عليه مع ثمانية من أصحابه وقام جابر في البلد بدعوة إدريس المتقدم وكاتب بذلك فقع منه بالخطبة ونقش اسمه في الدنانير والدرهم، فاستولى جابر على تلمسان وأحوازها عدا ندرومة،

* لعلها مطهرة

فرحف إليها ودار بها فأصيب بسهم من داخلها لثلاث سنين من إمارته ثم ولي ابنه الحسين ستة أشهر فخلع نفسه لعمه عثمان فاساء السيرة فخلعوه وولوا أبا عرة زيدان بن زيان فنكت عليه بنو مطهر وظاهرهم بنو راشد وكانت بينهم حروب قتل في بعضها فبايعوا أخاه يغمراسن بيعة استقلال وذلك أيام عبد الواحد أحد خلفاء بني عبد المؤمن في سابع جمادى الأخيرة سنة سبع وثلاثين وستمائة ومات سنة إحدى وثمانين. ثم ولي ابنه عثمان واستمرت بأيديهم إلى أن أخذها منهم الأتراك سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة.

ومن أولاد سيدي محمد هذا، بنو العيش، ملوك أرشقون وبنوا إبراهيم ملوك أتنس والي إبراهيم هذا ينسب السوق الذي هو غربي العروسي حيث مكب وادي اسلي في وادي الشلف ومنهم حمزة وأخوه على: ملوك الأبيرة إزاء جرجرة جبل زاوارة وبحمزة سميت تلك الأرض إلى الآن وامتد ملكهم بها، إلى أن أزالهم ملوك إفريقية من الشيعة، فأخذها منهم في أواخر الثالث، عروبة الكتامي و مصالة المكناسي وغيرهما من عمال بني عبيد الله المهدي. ولما انتقل المعز إلى مصر غزاها بلكين وملكها غيرهما من أمصار المغرب وأول من استخلصها من عمال إفريقية، جابر بن يوسف بن محمد العبد الواد وكان بنو يفرن يستولون عليها في بعض الأحيان ثم ملكها يوسف بن تاشفين وبنوه ثم الموحدون. ويقال إن الجامع الذي بتلمسان القديمة بناه مولانا إدريس الأكبر وعمل له المنبر وتلمسان الجديدة بناها يوسف بن تاشفين وبتلمسان القديمة ضريح الداودي بن نصر أول من شرح البخاري توفي في أواخر القرن الرابع.

ولما ضعف ملك الموحيدين ولحقه الهرم كما شأن الدول سنة الله التي قد خلت من قبل، استولى يغمراسن بن زيان عليها سنة 635 وكان بين نفرة واستقامة مع آخر ملوك الموحيدين بمراكش وتونس ومر لنا قتله بالسعير ولما مات خلفه ابنه عثمان وحاصره يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني سبع سنين ومن ملوكهم السلطان أبو حمو الذي وفد عليه بتلمسان شريف العلماء وعالم الشرفاء أبو عبد الله الشريف وكان معظما للعلم. ولما قدم عليه إبنى الإمام أبو زيد و أبو موسى بنى لهما مدرسة عظيمة معروفة بهما إلى الآن و من ملوكهم السلطان أبو ثابت وأحمد العاقل الذي جعل دار ملكه وهران لما وقع بينهم خلاف ونزاع..

وقولي: امتدا لهم إلى دلس: قرية بإزاء زاوارة على البحر، فكان ملكها الأمير أبو عبد الله الحفصي سنة 765 والذي بنى منار الجامع الأعظم بالجزائر، هو أحد

أعاصي ملوك بني زيان وامتد ملكهم بتلمسان من تاريخ يغمراسن إلى سنة 956 فصفت للأتراك وتغلب عليهم أثناء هذه المدة أبو الحسن وأبو عثمان كما يأتي.

اعلم أن مدة ملك لتونة أهل اللثام 96 سنة لأنهم خرجوا من رباطهم في جزيرة النيل¹²⁴ لتمهيد الأقطار سنة 445 وأول أمرائهم الأمير يحيى إلى أن قتل تاشفين بوهران وابن أخيه إسحاق بمراكش سنة 541. ومدة ملك الموحيدين من عبد المؤمن وبنيه من استيلائهم على وهران ومراكش وتلمسان إلى آخرهم أي أبي دبوص 128 سنة لأن ابتداء ملكهم من عام 41 من السادس إلى عام 68 من السابع وأيام شيخهم خارجة من هذا : 11 سنة وعبد المؤمن 16 سنة. ومدة ملك آل زيان بتلمسان 295 سنة وقيل ثلاثمائة غير تسع سنين. وكل دولة ما فيها من الهرم على ما بيناه ولكل ميدان غاية ولكل بداية نهاية.

قال الشاعر رحمه الله آمين:

كأن لم يكن من الحجون إلى الصفا . . أنيس ولم يسمر بمكة سامر.

في وقتهم بها الرباني عالمها . . محمد الهواري الأستاذ كابين شاس

الضمير يعود على بني زيان لأن تلمسان بعد فتك أبي الحسن بها وابنه أبي عنان، صفت لأبي ثابت وبنيه من أعاصي ملوكهم ولهم بوهران التصرف المطلق من غير منازع بعد هروب عبد الله بن سعيد قائد أبي عنان منها لأن أبا عنان لما هلك آخر سنة 758 وصفت لأبي سالم الخلافة فارتحل من فاس متوجها للمغرب الأوسط فلما نزل بتلمسان نزل للسلطان أبي العباس على إفريقية وأقر بني زيان على ما بأيديهم. وبالجملة هو أول من نفّض يده من هذه الأعمال الشرقية.

وقولي الرباني أي المنسوب لله تعالى كما قال مثله ولي الدين القرافي في قوله كابن يزيد الأسود الرباني. وهي نسبة للرب، من حيث هو عالم بما عمله، عامل بطاعته، معلم للناس بما أمر به وزيدت فيه النون مبالغة. وقال قوم منسوب إلى الرباني وهو الربان و هو معلم الناس و النون فيه زائدة كما هي في غضبان و عطشان و في البخاري: الرباني الذي يُرَبِّي الناس بصغار العلم قبل كباره. قال في القاموس و الربان رئيس السفينة و قولي و عالمها العالم أعم و الفقيه من يحسن الفروع الفقهية هذا في اصطلاح العلماء لا اللغة. وكان الإمام مالك يقول ابن وهب عالم وابن قاسم فقيه، نقله ابن خلكان

وقولي محمد الهواري نسبة لهوارة وأولاد هوار هو ابن مازيغ بن برنس وتقدم لنا شئ "من ذلك وأكثر هوار بأعمال طرابلس ومنهم أهل مسراتة التي بها ضربح الشيخ زروق ومنهم أهل قلعة أسنان التي هي الآن محل محط أثقال بني حناش أهل تنمطامة ومنهم قبائل بإزاء القيروان وهم الذين زحفوا مع أميرهم عكاشة بن أيوب إلى حنظلة بن صفوان الكلبي: عامل هشام بن عبد الملك على إفريقية، فأوقع بهم وهم بتوزر الجريد كثير. ومن مشاهيرهم بالمغرب الأوسط أهل مسراتة بإزاء قلعة بني راشد وكان لهم عزة بها وقصبتهم بها مشهورة يومئذ لبنى يوسف من ولد محمد ابن إسحاق والذي اختطها محمد منهم. هوار هذا أخو اللط من أمه الذي من نسله الشيخ وفاق اللمطي المتقدم ذكره هذا وفي الشيخ ابن صفوان فالشيخ سيدي محمد الهواري من مغراوة فإنه قال في مدحه: شيخ الشيوخ المشهود له بالثبوت والرسوخ سيدي محمد بن عمر بن عثمان بن سابع بن عياشة بن عكاشة بن سيد الناس، المغراوي المعروف بالهواري انتهى.

ومغراوة مر الكلام عليهم والله أعلم. توفي (الهواري) صبيحة يوم السبت ثاني عشر ربيع الثاني من سنة 843 وابن شاش هذا هو محمد بن عبد الله بن نجم بن شاس الجزامي، السعدي الفقيه المالكي. كان فاضلا فقيها في مذهبه وانتفع به خلق كثير وصنف في مذهب مالك كتابا نفيسا أبدع فيه وسماه: الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، و وضعه على ترتيب وجيز الغزالي وفيه دلالة على غزارة علمه ولطائفه المالكية. بمصر عاكف عليه أهلها لحسنه وكثرة فوائده وكان يدرس بمصر بالمدرسة المجاورة للجامع. مات بثر دميّاط غازيا لما أخذه العدو سنة 616. ولا يقال الأستاذ إلا للعالم الكبير. فإذا قال ابن السبكي الأستاذ و أطلق فالمراد أبو إسحاق الإسفرائي لأنه كان اصوليا كلاميا فقيها حاز رياسة العلوم بالعراق وخرسان وناهيك أن تلميذه البيهقي والقشيري وأكثر الحفاظ كما أن العلامة إذ أطلق فالمراد به الشيرازي. ولما بنى نظام الملك المدرسة سأل أن يتولاها، فلم يقبل فولاه ابن الصباغ مدة يسيرة ثم أجاب إلى ذلك، فدرس فيها إلى أن مات سنة 476.

ولما سمع به نظام الملك قال: من الواجب أن تغلق المدرسة لأجله وتوفي الأستاذ سنة 418. ولما قيل للقدوري: انت أعلم أم أبو إسحاق، أنشد

نزلوا بمكة في قبائل نوفل . . ونزلت بالبيداء أبعد منزلي
حذرًا عليه من مقالة كاشح . . دَرَب اللسان يقول ما لم يفعل

ولما كان الشيخ الهواري انتهت إليه الرياسة بوهران في مذهب مالك، فإني شبهته في الأستاذية بآبن شاس لسعة علمه وكان آبن شاس لا يضاهيه أحد في مذهب مالك بمصر. وكان آبن عرفة يقول للطلبة: عليكم بفقہ آبن جلاب لأنه لا يشوبه شيء من مذهب الشافعية. أما آبن الحاجب وآبن شاس فقد نقلًا كثيرًا من وجيز الغزالي في فقه الشافعية.

فائدة: وقع السؤال بمجلس آبن تاشفين أحد ملوك تلمسان الذي نحن بصدد الكلام عليهم، عن آبن القاسم هل هو مقلد أو مجتهد؟ فقال الفقيه أبو زيد بن الإمام: مقلد النظر بأصول مالك و قال سيدي عمران المشدالي إنه مطلق الاجتهاد. و احتج بمخالفته في بعض المسائل؟ فاستظهر أبو زيد بنص شارف بن التلمساني يمثل فيه الاجتهاد المخصوص لآبن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك بالمزري الشافعي فقال المشدالي: إن هذا مثال والمثال لا تلزم صحته.

وكان سبب أخذ النصرى لوهران، دعاء الشيخ الهواري بذلك لما قتل بنوزيان ولده وحضر لهذه الدعوة سيدي على الأصفر التلمساني وأنذرهم تلميذه الشيخ إبراهيم التازي بقصيدة تائية مع ما أنظم إلى ذلك من أن الشيخ: أبا العباس سيدي أحمد بن يوسف أحد الأولياء الكبار والأتقياء الخيار، الهواري وطنا الوانودي أصلا نفعنا به الله، آمين، ذهب مرة إلى وهران، فعظمه أهلها أشد التعظيم، فكتب قائدها للأمير الزياني إن "رجلا بارض هواره يخشى منه الملك" فكتب الأمير للقائد: "إبعثه إلي أو أقتله". فلما أتى الشيخ أهله برأس الماء*، بعث العامل لأمير هواره: أحمد بن غانم في الشيخ فأطلع الشيخ على ذلك، ارتحل من وطنه وقال: "شوشونا، شوشهم الله من البر والبحر." فلم يكن إلا قليل حتى شوش الله بني زيان من البحر بالكفرة فأخذوا وهران ومن البر بالأترار، فأخذوا تلمسان، فرحل الشيخ قاصدا بني غدو واعترضه محاربون من سويد، فقبض ثلاثة أحجار من الصم وحكها بيده، فصارت رمادا وقال لهم "إن تعرضتم لنا يسحقكم الله مثل هذه الأحجار"، فاتوه تائبين مذنعين. وذكر الصباغ إن له بنتا حينئذ إسمها عائشة. وكراماته لا تحصى، توفي رحمه الله سنة 931، وقبره بمليانة من أعظم المزارات.

خلفه بعد موته إبراهيم . . . الذائع لصيت إلى قوميس.

كان رضي الله عنه من الجامعين بين العلم والورع والزهد والفضل وكان من أكابر القراء والمحدثين وجهابذة العلماء المسندين. وقفنا له على تصانيف صحيحة وقصائد

* قرية بولاية سيدي بلعباس

مليحة وخطب بديعة وملح صنيعة، عارفا بالأولياء وأخبارهم وأيام العرب وأشعارهم وبالأدب و بالأدباء ونواديرهم أخذ عن عدة أشياخ و من أشهرهم الشيخ محمد الهوراي المذكور. كان في غالب أمره في طريقه يذهب وعلى قابله يضرب. وإني رأيت في تأليف منسوب إليه، أنه بعث إلى أهله بالمغرب من وهران مكتوبا يقول فيه: فقد ظهر فضل الشيخ عليّ والحمد لله، إني أدرس في مختصر خليل ولا أحتاج لنظر الشروح. ولما مات شيخه رضي الله عنه، قام مقامه وتقلد حسامه ونصّب راية العلوم وشيد بنيانها ورفع قواعدها ودعم أركانها، فابتهج به المحل والأوان وحاز رئاسة الفضل بثغر وهران فهو المطاع وليس ذي السلطان.

وبديع تدبيره لئله. يدل على فراسته ودهائه. فكان له به الآثارات الجسام التي لا يقدر على بعضها الملوك العظام. يحكي أنه كان يستقرض الدراهم الكثيرة من التجار ويصرفها في إصلاح هذا الماء ولا يدري من أين يوفي بذلك. ولما تم بنيانه وصوب ميزانه وأرصد مكانه، أخرج للناس الأطعمة المختلفة الأنواع والألوان، فشبع كل ما كان بثغر وهران. وكان ذلك اليوم المشهود من الأعياد والمراسيم معدودا. فقيل له: من أين أخرجت هذا الطعام وما صرفت على الماء ولست من الملوك والأعيان والأغنياء، فقال: الله منّهُ، مساعدة الزمان ومساعدة الإخوان" وكان نفعنا الله به شديدا على الملحين، لين الجانب للمتقين، وقال صلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق، ظاهرين عليه، لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة". وفي الجامع الصغير للسيوطي أن "الله تعالى"، عند كل بدعة كيد بها الإسلام وأهله ولي صالح يدب عنه ويتكلم بعلاماته، فاغتنموا تلك المحاسن بالدب على الضعفاء وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا والله در العارف بالله سيدنا عبد الله بن المبارك حيث قال:

قد يفتح المرء حانوتا لمتجرة . . . وقد فتحنا لك الحانوت للدين

والمبارك أبوه وهو الذي كان يعمل لمولاه سنين ولم يعرف بالبستان الرمان الحامض من الحلو خلافا للشيخ أبي بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملوك أن هذه القصة صاحبها إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه وعن الجميع. والذائع الصيت أي فاشي الذكر منتشره.

وقولي إلى قومس. قومس إقليم من عراق العجم حده من جهة خراسان بسطام¹²⁵ ومن العراق سمنان وقاعدته الدامغان وهذا الإقليم هو المعنى بقول أبي التميم في مدح عبد الله بن طاهر الخزاعي:

يقول في قومس سيروا وقد أخذت. هنا السرى وخطى* المهريّة القود

ولا شك أن هذا الولي انتشر خبره إلى ذلك الموضع أو أكثر. فقد حدثني من أثق به أنه وجد بمكة المشرفة تأليفاً شاملاً على قصائد تتعلق بطريق القوم يباع من تأليف الشيخ المذكور ومع ذلك إن بائعه عراقي ونسب الشيخ رضي الله عنه من لواتة أولاد لومن صاهيك بن رجيك وقال الصولي: "إن هوارة ولواتة أولاد حمير بن سبأ" ولابن عبد البر: أنهم من ولد قبط إخوة أهل مصر. وراجع ما مر من الأقوال. وأول استقرارهم بالمغرب جهات طرابلس ثم امتدوا إلى سوس الأقصى مفترقين فيه.

فلذا قال ابن خلدون: سبب تسمية جبل من البربر هوارة لما أتوا إلى المغرب، قالوا لقد تهورنا وهو بخلاف ما مر لنا إنهم أولاد هوار ألخ. واعلم أن اسم لو في البربر إثنان: لو الأكبر ولو الأصغر والمتحدث عنهم أولاد الأصغر وعند أكثر المؤرخين أن لو الأصغر من نسل لو الأكبر والبربر إذا أرادوا الجمع زادوا الألف والتاء، فصار لوات فلما عربها العرب حملوه على الأفراد وألقوا به هاء الجمع.

وهم بنواحي برقة وبجبل أوراس كثيرون تناهز خيلهم ألف فارس وهم بنو باديس وسبب إنتشارهم بالمغرب أن أبا الخطاب رأس الخوارج الأباضية لما فتح طرابلس وهرب منهم عمر بن عثمان القرشي، بعث جعفر المنصور من بغداد واليا على إفريقية: وهو محمد بن الأشعث وعقد له على حرب الأباضية بها. فلما سمع به أبو الخطاب زحف إليه بحنوده، فكان المصاف بسرت، فكانت على البربر والخوارج، وانفضت جموعهم، فلما رأى عبد الرحمن بن رستم بن دستان من ولد رستم صاحب حرب القادسية مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ذلك، فر إلى المغرب واجتمع معه لماية و لواتة وبعض نفزاوة وملكوه عليهم واخطط مدينة تهازت بسفح جبل قزول على رأس تلؤل (تلال) منداس شرق نهر مينا سنة 218 واجتمعت الصفرية بمكناسة قرب تازة وملكوا عليهم عيسى بن أبي زيد الأسود، فاخطط مدينة سجلماسة سنة 140 واتسع خط كل من المدينتين ودام ملك عبد الرحمن رأس الأباضية بتاهرت إلى أن استولى عليها الشيعة سنة 298. وتغلب عليها محمد بن الخير أحد ملوك وهران من مغراوة وقبض على ميسور الخصي وأطلقه بعد حين. ونزلت عساكر بني أمية أيام

¹²⁵ نسخة أ: د بسطام
* يقصد بها آمنتعت الأبل عن السير

المنصور بن عامر ثم ملكها لمتونة ثم الموحدون إلى أن خرج عليهم ابن غانية من ناحية قابس ولم يزل يَشُنُّ الغارات على المغرب ويكرر دخوله إليها عنوة مرة بعد أخرى إلى أن اختل ساكنها وخلا جوها وأعفى رسمها سنة 126 685 وذلك آخر العهد بعماراتها.

وأكثر أهل مصاب من لماية ويأتي الكلام على جربة. ولما خرج حميد بن نصال على المنصور الشيعي، ظاهروره (كذا) لواتة وزحف بهم المنصور فلما انفضوا، هربوا أمامه غرب السارسو فرجع المنصور عنهم. وذكر ابن الرقيق أنه في رجوعه، وقف على أثر من بناء الأقدمين وهي القصور* التي على الجبال الثلاثة المبنية بالحجر المنحوتة تبدو للناظر على البعد كأنها أصنمة: أي قبور وأنه رأي كتابة في حجر منها فُسِّرَ له "أنا سليمان السردحاوس". خالف أهل هذا البلد على الملك، فبعثني، إليهم ففتح الله علي وبنييت هذا البناء للذكر به".

وكان بنو وَزْجِين بعزونة أمير مطماطة زحفوا إلى لواتة فكان بينهم حروب عظام هلك فيها "أعيان" أمير وزدجين فأزاحوهم إلى السرسو وكان بينهم قوم من مغراوة فعدروا بهم عند كدية سيدي العابد وأزاحوهم إلى جبل إيغود فنزلوا درآكا وانتشروا إلى الجبل المطل على متيجة وجبل دراك في قطاع موسى من مشيخة العطاف. ومن لواتة نفر قبلة قابس ومنهم بنو مكي رؤساء قابس ومنهم النفر الذي بمالطة وهم المشهورون إلى الآن على دين النصرانية وسبب نزولهم بها معروف عند أهل إفريقية. ومن لواتة نفر بإزاء السكندرية ومنهم بجبل نسمط يقال أن بني سلوكسن منهم ومنهم لواتة جبل بني عامر بحوز تازة وإليهم ينسب التازي لأن قومه من حوزها ومنهم بنواحي تادلي بقرب مراکش ومنهم قرى بالصعيد ومنهم بالجبال غربي تلمسان. وأما بنو ورنيد وبطيوة وبني يزناسن فمن بطون صنهاجه لا لواتة.

مات الشيخ التازي سيدي إبراهيم رحمه الله يوم التاسع شعبان من سنة 866 ودفن بوهران، ثم لما دخلها النصارى، صار المجاور بضريحه ينهب في ماله وكريته ووافق ذلك قدوم أهل القلعة بخروجهم إلى وهران، فدفع ذلك المجاور الكراء من عند أهل القلعة، فاحتملوه ودفنوه بها وقبره الآن عليه، قبة جيدة مشهد في التماس البركة وقبول الدعوة رحمه الله

ثامن قرن قد أمها المريني أبو . حسن تمّتا بيعة طرابلس

¹²⁶ نسخة أ: سنة 620 و هو الأصح
* هي "الاجدار" حاليا : جنوب تيارت مشهورة بآثارها

بني بها الأحمر ففاق كل بناء . ثم بني الثاني حذو سفن المرس

قصدها وبيعة بفتح الباء هي إعطاء الطاعة وهي مشهورة عند الخلفاء والسلاطين. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الشجرة بالمدينة المشرفة، مد يده للبيعة فبايعته. وأول من بايع فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وفيها بايع صلى الله عليه وسلم عن عثمان نيابة وقال: "يميني لي وشمالي لعثمان وهذه البيعة يسمونها ببيعة الرضوان. وأول من بايع عثمان عبد الرحمن بن عوف و أول من بايع عليا طلحة رضي الله عنهم أجمعين. وكانت يد طلحة مثلاً بترت في وقعة أحد لما وقى بنفسه نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: "سبحان الله يد بايعت أمير المؤمنين يعني عليا رضي الله عنه، مثل هذا الأمر لا ينضب له كالذي قبله. فكان كذلك. وكان الخلفاء الراشدون يجعلون على البيعة القسم بالله تعالى، وأول من حلف الناس بالطلاق والعق عبد المالك بن مروان.

والبيعة بكسر الباء فهي كنيسة النصارى والمرسة الجبل والجمع مرسات بفتحيتين وجمع المراسي هو جمع الجمع كالأيادي وكذا على ما لابن الشيخ وابن العلق والمرسى أيضا مصدر ورجل مرس شديد العلاج ومرست يدي بالثوب مسحت والمرميس الداهية.

وأبو الحسن هذا الذي بني البرج الأحمر، وبرج المرسى بثغر وهران سنة 748 هو السلطان على بن أبي عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المشهور بابن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن ورزين بن فقوس بن كرمات بن مرين. وكان عبد الحق هذا استخلص الملك من آل عبد المؤمن بسيفه سنة 613، لكن لم يستول على كرسي الخلافة بمراكش، لا هو ولا ابنه محمد ولا ابنه أبو بكر. واستولى على كرسي الخلافة ابنه يعقوب المشهور سنة 668 بقتله آخر ملوك بني عبد المؤمن ابن أبي دبوس.

سنة 72 من ولايته، عبر البحر إلى الأندلس غازيا لما استدعاه محمد بن نصر أحد ملوك غرناطة من بني الأحمر وزحف إليهم دنونة¹²⁷ ملك الروم فدارت بينهم حروب قل أن تكون في الدهر. ثم انفضت عساكر الروم فقتل دنونة في الهزيمة وقتل من جنوده تسعة آلاف كما في نظم ابن الخطيب حيث يقول رحمه الله.

تسعة آلاف من الكفار . دعا بهم داع البواري

وكان قدر الغنيمة 7330 أسيرا و 124.000 من البقر و من الكراع* 14600. وأما الغنم و الماعز فضاقت الأرض بها. فقد بيعت الشاه بدرهم ولما قسم الغنائم، ارتحل فنزل قصر الصخرة فأناه "هوانري" ** ملك جبل قشتالة لعقد الجزية، فلما قبّل يد السلطان، دعا بماء في حضور بطارقة الكفرة وغسلها من قبلته فكانت على الروم انكى من الغزوة المتقدمة. فكان له بذلك فخرا جميلا وفخما جليلا كما قال لسان الدين بن الخطيب السلماني رحمه الله " واجتمع القوم بحصن الصخرة و شاهد الناس جميعا فخره و كان هذا الفخر من بني مرين. وبني يلولة، ومديونة مواطنهم من فقيق إلى تفاللت إلى ملوية وكانت بين بني و نأثو و بني إلومى حروب عظيمة قتل فيها ماخوخ المشهور بالخيمة التي آثارها الآن ببلد أولاد على وبنو مرين إخوة بني إلومى فكانوا يمدونهم بالجيوش ومن إخوة بني مرين أيضا بنو راشد وتجين وعبد الواد يجتمعون في زجيك بن واسين ويقال له بادين أيضا ومن قرابة بني مرين بنو وطاس بعضهم بغدامس وعند بعضهم أنهم من نسل علي بن يوسف بن تاشفين منهم ملوك المغرب في القرن العاشر وأشهرهم ابن الوزير كما يأتي، ومن ملوك بني مرين، يوسف بن يعقوب المذكور وهو الذي حاصر تلمسان في أيام ملكها عثمان بن يغمراسن ودام حصاره لها سبع سنين وقيل خمس. ومات عثمان مدة الحصار. وانتهت عساكر يوسف إلى إفريقية واشتد البلاء بتلمسان بحصاره حتى بيع صاع القمح في الحين ثمانية دنانير.. ولما قتله أحد خدعة وهو نائم مع إحدى جواريه، أفرغت عساكر بني مرين عنها فبيع القمح في الحين ثمانية أصوع بدينار وهو مما يتعجب منه، و فتك أبو الحسن بها وإبناه أبو عنان مشهور لا نطيل فيه، وقد قال موسى بن صالح المشهور بالكهانة أن تلمسان تحرث وكأن -كما قال- حرثها غلام أسود على ثور أسود. كان ذلك.

سنة 760، لما خربها أبو عنان وكان هذا الكاهن يسكن وسط برابرة غمرة وأرضهم من المشتتل إلى الزاب وقال ابن خلدون: فبعض الناس كان يقول هو كاهن وبعضهم يقول ولي ولا صحة بخبره. والسلطان أبو الحسن هو الذي بنى المنصورة غربي تلمسان في مدة حصاره إياها. قال ابن الخطيب في مدحه:

ثم بنى المنصورة المشهورة . الفذة الجامعة الكبيرة

وقولي تمت بيعة طرابلس وسبب ذلك أن السلطان أبا بكر الأصغر الحفصي لما مات سنة 747 واشتد القتال بين بنييه: أبي حفص وأبي العباس وأبي فارس عزوز

* الكراع : يقصد بها الخيل
** « HENRI »

وأضرمت إفريقية نار الفتنة، هرب حاجب السلطان محمد بن تافركين إلى المغرب لسعاية بلغته به فلحق بابي الحسن المريني فصار يرغبه في ملك تونس وسهل عليه أمرها. وكان لما فتح تلمسان سنة 740، كان يحدث نفسه بإفريقية ويتربص بالسلطان أبي بكر ففويت حينئذ عزائمه كما قال العباس بن مرداس رضي الله عنه في عمر بن سعد كرب الزبيدي:

إذا مات عمرو غزونا وقلت للخيل اوطئ زبيد

ثم أخبر بمهلك ولدي أبي بكر: العباس وعزوز فارتحل من مراكش وجد السير إلى أن نزل بتلمسان، فوافته الحشود من كل جهة ثم ارتحل في أول صفر ثاني شهر سنة 748 يجر الدنيا بما حملت فنزل بوهرا ن فاخطت البرجين كما مر. فوفد عليه بها أولاد حمزة والكعوب وسائر أمراء العرب بإفريقية وبعث ابن مكي أمير قابس وفده بالطاعة وابن ملول صاحب توزر وابن عابد صاحب قفصة و صاحب الحامة و صاحب نفطة كلهم بايعوه بوهرا ن رغبة ورهبة وأدوا بيعة ابن ثابت سلطان طرابلس لبعد داره. ثم قدم على إثرهم يوسف بن منصور صاحب الزاب ومعه كبير الذواودة يعقوب بن علي وأوسع الكل كرمه وجوائزه وعين القاهرة* للبرجين المذكورين والعملة والآلة ثم رحل بجيش الأمم قاصدا إفريقية إلى أن دخل تونس في يوم مشهود يقل مثله بعده في الوجود. وقد وافق ذلك موت الحاجب أمير فنون العلم وجامع أشتات النثر والنظم وإمام المصنفين بحكم أقرانه العلامة ابن هارون أحد شراح ابن الحاجب وشيخ ابن عرفة وزوجته في ليلة واحدة.

فقدّم السلطان لما حضر جنازتهما للصلوات عليهما أبا عبد الله السبطي صاحب الفتوى بمجلس أولاد السبطي الآن بفاس مشهورون و كان هذا السلطان، لما فتح تلمسان شيد بناء جامع الإمام الشهير أبي مدين بن شعيب الأندلسي ثم الإشبيلي رضي الله عنه وقد كان أشخصه المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن من بجاية إلى حاضرة ملكه مراكش. فلما وصل حوز تلمسان مات رحمه الله ودفن بالعباد سنة 594 وهو أحد كراماته. وبني أيضا جامع الولي الصالح سيدي الحلوي إلى غير ذلك من آثاره الحميدة وصنائه المجيدة. توفي هذا السلطان سنة 752 بسلا.

حكاية لطيفة: وفد على أبي سالم بن أبي الحسن ثلاثة، واحد من مكة المشرفة وواحد من المدينة المنورة والثالث من القدس. فقال القدسي: يا أمير المؤمنين قد علمت أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لا تشدّوا الرحال إلا لثلاث ألح.... وأنك

* القاهرة: الحراس

يا أمير المؤمنين بفضل الله عليك، أهل الثلاثة المواضع الشريفة شدوا إليك الرحال فهذا مكّي وهذا مدني وأنا قدسي. فأعجبه كلامه وأجازهم إجازة فخمة. وقد وفد عليه بعض أهل السودان بزارفة وفيل فأجازهم وقبل الرازقة ورد الفيل وقال: أرجو إلا أكون من أصحاب الفيل.

وبنو مريّن هؤلاء قوم شديد بأسهم مرهوب جانبهم ولولا يغمراسن ألّهّي يعقوب بن عبد الحق بشن الغارات لاستردّ كثيرا من أرض الأندلس، فكان مانعا من الموانع ليعقوب عن تدويخ الكفرة. فكان يعقوب إذا غزا الأندلس خلفه يغمراسن بشن الغارات في بسائط المغرب وكان بينهم زحوف تزيد على الخمسين زحفا في كلها الظهور لبني مريّن إلا نادرا لبني عبد الواد. وامتدّ ملك بني مريّن بالمغرب إلى أن انقطع سنة 875 بقيام الشريف محمد بن علي بن عمران الإدريسي الجوطي على آخر ملوكهم عبد الحق بن سعيد المريّني. فابتدأ ملكهم بعبد الحق كما أن بني مروان بدمشق أولهم مروان وآخرهم مروان بن محمد وآل سفيان أولهم معاوية رضي الله عنه وآخرهم معاوية بن يزيد كما أن آل العباس أول ملوكهم محمد السفاح المنسوبة له الدراهم المحمودية وآخرهم محمد المعتصم الذي استشهد في واقعة التتار يوم السبت في ربيع الثاني سنة 556 وهو آخر ملوكهم ببغداد ولم يملك واحد من بعده إلى الآن. ومر تاريخ بغداد. ثم قام على السيد محمد الجوطي الشريف المذكور السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ أبو الوزير ابن أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي فأخذ ملك المغرب من يده سنة 876 واتصل بيده إلى أن مات في آخر رمضان سنة عشرة من القرن العاشر. فمدّة ملكه 34 سنة، ثم ملك بعده ابنه أبو محمد عبد الله الغالب، ثم أخوه أحمد المنصور إلخ... وبني وطاس هؤلاء جعلهم الشيخ العالم الفقيه النحرير الورع النزيه العلامة المسناوي من بني مريّن. فمدّة ملك بني مريّن من عبد الحق بن محيو إلى عبد الحق بن أبي سعيد: 208 سنة، و 56 سنة قبل استيلائهم على كرسي مراکش. وطرابلس مدينتان واحدة بشواطئ الشام والأخرى قاعدة أوطان برقة ومدنها الكبيرة: زويلة، درنة، ابن غازي، مسراتة، وزبارة الخوارج وغير ذلك. قال ابن خلدون: ويقال أن طرابلس الشام بألف في أولها. ومن طرابلس الشام ابن مريّن الملقب مهذب الملك المدفون بجبل شوجن لمات بحلب سنة 548 هو القائل رحمه الله:

وإذا الكريم رأي الخمول نزيله . . . في منزل فالحزم أن يرتحلا
كالبدر ولما أن تضاعل جدّ في . . . طلب الكمال فجزاه منتقلا
ولا تحسبن ذهاب نفسك ميتة . . . ما الموت إلا أن يعيش مُدَلَّلاً

وطرابلس المذكورة في النظم مرادنا بها الغربية لأنه يبعد أن ملك بني مرين وصل إلى الشام. وهذه المدينة ثغر عظيم من أول الدول القديمة، فغزاها عمرو بن العاص بأمر من عمر بن الخطاب ففتح من أعمالها صيرة وهي باكورة فتح المسلمين في أرض المغرب وهي الآن خراب ثم فتحوا فزان وودان والواحات وذلك قبل طرابلس ولما مهدت جيوشهم رضي الله عنهم طرابلس وأعمالها، زحفوا في عودتهم إلى النوبة غربي الحبشة بين النيل وبرقة. ففقدوا من المسلمين 150 عينا وتفرقوا في الجبال فارين، لم يقبض منهم عمرو لا دينارا ولا درهما. قاله ابن جرير، وبقيت بأيدي المسلمين مستمرة وبعث إليها هارون الرشيد هريمة بن أعين سنة 179 أميرا عليها فبنى سورها الموجود الآن وبني المدينة البيضاء وتداولتها عمال المسلمين إلى أن أخذها ميخائيل الأنطاكي صاحب أساطيل رُجَار الصقلي لعنهما الله. واستمرت بأيدي الكفرة إلى أن أخذها منهم ابن مطروح ودخلت في طاعة الموحدين على أن استبد بها ابن ثابت وابنه بعده عام 750. وبعد استقلال ابن ثابت بها خمس سنين، أتى الجينوز¹²⁸ فرقة من الكفرة في مراكب وأرسوا ليلا وخرجوا إليها وكان تجارهم قبل ذلك اطلعوا على عوراتها، فصعدوا السور واستباحوها بما فيها وأقاموا بها ثم داخلهم ابن مكي صاحب قابس في فدائها فاتفقوا على 50.000 دينار فبعث للسلطان أبي عنان بمراكش ليؤديها وينفرد بثوابها. ثم تعجلوا عليه لما خافوا من أبي عنان يغزوهم فجمع ما عنده وأستوهب الباقي من أهل قابس والحامة والجريد فجمعوها له رغبة في الأجر، فمكنه النصارى من طرابلس فملكها وأزال منها نجس الكفرة. ثم بعث له السلطان بالمال وأن يرد للمسلمين ما أعطوه وينفرد بثوابها وذكرها فامتنعوا إلا قليلا منهم وأخبارها كثيرة وفيما ذكرنا كفاية.

ولما مر بها موسى بن نصير في وجهته لإفريقية أميرا من قبل الوليد بن عبد الملك، غزا سقيوما قبلتها مغربا قليلا فغنم وسبى وكتب إلى الوليد بالشام أنه صار لك من سبي سقيوما مائة ألف رأس من السبي فكتب له الوليد: ويحك إني أظنها من بعض كذباتك وإن كنت صادقا فهذا محشر الأمة، نقله ابن الرقيق.

خامس عشر من عاشر أناخ بها . الإسمانيون أهل الشرك والرجس

قولي أناخ: فيه استعارة مكنية و تخيلية وهي قسم من الاستعارة الخفيفة. فالكناية هي التشبيه المضمر في النفس فلا يُصرَّح في شئ من أركانه الأربعة سوى اسم المشبه ويدل على ذلك التشبيه بأن يثبت للمشبه شئ من لوازم المشبه به

¹²⁸ الجنونيون نسبة إلى جنوة بإيطاليا

فيسمى ذلك التشبيه المضمّر في النفس استعارة بالكناية وإثبات ذلك اللازم المختص بالمشبه به للمشبه وسمي استعارة تخيلية أما تسميتها بالكناية فلأنه لم يصرح به ، إنما دل عليه بذكر خواصه ولوازمه. وأما التخييلية فإنه قد استعير للمشبه لذلك اللازم الذي يختص بالمشبه به ، فيتخيّل أن المشبه من جنس المشبه به كناية فأنّاح حقيقة في الإبل ومجازاً في الجيوش فتشبه الجيوش بالإبل تشبيهاً مضمراً في النفس و هذا كناية. وذكرك أناخ الذي هو من لوازم المشبه به تخيّل. ومثال التحقيق الثابتة حساً كقوله عندي أسد يقرأ هنا مستعار للرجل الشجاع وهو أمر متحقق حساً وعقلاً كقوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم" أي الدين الحق وهو ملة الإسلام. وهذا أمر متحقق حساً وعقلاً وما مر لنا في المكنية إنما هو مذهب القزويني وهو مخالف لمذهب القوم وذلك مخالف لطريق السكاكي، انظر ذلك في محله والله الموفق.

والرجس القذر قال القرافي في قوله تعالى: "يجعل الرجس على الذين لا يعقلون" هو العقاب والغضب. والإسبانيون نسبة إلى إسبانيا مدينة قديمة كانت قاعدة ملكهم وأما الآن قاعدتهم مدريل باللام مدينة الطاغية كما أن الفرنج قاعدتهم الأولى فرنسة ثم تلاشت و بقي النسب إليها. يقال فرنجة وفرنسة لكن في ابن خلدون أن التسمية الثانية من وضع العامة: والاسبانيون هؤلاء من اللطينيين وهم اللكتيم* وكانوا من أعم ملوك العالم وكان لهم استيلاء على جانب بحر الروم من الأندلس إلى رومة إلى القسطنطينية والمغرب وكانت لهم حروب مع جميع أجناس العالم يطول بيانها. كانوا أولاً من المجوسية إلى أن ظهر الحواريون وبنوا على دين المسيح بأرضهم وتسلطوا عليهم مرة بعد أخرى ثم أخذوا بدينهم وأول من أخذ بدينهم قسطنطين بن لوثيوس¹²⁹ وأمه هلان بنت مخشمليان وسموا نصارى نسبة إلى ناصرة القرية التي كان فيها مسكن عيسى عليه السلام، لما رجع من مصر مع أمه. ونصران من أسماء المبالغة ومعناه هذا الدين في غير عصبه، صاحبه يهودي من ينصره من اتباعه لأن نبي الله عيسى عليه السلام إنما هو من بني اسرائيل من سبط يهود بن عمران عليه السلام. لأن عمران أبا مريم عليها السلام من ولد ماتان بن يوحنا بن يوشا السادس عشر من ملوك بني سليمان.

لطيفة: دخل يحيى بن يعمر العدواني على الحجاج بن يوسف يوماً فقال له: أنت الذي تقول الحسين من ذرية الرسول عليه الصلاة والسلام"، قال، نعم، قال له: آتني بالمرح وإلا طرحت أكثر شعرك بالأرض". قال يحيى: وأن آتيت بالمرح فأنا آمن". قال: نعم، قال له: اقرأ أيها الأمير" وتلك حجتنا آتينها إبراهيم على

* (Lacitum)

HELENE fille de Maximilien et Constantin fils de d'Aulitus¹²⁹

قومه" فقرأها الحجاج ولما ذكر عيسى اعترف بالحق وقال له: خُلف أبوك عالما فذا كأني ما قرأتها أبدا" وولاه قضاء أرضه إلى أن مات. وجه الجواب أن عيسى من ولد بنت إبراهيم عليهما السلام. وروي أن يحيى لما رجع إلى الحجاج قال له: جعل الله عيسى من ذرية إبراهيم عليهما السلام من بعد ما بينهما. وهذا الحسين ما بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم إلا فاطمة رضي الله عنها.

ونسب هؤلاء الروم إلى روماش¹³⁰ باني رومة من ولد علجان بن يافت بن نوح عليه السلام ولذا يقال لهم العلوج وبعض المؤرخين وتبعهم بعض ضعفة المفسرين وأكثر الفقهاء في مبحث الجهاد يزعمون أنهم من ولد ينسوس بن عطاس بن عيصو بن إسحاق وقد أنكر ذلك المحققون وأبوه، لأن ابن حزم ذكر أن بني عيصو بن إسحاق بادوا جملة وخطأ من قال إن الروم منهم. وقال إنما وقع الغلط لأن موضعهم يقال له أروم. وفي التوراة أن عيصوا اسمه أروم فلذا يقال لهم بني الروم ومعناه بالعبرانية الجبل الذي لانبث فيه. فهذا سبب الغلط. قال ابن خلدون "إن ظن ظان أن قول النبي صلى الله عليه وسلم للجند بن قيس في غزوة تبوك: "هل لك في جلال ابن الأصفر..." العلم يدل على أن الروم من بني الأصفر وهو عيصو¹³¹ فليس كما ظن لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عني بني عيصو على الحقيقة لا الروم لأن مغزاه كان لناعية السرات مسكن بني عيصو.

وذهبت هيلانة لبيت المقدس للزيارة وسألت عن موضع الصليب فأخبرت أن اليهود ملؤه (كذا) زبلا. فلزمتهم طرحه على الصخرة الشريفة فاستخرجت ثلاثة خشب وسألت أيتها فقال الأسقف: علامتها تحيي الميت إذا مسته" فصدق ذلك بالتجربة واتخذ النصارى ذلك اليوم عيداً وبنيت ثم¹³² الكنيسة المعروفة بالغمامة.

وكان تنصر الروم 328 من مولد المسيح عليه السلام. وكان قسطنطين حمل اليهود على النصرانية ويقتل كل من امتنع من أكل الخنزير ثم أمر ببناء بيزنطة وسماها باسمه. وسبب إسلامه مع شدته على دين نبي الله عيسى عليه السلام؛ قبله أنه كان به الجذام بدعوة بطرك عليه فقيل له شفاؤك في دماء الأطفال تغسل به، فجمع منهم عدداً ثم رقي لهم فاطلقهم، فرأى في منامه يحض على التحلل من البطرك فاحسن له ورده من نفيه فبرأه، فحينئذ تنصر.

¹³⁰ روماش : Romulus

¹³¹ عيصو : ESAU

¹³² ثم : في الموقع

وأكثر النصارى على هذا البحر، الإفرنج وهم بني يافث بن نوح عليه السلام بالاتفاق، وهم في بسائط على عدوة البحر الرومي من شماله و جزيرة الأندلس غربهم تفصل بينهم وبينها جبال متوعدة ذات مسالك ضيقة يسمونها البرة* وسكانها الجلالة من شعوب الإفرنج واستولوا من الجزائر على صقلية وقرطيش وجنوة واستولوا على قطعة من الأندلس إلى برشلونة ومن الإفرنج البنادقة وبلدهم يحافي خليجا يخرج من بحر الروم متضايقا إلى الناحية الشمالية ومغربا بعض الشئ على سبعمائة ميل من البحر مقابل لخليج القسطنطينية وعلى ثمان مراحل غربه من بلد جنوة الخ..

فائدة، أول من تنصّر من الروم قسطنطين كما مرّ و أول ملوك حمير تهود، أبو كرف أسعد بن صيفي وأول من وضع الستار على الكعبة الشريفة تبع بن وردع على ما في الباب. مستهل السنة الألف من وفاة هذا الرجل الصالح، أوحى الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وأول ملوك المشرق حارب في المغرب، ياسر بن عمر بن يافور المشهور بياسر الناعم ولده "شامير كهند" هو الذي بني سمرقند قبلة بغداد، على مسافة ستة أشهر وأول من وضع على رأسه تاجا ذهبيا حمير بن سبأ قاله ظاهر مؤرخ الفرس. وأول من استعمل الخمر ملوك بابل السريانية وقال هرشيوش** مؤرخ الروم كان سور بابل في دوره ثمانون ميلا وارتفاعه مائتا ذراع وعرضه خمسون، ومادة تشييده من الآجر والرصاص يتخلله مائتا باب من النحاس في علوه مسكن الحرس وعلى جانبيه العساكر وحوله خندق عميق تملأه مياه الفرات. و كان قيرش ملك الفرس لما غلب على بابل هدمه.

و بنو ميم أهل العراق أول من بنى الدور وسقفها خشب. منهم نسب الفرس. وأول ملوك اليمن غزا الروم عقلمة بن مرثد وهو أول من لبس اللثام. وأول من ملك الأرض من ذرية نوح كنعان بن كوش بن حام. وأول من تكلم العبرانية عامر بن زمخشدر، في مدة ملكه بادت اللغة السريانية. وأول من زاد يوما على السنة الملك "عازية" من نفر داود من بني إسرائيل. وأمر ذلك في أربع سنوات بزيادة يوم بالسنة الأخيرة. وسببها أن الشمس في دورانها تتراجع بربع يوم في كل سنة. وأخذت اليهود بالسنة الشمسية.

ومعنى هذا البيت أن كفرة الاسبانيين أذلهم الله أخذوا منا مدينة وهران سنة خمس عشرة من القرن العاشر غزوا بمدخلة يهودي ونكبوا أهلها بين قتل وأسر. وأما برج المرسى فأخذه قبل ذلك سنة إحدى عشرة. والرجس من رجس كفرج وكرم، والرجاسة: عمل عملا قبيحا انظر القاموس.

* البرة: (Pyrénées) - الجلالة: (Galiciens) - قرطيش: (Crète) - البنادقة: (Vénitiens)
** (Paul Orose)

جحا فل الكفر قد حموا جوانبها .°. وعن دفاعهم عجز أبو قلمس

الجحفل بتقديم الجيم الجيش وفي القاموس جحفل الجيش الكبير. قال عنتره مخاطبا لزوجته عبلة

سلي فزارة عن فعلي وقد قربوا .°. إليّ في جحفل كالعارض الهطل
تهزا سمر القنا حقدا علي إذا .°. رأت لهيب حاسمي زائد الشغل

و قولي حموا منعوا و لم سمي حما لأنه ممنوع من غير محمية و أول من حمى
كليب بن ربيعة التغلبي و كثر في الجاهلية فلما جاء الإسلام قال رسول الله صلح
لاحما إلا لله و رسوله و قولي جوانبها أي جهاتها. و لَمَّا وفد تميم على رسول الله
صلى الله عليه و سلم، قال لعمر بن الأهتم: أخبرني عن الزَّبْرَقَانِ، قال مطاع في
إجابته "حامي لما وراء ظهره، قال الزبرقان: لقد علم لي أكثر من هذا و لكنه
حسدني، فقال عمر: و الله يا رسول الله إنه لأحمق الولد لثيم الخال ما كذبت في
الأولى و لقد صدقت في الأخرى قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن من البيان
لسحر قول.

و عن دفاعهم عجز أبو قَلَمَس.

و حمايتهم لها جوانبها بالأبراج والمدافع والجيش التي لا تدافع، وكان ذلك أيام
آخر ملوك تلمسان من بني زيان وهو السلطان أبو قلمس الزياني. قال الشيخ عبد
الرحمن الجامعي فيه وهو ممن لم يهناً له بالملك قرار ولا استقرت به في المملكة
عمارة ولا دار ولم يكن للمسلمين دفاع ولم يبق لهم فيه طمع باجتماع وزاده على ذلك
الأمر، أمر آخر أدهى وأمر و هو توجه الرعايا إلى خير الدين لما استقر بالجزائر في
جند من الأتراك، بل أفضى ذلك إلى أخذ تلمسان من يده وءال أمره إلى الاستصراخ
بالنصارى فلم ينفعه ماسوّل له الشيطان المارد بل كان ذلك كضرب في حديد بارد.

وعاث دك ببطحتها محتلياً .°. علينا لم يبيل بنا مكث الدفس

عاث أفسد و العتو الفساد و دكّ كان رئيس نصارى وهران و البطحاء فضاء متسع
وأصل البطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحصى و المراد ببطحتها سيرات وما اتصل
بها من ملاتة و القاعة أرض سويد و كثيرا ما يعبر أهل التارخ عن أرض سويد
بالبطحاء و قولي مجتلبا أي يجلب الجيوش من الكفرة وانضم إليهم من قبائل أهل
الإسلام كحميان و قيزة و شافع و نحوهم من جفاة الإعراب، علينا أي معشر
المسلمين و قولي لم يبيل لم يكثر بالمسلمين وأصل لم يبيل يبالي حذف ياءه للجزم
فصار يبال فلما كثر استعماله صار بمنزلة مالم يحذف منه شيء فقدروا تكوين الجازم

عليه مرّة أخرى. حذفت حركة اللام للجزم فسكت اللام و قبلها ساكن و هو الألف فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فصار "لم يبل" حينئذ. قال أبو العلاء المعري:

إذا أنت أعطيت السعادة لم تبل .°. ولو نظرت شررا إليك القبائل
تقتد على اكتاف أبطالها القنا .°. وهابتك في إغمد هن المناصل

كل شاهد لم يبل في الصدر الأول من البيت الأولى و كأنّ البيتين قيلتا في عدو الله دك، فهذا من غريب الاتفاق و المراد بالسعادة النصر و مثل هذا في الاتفاق أن المأمون لما زفت له بدران بنت الحسن بن سهل أمر أبوها بأن يفرش لها بساطا من ذهب كان هيأه لها و ينشر عليه الدرّ، فلما دخل عليها المأمون في بيت البناء رأى ما أخجله ثم رحم الله أبا نواس كأنه حيّ ينظر لهذا حيث يقول في وصف الخمر حين تصب في الكأس:

كل صغرى و كبرى من فقاقهما .°. حصباء در على أرض من الذهب

وقولنا مكث الدفس أي أكثر التوغل في بلاد الإسلام بشنّ الغارات و بعث البعوث. يقال دفس في البلاد دفوسا أو غل فيها و الوتر في الأرض مضى و جملاً مدفس كمُنْبَر، شديد. دفوس و دفيوس ملك إتخذ مسجدا على أصحاب الكهف و دفيانوس ملك هربوا منه و كان أبعد الناس في الجاهلية غارة شراحيل الأصهب من بنى سعد العشيرة بطن من مدحج كان يغزو من حضرموت في اليمن إلى البلقاء في الشام في مائة فارس من بنى أبيه. يقول نابغة بني جعدة لما قتله:

أرحنا من مقراس شراحيل بعدما .°. أراها مع الصبح الكواكب مظهرها

و عقلمة الحراب أدرك أرضنا .°. بذى الريث إذ صام النهار واهجرا

و من المتواتر في أهل بلدنا أن الكفرة مرّة غزوا على قوم أبي مهدي الشيخ سيدي عيسى بن موسى التيجاني* في وسط المائة العاشرة و هو حينئذ نازل شرقي نهر الطاغية فأُتت قبره أمامه و صارت تذرّى التراب و تصوت فأمر بالرحيل من حينه و كان عارفا بزجر الطير فعبروا النهر و دخلوا في غيطة* عظيمة يقال لها دار الهناء فلم يكن الإيسيرا و إذا بالجند واقف في حافة الواد الشرقية من الكفرة و بنى عامر فلما لم يروا أحدا رجعوا ولم يعبروا النهر. و من ذلك أنهم غزوا فروحة أرض الشيخ محمد بن يحيى مقرئ الجن فلقوا خيلا من بنى عباد أحد بطون الحشم فتحاربوا فاستشهد منهم العروصي قبلة كدية عطية وأخذوا رأسه و فرسه و انقلبوا إلى وهران

* دفين وادي التاغية : من علماء القرن العاشر. له قصيدة غوثية شهيرة شرحها أبو راس
** غيطة : غابة

وافتكوا بقربة "الطرك" غير مرة حتى استأصلوا ساكنها وهرب الجلّ الباقي و هم سبب خرابها إلى غير ذلك مما لا يحصى.

وأما هبرة أهل سيرات **** فاتصلت وقائعهم بهم حتى تلاشوا وقل شعبهم لهذا العهد و كان وافق ذلك خروج المسلمين من "الحمراء" أحد معاقل غرناطة لما ضايقتهم عساكر الكفرة ولم يجدوا مغيثا فأمنهم الكفرة على أنفسهم وأذنوا لهم في الخروج فصاروا يخرجون إلى مرسى رزيو و هبرة يرصدونهم فكل من فارق البحر سلبوا ماله، سمع بذلك ولي الله سيدي محمد قدار¹³³ زحف إلى قبائل هبرة بجنود سويد فكانت بينهم حروب و بعوث الكفرة تغزوهم أيضا مرة بعد مرة حتى كان نساؤهم يجتمعن ليلا في أواسط الحلل و يَقُلْنَ "جينا بين النار و النار، بين نصارى دُك و نصارى قدار، دبر يارب علينا". بهذه الألفاظ يرفعن أصواتهن و يسمونه التبراش و المراد بنصاري قدار عندهم سويد. ومرّ لنا أن نسب هبرة و سويد واحد. و ممن خرج من هذا المرسى الولي الأكبر و العلامة الأشهر سيدي أحمد بن عاشير و ذلك في شوال سنة ثمانية عشر وألف وانظر هذا مع قول العالم الأجل الذي صار سير المثل. وضربت له أباط الإبل سيدي محمد المساوي الفاسي أن غرناطة دخلها النصارى سنة 897 وهي آخر ما فتحوا من أرض أندلس.

فغادر الشم من أعلامها طمس

ورجّ أرجاءها لما أحاط بها

يقال رجّه، يرجّه رجًا، زلّله وفي الحديث: من ركب البحر حين ترتج فلا ذمامة له¹³⁴، يعني اضطربت أمواجه وأرجاءه جوانبه والرجاء الجانب من البئر والحائط ونحوه وغادر ترك قال ابن دريد: كم قد هوى في جثة غوادرها من بعد ما كانت خسا فهي زكا: أي تركها زكا أي شفعا من بعد ما كانت خسا أي و ترا و الغدير اسم السيف ورجل وواد بديار مضر والشم بضم الشين المعجمة جمع أشم وهو العالي. قال همام بن غالب الملقب الفرزدق في مدح زين العابدين رضي الله عنه بكفه حيزران ريحها عبق . من كف أورع في عرينة شمم.

وقال حسان رضي الله عنه في مدح ملوك بني جفنة من غسان
بيض الوجوه شريفة أحسابهم . شم الأنوف من الطراز الأول.

*** هبرة : تقع بين شيق و المحمدية. و سيرات تقع شرقي مستنقعات المقطع شمال المحمدية (باريقو سابقا)
¹³³ : سيدي محمد قدار دفين أرض مينة المتوفي سنة 1065 هـ، حرض الشيخ حميدة العبد لغزو هبرة لما فعلوا بالأندلسيين النازحين من غرناطة إلى مرسى رزيو "حتى أنهم كانوا يبرقرون بطونهم" أبوراس.
¹³⁴ نسخة أ: من ركب البحر وقت إرتجائه بلالي

وقولي من أعلامها جمع علم وأصله الجبل الشامخ العالي. قالت الخنساء في
مرثية أخيها ضَجْر بن عمرو من بني الرشيد بطن من سليم:
وإن ضَجْر التماثم الهداة به . . كأنه علم في رأسه نار
وأصل هذا أن العرب كانت من فرط جودها، يأمر الرجل عبده يوقد نارا في رأس
جبل ويمكث عندها ليهدي لها الضيفان. قال الشاعر:
إذا ضل عنهم ضيفهم نشروا له . . من النار في الظلماء ألوية حمراء.

ومرادنا بالششم من أعلامها هنا أعالي بنيان وهران ومعنى طمس أي درس ومحي
وذلك فيما يقتضي هدمه عندهم كمنار آذاننا وتشبيد مساجدنا. ولما دخل النصارى
طليطلة سنة 577 فأول ما بدأوا هدمهم فور دخولهم منار الجامع الأعظم ومحرابه
وكان الشيخ المقامي المذكور في "مورد الضمان" جالسا عند سارية من سواري المسجد
ينظر لفعلهم وأخفاه الله عن أعينهم ولم يخرج منه حتى صلى ثلاثين ركعة. وطمس
بكسر السين لضرورة القافية لأن روي هذا النظم سين مكسورة وهذا كثير شائع في
كلامهم ومن ذلك قول أبي تمام في مرثية محمد بن نهشل:

تردي ثياب الموت حمرا فما أتى . . لها الليل إلا أمست من سندس خضر
خضر بضم الراء للضرورة لأن هذه القصيدة رويها راء مضمومة وقبل هذا البيت.
وقد كانت البيض القواصف في الوغى . . بواتر هي الآن من بعده بتر.
وقال الأسود بن يعقوب رحمه الله:

ماذا آمل بعد آل محرق . . تركوا منارا لهم وبعد إباد
أرض الخوانق والسربير وبارق . . والقصر ذو الشرفات من سنداد
جرت الرياح على محل ديارهم . . كأنما كانوا على ميعاد
ولقد كانوا فيها بأنعم عيشة . . في ظل ملك ثابت الأوتاد
وقال بعض الشعراء في أشير التي بناها زيري بن مناد بسفح جبل تيطري لما
خربها أبو تاشفين أحد ملوك بني عبد الواد بتلمسان، بعد ذلك:

أشير حمزة ذهب معالمة . . والدهر من شأنه الخربا.
وخالط الخمر والإشراك يا عجبا . . مواطن العلم والإيمان ذا توس
كم تليت بها من آية محكمة . . فبعد طهرها قد ملئت بالنجس
كأنها ما حوت شمسا ولا قمرا . . لم يدر في الناس والعالي من الندس.

يعني خالط الخمر والتلثيت مواطن الإيمان والتوس بفتحتين الطبيعة والأصل يقال فلان من توس صدق وفي القاموس التوس بالضم الطبيعة وهو من توس صدق والمراد هنا أنها أصل في الإسلام لأنها أسست على الإيمان والإسلام وتليت قرئت. قال الخفاجي في شرح الشفاء: لفظ التلاوة خاص بالقرآن والحكمة هي التي سلمت من التشابه والنسخ والندس قال في القاموس الرجل السريع الإسماع للصوت الخفي والفهم ورجل ندس أي فهم ومضارعه يندس بالضم والمنداس المرأة الخفيفة والندس الطعن أيضا. قال جرير:

ندسنا أبا مندوسة العين بالقنا . . وصار الدم من جريته نازح

و باقي البيت ظاهر ثم نضم له شملها بعد الشتات ووصل حبّلها بعد البناة بتشهير أميرنا أبي الفتوحات إلى حزبها فجدد لأهل الإسلام عرسها وعرفت ألفها وإنسها ودام لها السرور والحبور وقالت الحمد لله الذي أذهب عنها الحزب أن ربنا لغفور وشكور والمعنى أن وهران لما غيرت بالكفر فصار الناس كأنهم لا دراية بأنها كانت مدين المكارب ومنيع العجائب وموضع قاصرات الطرف اللاتي هن كشمس الظهيرة والغلمان الذين هم كهالة البدر المنيرة ولا حوت الغالي الجيد من غير ذلك لتبدل حالها وتغير محالها.

قلت فيه :

فقد سد ثلما كان يخشى اتساعه . . ورقع خرقا ما عليه مزيد
و أصلح ما قد أفسدته صروفه . . وأزاح مآثر فخاب حسود
وقوم معوجاً من الثغر فاستوي . . وبلغه ما كان منه يريد
نفى عنه خبث الشرك والرجس والأذى . . وكم من رميم عاد و هو جديد
وجل كروبا عمّ في الخلق وقعها . . وهمّ له وسط القواد ركود
وأشرق أنوار الهدى بعد حجبها . . أنار لها دان و ضاء بعيد
و أطلع في أفق السعادة أنجما . . لهن ترف في العلا و صعود
و عمّ و فود العالمين بنيله . . فذكر له بين الأنام مشيد
مواس لأهل العلم في كل بلدة . . وإن لم تكن منهم إليه ورود
جدير بأن يدعى و حيد زمانه . . و تفخر أبناء به وجدود
فكم رسم مجد كان قبله باليا . . و كم من رميم عاد و هو جديد
فجمع خصال الكمال منيفة . . فهو بها عن الملوك فريد

مَدَّ الله أميرنا النعمة و أسعد بطول عمره الأمة و كمل به الكرامة و أصحابه النظر و السلامة و متع به الخاصة و العامة و جعله الله عصمة للدين و حصنا للمسلمين وأعانه الله على ما قَلَدُهُ و حفظه على ما أَسْتَعْمَلَهُ.

نظير ما فعل نفل بملطية .: عفى بالذل والصقار والوكس

نفل هو قيصر، نفيل بالتصغير ملك الروم بالقسطنطينية و ملطية مدينة عظيمة من مدن أرض الجزيرة مما يلي بلاد الروم بينها وبين الرقة خمسون فرسخا، خربها الروم في صدر الإسلام و بناها المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة و جعل عليها سورا و نقل إليها عدة قبائل من العرب و بقيت بيد المسلمين إلى أن غزاها نفيل هذا سنة ثلاث وعشرين ومائتين، فقتل وسبى و غنم فنادت امرأة من أساري المسلمين "وامعتصماه" فبلغه ذلك وهو بكرسي ملكه ببغداد، فخرج ورقي القصر وقال: لبيك ثلاثا ثم جمع الجنود من فوره و سار بجنود لا يحصرها عدٌ فيها بضعة وعشرون ألفا من ممالكيه الأتراك و استوزر اثنين منهم وهما إنسان والافشين، فجعل الأول على الميمنة والثاني على الميسرة وهو على القلب. فهزم الروم و قتل منهم ثلاثين ألفا و سبى مثلها و خربها و في منقلبه: قتل العباس ابن أخيه المأمون، فوكل به الافشين وأمره أن يمنعه من الماء فمات عطشا لأنه توهّم منه الثورة عليه و اسم المعتصم محمد بن هارون الرشيد وكنيته أبو إسحاق و لقب بالثمن.

خلا له الجو فامتدت يده إلى .: أدراك ما لم تنل رجلاه مختلس

الضماير عائدة لدك. يقال أخلست الشيء واخلستته إذا أسلبته و التخالس التسالب و الاسم الخلسة بالضم و خلس النبات إذا اختلط رطبه بيبابه، كذا للجوهري ونحوه في القاموس و قال غيرهما المختلس هو الذي يأتي بسمة حتى يؤمنك ثم يخطف الشيء و يهرب جهارا والمراد هنا الناهب للأموال وغيرها، أي أن دكا امتدت يده إلى مالم يكن يطمع فيه قبل ولا أحد تحدّث به نفسه حتى صار يغير على البعيد من مصره و يأتي بالأموال والأساري إلى قصره حتى أذعنّت الناس لنهييه وأمره و صار يشرد¹³⁵ منه الأبعد الذي على مسافة العدو أو أزيد و قد لأهل الإيمان كل مقعد وأرصدهم كل مرصد وأتمم وأنجد. قال الشيخ عبد الرحمن الجامعي في شرحه: كنت وفدت عقبة الفتح بقليل على الراوية النقاد: سراج التحقيق الوقاد منهل العلوم الأصفي: أبي عبد الله محمد المصطفى الرماصي*، فوجدته يسكن بأهله

¹³⁵ يشرد = يهرب

* الشيخ محمد المصطفى الرماصي: فقيه و عالم له حاشية على مختصر خليل معتمدة في مدارس المغرب و فتاوى يدل على شجاعته الأدبية: توفي سنة 1137 هـ برماصة قرب قلعة بني راشد

بيوت الشعر قرب غابة في رأس جبل يأويه ليلاً ويظل نهاراً في داره ومسجده يطالع كتبه ويقرئ طلبته، فسألته عن ذلك فقال: كنا على هذه الحالة على عهد النصارى خوفاً منهم لأننا لا نؤمن في الدور إن يصكّونا ليلاً، فخرجنا لبيوت الشعر فيسهل علينا الفرار لغابة الجبل. فانظر إلى أين بلغ بالمسلمين خوف أولئك الطواغيت المفسدين ولا يعرف حلاوة الأمان إلا من ذاق مرارة الخوف.

وأخبرني أيضاً المرباط الخير أبو يحيى السيد علي بن حسون العبدي أنهم كانوا لا يهناً لهم في بلادهم نوم إلا إذا جعلوا من يحرسهم ومهما نام أحدهم يهدّئ باغارة النصارى عليهم ويصرخ في نومه من شدة خوفهم منهم وغزوا وطن تأسّلة فأسروا الولي الصالح السيد أبلاحة** وبناته الثلاث فبقوا بوهراة سنة ثم فداه وفدى إحدى بناته أبو عزة بن حميدة شيخ أولاد سليمان وفدى الأخرى الشحط شيخ أولاد علي والد دموش فزوجها له وبقيت الثالثة، فكثرت بكاء أمها عليها، فخرج أبوها لساحة بيته فتوضاً ودعا الله وإذا بها مقبلة فقال لأمه: أخرجني لبيتك. فسئلت فقالت: إني أمشط رأسي فنقر في طير أبيض فتبعته حتى أوصلني.

الجو هو مسافة ما بين السماء والأرض وقيل ما يلي الأرض و خلا الجو كالمأخوذ من قول كليب بن ربيعة التغلبي:

فيالك من قنبرة بمعمر . خالك الجو فيبضي و أصفري

وانظر ما شئت أن تنظر و ذلك أنه حمى حماء و باضت فيه هذه القنبرة فكان يقول لها ذلك فدخلت الحمى ذات يوم ناقة الباسوس و هي ضيفة عند ابن أختها جساسة بن مرة الشيباني فوطيت ذلك البيض فافسدتها فلما أخبر كليب بذلك ذهب إلى الناقة ورمها بنبل لضرعها فقتلها فلما علم بذلك جساسة رمي كليباً بنبل فقتله و ذلك قول الشاعر

كليب لعمري كان أكثر ناصراً . وأيسر دنبه منك ضرج بالدم

رمى ضرع ناب فاستمد بطعنة . كماشية البرد اليماني المسهم

أي المخطط و في المثل أغرّ من كليب و هو أحد الثلاثة الذين سادوا على قبائل ربيعة و قبائل مضر فبسبب قتله دارت الحرب بين تغلب و عميدها أخو كليب مهلهل و بين بني شيبان أربعين سنة و من شيبان الحارث بن عباد صاحب النعمة و هي فرس له مشهورة عند الحرب و في التنسي أن الحارث بن عباد هذا قبض على مهلهل في إحدى الوقائع ولم يعرفه فقال له أيها الأسير: "إن دللتني على مهلهل

** سيدي بلاحة المهاجي ولي مشهور بالقعدة من علماء القرن 11 هـ.

سرحتك "فقال له" أنا مهلهل" فسرحه و من شعر الشيخ أبي على الحسين بن أبي الشَّحْناء العسقلاني المشهور

حجاب و أعجاب و فرط تصنف .: و مديد إلى العلا يتكلف

و لو كان هذا من وراه كفاية .: عذرنا و لكن من وراه تخلف

قتل بخزانة الجنود و هي سجن بمصر سنة إثنين وأربعمائة رحمه الله و كان قوم ذكروا أن معاوية يوماً، فلما سمعهم عمر قال لهم دعونا من ذم فتى قريشى لا ينال ما فوق رأسه إلى ما تحت قدمه و قال العلامة اللغوى، الأديب النحوى الذي طلعت دواوينه في المشارق و المغرب، طلوع الشمس في الغياهب. وتأليفه أبهر مواضع وأشرف مطالع سيدى الشريف الغرناطى في شرح مقصورة حازم: أن الطاغية بعث إلى يعقوب المنصور إني سمعت بك تنهي الغزو مرة بعد أخرى و أنك تقدم رجلا و تؤخر أخرى وأنتم تقولون أن المائة منكم تغلب من النصاري مائتين، هذا في الزمان المار وأما الآن فبالعكس: أع و بخ !

فلما سمع المنصور كلامه و فهم خطابه كتب له الجواب: ما ترى ما لا تسمع. فذلك سبب وقعة الأرك ومما ينبغي أن يدرج هنا أن رجلا جبانا قيل له في بعض الوقائع تقدم فأنشأ يقول:

و قالوا تقدم قلت لست بفاعل .: أخاف على فخارتي أن تحطما

فلو كان لي رأسان جدت بواحد .: ولكنه رأس إذا مات أعقما

و لو كان مبتعا لدى السوق مثله .: فعلت و لم أجعل بأن أتقدما

وأوتم أولاد وأرمل نسوة .: فكيف على هذا ترون التقدما

و لم يقل كعنتره.

ولا نفر إذا وقعت معمرة .: فما يزيد فرار المرئ في الأجل

وسار سيرته فينا من أعقبته .: وكلهم مقتف أرجوا و مردنس

في أخذهم بلنسية و قرطبة .: مربة معتصم بها و بطليس

أي سار سيرة دك فينا معشر المسلمين من أعقبه من عمال الكفرة بثغر في شنههم الغارات وأخذ الخراجات و السبي و الأسر و خسف الذل و القهر و كلهم متفق، أرجوا أن و مردنس إلخ. وكان ذلك سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة فزحف الكفرة بسبع محلات لحصار المسلمين إثنان منها على بلنسية وشقرة و شاطبة و محلة بجيان و محلة بصيرة و محلة بمرسية و محلة بلبة و أهل جنوة من الفرانصيص و من

وراء ذلك على سبته ثم ملك طاغية فشتالة مدينة قرطبة في آخر سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة و ظفر طاغية أراغون بالكثير في حصون بلنسية و جزيرة شقرة و بنى حصن أنوشة لحصار بلنسية و أنزل به عسكره وأنصرف فزحف زيان بن مردنيش من الموحيدين ومعه أهل شاطبة و شقرة إلى الكفرة فانهزم المسلمون وأصيب أكثرهم و استشهد أبو الربيع بن سالم شيخ المحدثين بالأندلس و كان يوما عظيما أمراً و عُنُوَانًا على أخذ بلنسية ظاهراً ثم زحف طاغية أراغون سنة خمس و ثلاثين فاستمكن من نكايتها و فشل ربح عبد المؤمن فبايع أهلها الأمير أبي زكرياء وأوفد عليه ابن مردنيش كاتبه عبد الله بن الأبار القضاعي و أدى بيعتهم في يوم مشهود بالحريرة واستصرخه بقصيدة التي أولها:

أدرك بخليك خيل الله أندلسا . إن السبيل إلى منجاتها درسا.

فاجاب الأمير داعيتهم و بعث إليهم أسطولا مشحونا بالطعام و الأسلحة و المال وكانت قيمة ذلك مائة ألف دينار فجاءهم الأسطول بالمدد و هم في هولة الحصار فنزل بمرسى دانية واستفرغ المدد بها و رجع بالمال¹³⁶ إذ لم يجد له طريقا و كثر الهلاك من الجوع فسلمت للطاغية صلحا سنة ست و ثلاثين و ستمائة. وخرج منها ابن مردنيش إلى جزيرة شقرة في سنته و ذهب ابن مردنيش إلى دانية التي منها أبو عمر الداني صاحب القراءات و في سنة أربع و أربعين أخذ الطاغية "رُذْرِيك" برشلون ومرسية التي ينتسب إليها القطب أبو العباس المرسي بضم الياء نفعنا الله به و ضريحه بالأسكندرية مشهور وخرج عنها ابن هود و البقاء الله سبحانه.

و من العجب أن ابن الأحمر الأنصاري ثم الخزرجي من ذرية سيدنا سعد بن عبادة رضى الله عنه، و كان إذ ذاك ملك غرناطة قد أعان الطاغية على بلنسية بمدده و ميرته* ولا حول ولا قوة إلا بالله. و في خلال ذلك أخذت شريس وطريف وأخذت مالقة سنة ثمان وأربعين و ستمائة و سرقسطة قبلها سنة ست و ستمائة وأخذت ميورقة سنة سبع و عشرين و ستمائة من يد أبي يحيى التمللي وأنما فتح السلطان أبو الحسن تلمسان وآستولى على ملك بني زيان، أوقع في البحر باساطيل الروم الواقعة الشهيرة يوم السبت سادس شوال عام أربعين ثم جاز البحر إلى الأندلس فنزل طريف و زحف إليه سلطان برتقال ثالث محرم فكانت للروم على المسلمين هزيمة شنيعة حصدت فيها شوكة المسلمين. إنّا الله و إنا إليه راجعون.

¹³⁶ نسخة أ: فبعث معه أسطولا فيه مائة ألف مائة دينار و شحنه بالأبطال فحالت أساطيل الطاغية بينه و بين البلد فلم يقد شيئا.

* الميرة : الأغذية و الحبوب

ثم أجاز البحر إلى سبتة.

وقولي مربة معتمص، المربة بفتح الميم وكسر الراء من قواعد الأندلس المشهورة و كانت في الإسلام لبني شمادة وهو الذي مدحه شاعر من أهل بلده فحلف أن يمشي على الدنانير منثورة في طريقه إلى داره وأخذت المربة في تاريخ إثنين وأربعين و خمسمائة.

حكاية طريفة و مسألة من العلم شريفة. و قطع سلطان المغرب يوسف بن تاشفين حين عبر إلى الأندلس بقصد غزو الإفرنج وأوقع بهم الهزيمة المشهورة و طلب من أهل البلاد المعونة على ما هو بصده ووصل كتابه مدينة المربة في ذلك، يذكر فيه أن جماعة قد أفتوه بذلك إقتداء بعمر بن الخطاب فقال أهل المربة لقاضيههم أبي عبد الله بن البراء و كان من أهل الدين و الورع: لا بدّ أن تكتب له جواباً. فكتب إليه أما بعد، ما ذكره أمير المؤمنين في المعونة وأن أبا الوليد الباجي و جميع القضاة بالعدوة و الأندلس أفتوه بأن عمر رضى اله عنه إقتضاها ولا شك في عدله، فليس أمير المؤمنين ممن يشك في عدله، فإن كان الفقهاء أنزلوك منزلته في العدل فالله سائلهم عما تقلدوه فيك و ما إقتضاها عمر حتى حلف في المسجد ليس عنده درهم واحد في بيت المال فادخل أنت المسجد وآحلف بحضرة أهل العلم و حينئذ تستوجب". نقله البناني في المصارف و قوله أمير المؤمنين، هذا اللقب لم يتسم به يوسف ولا غيره من قبله من ملوك المغرب وإنما أول من تسمى به يوسف بن عبد المؤمن كما مرّ وهو معلوم عند من مارس و ذلك بعد موت يوسف بن تاشفين بثلاث و ستين سنة.

ومما يتعجب منه أن السلطان أبا زكرياء الحفصي جفت ريح الخلافة في أيامه ولم يبق مدعماً إلا في أوانه لا في بغداد و لا في مراكش و أخذت أكثر الأندلس في أيامه وزمن ابنه محمد ممدوح حازم حتى أن أهل الحرمين الشريفين كانوا قائمين بالدعوة العباسية منذ حولها لهم يوسف بن أيوب الكردي فلما إستولى التتار على بغداد كما مرّ، أرسل شريف الحرمين من ولد الحسن بن علي بالبيعة للسلطان محمد المنتصر بن أبي زكرياء و كتبها الفقيه عبد الحق بن سبعين و هي طويلة عجيبة و لما وصلت هذه البيعة استحضر السلطان العامة و الخاصة و قرأها عليهم القاضي أبو البراء وأظهر رفعة السلطان و دولته بطاعة أهل البيت و الحرم. و في سنة اثنتين و خمسين و خمسمائة قدمت بيعة أهل فاس وأقامها يعقوب بن عبد الحق بمراكش لما إستولى عليها و بايعه صاحب برنو من السودان ومواطنه قبله طرابلس وأهدى إليه هدية عظيمة ضخمة من جُمْلَتِهَا الزرافة وبرز إليها جميع الخلق حتى ضاق بها القضاء. وهذا السلطان هو الذي أحدث فلوس النحاس المسمى بالناصري تسهيلاً على

الناس و هو الذي بنى قصبة تونس و إليه تنسب المدرسة التي يدرس فيها شيخنا الشيخ صالح الكواش و في سنة تسع و خمسين من أيامه غزا الفرنج تونس و رجعوا على غير طائل. إن زيان بن عبد القوى من أهل بلدنا و فد على السلطان غازيا الكفرة في بعة آلاف و تلك الغزوة سبب هدم قرطاجنة.

و قولي : بطليس* هي أحد أمصار الأندلس و أقرب موضع إليها الزلاقة التي كانت بها الوقعة المشهورة. و كانت مدة ملك الطوائف في قسم بنى الأفطس هي وطريف و ما قاربها. و كان هذا الملك ماهرا في العلم و لا سيما الأدب و النوادر و أيام العرب و كان ألف كتابا في الأدب سماه "التذكرة" في خمسين مجلداً و نسبه توجين بطنا من كندة ثم راجع بعض بنيه ملك ما ذكر إلى أن أخذ ذلك منه "ابن درميل"¹³⁷ الطاغية و إلى ذلك أشرت بقولي :

طريفة درميل الردي تملكها . . فلم تدم لابن أفطس و لا أفطس

أول مدينة أخذها النصارى من الأندلس طليطلة و كانت وسط جزيرة الأندلس. فلما رأى ذلك ابن الحسن، قال

حثوا مطاياكم عن أرض أندلس . . فصار المقام بها إلّا من الغلط
فالثوب ينشق من أطرافه وارى . . ثوب الجزيرة أنشق من الوسط
من جاور الشر لا يأمن نوائبه . . كيف الحياة مع الحيات في سقط

و رحل إلى فاس وكان أخذها سنة سبع و سبعين و أربعمئة و قيل ست و سبعين. و حكي الغزال¹³⁸ في رحلته إلى الأندلس سنة 1179 قال : "شاهدنا من حاكم مدينة الخيزرات و هي المعروفة عندنا بالخضراء و قاصيها و غيرهم من الميل إلى الإسلام ما لم نرهم غيرهم و دخلنا مدينة طريفة على شاطئ البحر و سورها طويل من بناء المسلمين. و لما وصلنا قصبته وجدناها باقية عل ما تركها المسلمون، بها 18 برجاً و قدر ارتفاع السور و الأبراج عشر قامات¹³⁹ و بناء القصبة من حجر منحوت شبيه بالرخام و بأعلى بابها رخامة مكتوب عليها بخط كوفي "بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد وآله و صحبه و سلم" بأمر من عبد الله بن عبد الرحمن الداخل أمير المؤمنين" : و قال : و لما دخلنا اشبيلية، شاهدنا من

* بطليس : BAJADOS

¹³⁷ Don RAMIREZ

¹³⁸ سفير السلطان محمد الثالث العلوي إلى إسبانيا : يسمى أحمد بن المهدي الغزال و رحلته "نتيجة الاجتهاد

في المهادنة و الجهاد" ألّفها سنة 1179 هـ.

¹³⁹ حوالي 19 مترا

عظيم بنائها وارتفاع جدارها وتعدد الصوامع بها ما ذكرنا بمصر في طولها وامتدادها وجرى النهر بنواحيها ممتلئ بها لا حصر له من الأجفان واسمه لك¹⁴⁰. و في اليوم الثالث من دخولنا للجامع الأعظم الذي كان للمسلمين رحمهم الله و قد تهيأ الملاء وآتينا القاضي وكثير من الفريالية (الرهبان)، فصعدنا إلى المسجد بعشر درجات لارتفاعه على الأرض و هو في غاية الإتقان و السور والسواري من الحجر المنحوت و لا تميز اتصال الحجر بالذي يليه فوقاً وتحتاً وله 17 باباً¹⁴¹ و قد حمل المسجد على 120 سارية كل سارية على 24 شطراً: عرضها 64 شبراً وطولها 15 قامة و بين السارية و التي تقابلها 48 قدماً و أخذت الكفرة فيها اليواقيت ومصابيح الذهب و موضع مصلاهم و كراسي الذهب للقراءة، دمرهم الله. وله خمسة و عشرون ناقوساً وأكبرهم فيه 185 قنطاراً. قيل أنه يسمع صوته مسيرة يوم.

قال: "ودخلنا مدينة قرطبة و هي مدينة عظيمة هائلة مشيدة على شفير الوادي الكبير الجامع لأودية الأندلس و بشرقها جبل غير شاق وهو معمور ببساتين لا يأتي عليها حصر، وكذا الديار التي به. وهذا الجبل قريب من المدينة اسمه سيرا مرين* ولما أشرفنا على المدينة من ربوة، رأينا من تشييد ديارها وصعود مآذيتها وتميز جامعها الأعظم لعلوه على جميع المباني واستدارة السور الإسلامي بها، وجَدنا في نفوسنا من الأسف عليها ما ضاقت أرواحنا من أجله و كيف وقد تذكروا من كان بها من المسلمين رحمهم الله. فله الأمر من قبل و من بعد. و مسجدها أعظم مساجد الإسلام طوله ستمائة قدم و قدما (602)، وعرضه 345 قدماً و فيه لوحتان متصلتان بالأرض مكتوب على كل منهما البسملة و الصلاة ثم تاريخ بناء الملوك و من زاد فيه واحد بعد واحد. قال: فصرت أنحى عنهما غبار الأقدام بلحيتي ونزعتهما وجعلتهما بأعلى السور بعد ملاطفة كثيرة. وأقواس المسجد منعقدة فوقها أقواس أخرى لطول سمكه، ولما انتهينا إلى المحراب الإسلامي، فإذا هو باقي على حاله لم يحدث فيه شيء غير أن النصراني حجروه بشباك من النحاس بحيث لا يدخله أحد، و لم أدر ما السر في ذلك إلى أن فتح الله بفهم موجب حسبما يسلم به كل مؤمن. و ذلك أن المحراب اشتملت قوائمه و بناءاته على آيات قرآنية نزهها الله من لمس الكفرة ولا مربة أن أسلافهم تشاءموا به لأمر حدث بسبب دخولهم إيّاه، فحجروه بسبب ذلك. ولم يفتحوا لنا بابه إلا بعد مراودة كثيرة. ففتحوا من قبة متصلة به خارجة عنه وهو

¹⁴⁰ نهر لك: Guadulette

¹⁴¹ نسخة أ: 10 أبواب

* Sierra Morena

في قبة و شكله في البنيان مئمن بألواح رخام طولها عشرة أشبار وعرضها سبعة و بأعلى الرخامة خط كوفي في غاية الإتقان مفتتح بالبسملة، ثم "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" و قوموا له قانتين، ثم بعده أمر الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكيم، أمير المؤمنين أصلحه الله بتشييد هذا المحراب رغبة في جزيل الثواب وكريم المثاب. فتمّ هذا في شهر ذى الحجة الحرام سنة 354 ثم يتلوه ما كان تنميما لدائرة المحراب قوله تعالى: "ومن يسلم وجهه لله وهو محسن أستمسك بالعروة الوثقى و إلى الله عاقبة الأمور" ثم دائرة ثانية فوق الأولى "يا أيها الذين آمنوا أركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون" إلى آخر السورة وبخارج المحراب يميناً و شمالاً البسملة "الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله" "لقد جاءت رسل ربنا بالحق" يتلوه أمر الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكيم أمير المؤمنين مثلاً تقدم ذكره حرفاً بحرف. و في وسط القبة الخارجة عن المحراب المتصلة به ثلاثة قبور في صناديق من رخام لم أول جهداً في البحث عنها ولم أقف على أثرها و قد غلب الظن أنها للمسلمين ولو كانت للكفار لاعتنوا بالرقم عليها و التمويه و الكتابة حسبما هي عادتهم في مقابر أعيانهم. و قد أخذ الكفار بوسط الجامع تربيعة في غاية الوسع بين أسوار أربعة عقدوا عليها قبة صاعدة في الهواء بعد أن هدموا عدة من سوارى المسجد الرخامية جعلوا موضعها سوارى بالبنيان، إستدارة الواحدة منها أربعة و ستون شبرا و قد إستداريا لسوارى شباك من نحاس مذهب إتخذوا هذه المواضع لمصلاهم و جعلوا به صلبانهم مع تصاوير عديدة بعضها من الذهب و بعضها من اللوح و الحجارة و بقرب الجامع قصبة ملك المسلمين يسكنها الآن قاضى البلاد. و قولي طريفة بالتاء كما في رحلة الغزال و بغير تاء كما لابن خلدون.

عدة أعوام و الإسلام في شخص .٠. لذا تعدوا ملوك الصفر أندلس

قد مرّ لنا أن ملك بنى أمية أنقرض من الأندلس في حدود سنة ثلاثين و أربعمائة، فافترق حينئذ أمر الأندلس و آختل عقد نظامه لتعدد حكامه وأمرائه، تجد أهل بيوت الملك قد أخذوا برأي الأحداث و الزعائف*، فلذا تعددت فيه ملوك الطوائف و فسدت آراؤهم و اختلفت أغراضهم و افتقرت كلماتهم، مدة تنيف عن مائة عام. فطمع العدو في ملكهم و شمر لحربهم و هم مع ذلك في فتن متصلة و آراء مضمحلة ولم يجتمعوا على ملك بأمرهم يقوم إلى أن كان ما هو مشهور معلوم. وهذا معنى قولي عدة أيام إلخ... و اشخص بشين معجمة و آخره سين مهملة الاضطراب و الاختلاف كما في الجواهرى و القاموس فلأجل ذلك تعدوا (كذا) ملوك الكفرة. و

* الزعائف : كل ما ليس فيه خير

قولي الصفر هم الروم و في البخاري "أنه ليخافه ملك بنى الأصفر" و قد مرّ لنا تمييز أرض الفرنج في تلك العدوّة وأصل الكلام أن تعدوا ملوك الأندلس الصفر فالصفر نعت لملوك أندلس ففصلنا بين المضاف و المضاف إليه بالنعت وهو جائز في حالة الضرورة و قولي تعدوا هذا على لغة أكلوني البراغيث ولا يَصَحُّ تجريد الفعل المستند لفاعله للمثنى و الجمع كما قال ابن مالك.

و جرّد الفعل إذا ما أسندا .: لاثنين أو جمع كفاز الشهداء

و خرج بعض أهل المعاني و البيان على اللغة الأخرى قوله تعالى: "و أسروا النجوى الذين ظلموا" و قولي أعوام هو جمع قلة استعمل هنا لما فوق المائة عملا بقول الخلاصة

و بعض ذي بكثرة و صفائفي .: كأرجل و العكس جاء كالصفي

و مرّ لنا نسب الروم و تاريخ تنصرهم وإنما سموا بني الأصفر لأن قيصر يوليوس الأول منهم قبل تنصرهم بكثير يدعي بالأصفر و من قال أن الأصفر هو عيصو بن إسحاق فقد علمت مما مرّ أن ابن حزم و المحققون أنكروه.

تتمة: أبين فيها ملوك الطوائف الثوار بالأندلس بعد ذهاب ملك بنى أمية. فاول ثائر منهم أبو الحزم جهور تغلب على قرطبة وورثها منه بنوه إلى أن تغلب عليها العبادون سنة اثنين و ستين وأربعمئة أصلهم من آل المنذر ملوك الحيرة من بطون لخم. أولهم القاضي محمد بن عباد ثم ابنه المعتضد أشد ثوار الأندلس بأساً و أبعدهم صيتاً جمع خزانة مملوءة من رؤوس الثائرين بسيفه ثم و لده المعتمد المعلوم و قاعدة ملكهم أشبيلية و تقبض عليه يوسف بن تاشفين بأغمات إلى أن مات. و أغمات بلدة قديمة قبله مراكش و هو الذي تقول فيه بنته "الله صيرنا إلى هنا" و هذا من بديع الجناس. و ثار بَسْر قُسْطَة منذر بن يحيى بن حسين بن هود الجذامي و من بنيّه محمد بن يوسف الذي قام بدعوة العباسيين و عليه كان قيام بنى نصر ملوك غرناطة و ثار العلامة ابن الأفطس ببطليوس و ثار باديس بن أماكسن بن زيري بغرناطة نسبه صنهاجي ثم رحل إلى إفريقية سنة عشرين وأربعمئة واستخلف حابوس بن أخيه و تداولوها إلى أن انقطع ملكهم على يد لمتونة و ثار بطليطة ابن ذي النون إسماعيل بن عبد الرحمن و تداولوها إلى أن أخذها "إذفونس " لعنه الله من آخرهم يحيى الظاهر وثار بالمرية بنو صمادح وثار بمرسية أبو عبد الله بن طاهر و ثار ابن رزين بالسهلة وثار فتيان المنصور مظفر على دانية و مبارك على بلنسية وأما

مولاهم المنصور بن أبي عامر المشهور صاحب الفتوحات العظام فكان قبل ملوك الطوائف لأنه هو الذي حجب هشام المؤيد وفيه يقول ابن الخطيب.

حجبه منصور آل عامر .: فليس بالناهي ولا بالآمر.

و هشام هذا من أواخر ملوك بني أمية و هو الذي عهد بالملك لعلي بن حمود الإدريسي لكن لم أعلم أن قاعدة من قواعد الأندلس التي ذكرنا أخذها العدو مدة ملك الطوائف سوى طليطلة، فكان "إذفونس بن فر ديناد" أخذها قبل غزو يوسف بن تاشفين الزلاقة بسنة أو بستين و بقوا فيها إلى الآن. ولكن لما كانت هي القاعدة الكبرى و توسطت الأندلس كثر ضرر المسلمين بسببها لما دخل الهرم ملك بنى عبد المؤمن فكان أخذها عنوانا على أخذ جميع الأندلس بعد ذلك كما هو الواقع.

لا مانع لما أعطاه الله، ولا معطى مما منع الله. هذا الذي يجب علينا أن نعتقده. و لو شاء ربك ما فعلوه، و في سنة تسع و عشرين و ستمائة، استولى على غرناطة من بنى نصر محمد بن يوسف ابن أحمد بن أحمد بن خميس بن نصر الأنصاري الخزرجي من ولد سعد بن عبادة رضى الله عنه، أستقرّ سلفهم أول الفتح بقرية تعرف بقرية الخَزَرْج، و من ملوكهم السلطان الشهير و الملك الكبير إسماعيل الذي أوقع بالروم الوقعة الشهيرة و قتل ملكين منهم واستولى على كثير من البلاد فحصد شوكة الروم عام تسعة عشر و سبعمائة وامتد ملكهم بها إلى أن أخذها النصراني من أيديهم عام سبعة و تسعين و ثلاثمائة و محمد بن نصر منهم هو مخدوم ابن الخطيب السلماي الملقب لسان الدين شيخ ابن زرمك و من الغزوات العظام غزوة منصور حاجب هشام لِسْمُورَة أحد مدن الكفار بالأندلس أنصرف منها بتسعة عشر ألف رأس من السبي و ذكر المقرئ في نفح الطيب في كلامه على ابن الخطيب، إن قصّة غرناطة مكتوبة برأسها هذه القصيدة و هي التي أنشدها ابن الخطيب للسلطان محمد بن نصر بن وندة لما أنصرف من عند أبي سالم ملك المغرب إلى غرناطة دار ملكه و قد هرب منها الثائر عليه. وأولها:

الحق يعلو و الأباطل تسفل .: و الله عن أحكامه لا يسأل
وإذا تبدلت حالة أو تغيرت .: فالله عز و جل لا يتبدل
و اليسر بعد العسر موعود به .: كفاك شاهدا قيدا و توكلوا
و هي طويلة ولم تضمحل كتابتها إلى الآن.

كأنما ما تقضت بالعذيب لنا .: بمعسول اللما راق شفى اللعس

العذيب ماء لبنى تميم و عاذب مكان أبي عمر و الأعذبان الطعام و النكاح أو الرقيق و الخمر، و العذاب النكال و عذاب ككتاب فرس البر بن قيس و عيذاب كميدان بلد و العذابة محرقة فرس زيد بن سبيع و يوم العذبات من أيامهم و اللما يقال لما به اشتمل عليه و تَلَمَّأت الأرض به و عليه اشتملت. وأماً عليه ذهب به خفية و التما بماء الجفنة أستأثر راق أي معجب و منه قول الشاعر صريع غوان، راقهن وراقه و اللعس لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلا و ذلك يستملح. يقال شفة لعسا و فتية و نسوة لعس و هذا تغزل متضمن تذكر ما طاب من قضاء اللذات، و لطيف المفاكهات و طيب العيش وأرغده و ترفه وأنظره، وإمتداد سرادق الأمن و الأمان للمسلمين بثغر وهران، فكان ذلك الثغر للإسلام روض غض أزهر، بنسيم أزهر ثم حالت صفاته فانقلب و تبدل. و صار بالحلي إلى سوانا يتجمل، قال مسلم بن الوليد صريع الغواني.

جعلنا علامات المودة بيننا .: مصائد لحظهن أخفى من السحر
فاعرف فيها الوصل في يمن طرفها .: واعرف منها الهجر في النظر الشر
قال عمر بن فتح في غلام :

فنونائه من حاجبيه استعارها .: ولاماته من صدغيه المتعاطف
و من لحظه المؤذى اسوداد مداده .: و من وصله المحى إبيضاض الصحائف
و قال ابن الرقعان :

إذا جرت يده في الطرس كاتبة .: تبليج الطرس عن در و مرجان
وأن تكلم جاءته براعته .: بكل ما شاء من فهم و تبيان
ومن لطائف الكمال بن أبي شريف محشى المحلي على ابن السبكي في و سيم
إسمه بدر

يا بدر دين الله صل دنفا .: صيره حبك مثل الخيال
لا تخشى من عيب إذ زرتة .: فما يعاب البدر عند الكمال.
فارسل إلى ذلك الوسيم بعض المعاصرين للكمال بقوله

يَا بَدْرُ لَا تَصْغَى لِقَوْلِ الْكَمَالِ .: فكلما تشترق زور محال
الْبَدْرُ لَا يَخْشَى نَقْصَ فِي زِيَادَتِهِ .: و إنما يخسف عند الكمال

و لبعضهم في التضمين الذي هو أحد أقسام البديع من علم البيان¹⁴²
و معتدل القوام حوى جمالا .: صفاه جسم و أورثنى اعتلالا
تغمد في ثياب من حرير .: فلولا الغمد يمسكه لسالا
و لبعضهم في وسيم أسمه الشرقي.
يقولون لي أكثر في سمة الصبا .: و أعرضت عن ذكر المعاهد و البرق
بعيشك إخبّرنا ولا تك كآثما .: نسيم الصبا ما أقفلت هو الشرف
و لخاتمة البلغاء و الخطباء و حامل راية الشعراء و الأدباء أبي الحسن على
الغراب الصفاقسى رحمه الله في وسيم مريض.

قالوا قد إعتلّ ولم يعلموا .: بعلة السقم ولا حكمه
بل إنما يهوى للظن لحظة .: فدب للأعضاء من سقمه
مارضى السقم له منزلا .: باللحظ حتى دب في جسمه
وله في شاب اسمه سعد مضمنا قول القائل قاتل بسعد و إلاّ فدع
لسعد بقلبي من الشوق ما .: من الحسن في وجهه قد جمع
ألا قل لمن رمي قتل العدا .: قاتل بسعد و إلاّ فدع
قالت جماعة الأدباء بيوت الشعر أربعة: بحر و مدح و هجاء و تشبيب، وألطف
شيء قيل في التشبيب قول جرير:

أن العيون التي بطرفها مرض .: قتلتنا ثم لم يحينا قتلانا
يصرعنّ ذا اللب حتى لا حراك به .: و من أضعف خلق الله أركانا
تلبية: قال الشهاب الخفاجي في شرحه على الشفا: لا يقال في الرجل أديب
حتى يعرف الشعر و النحو، انتهى

ولا قضينا على أطراف كاظمة .: بوصل سلمى زمنا غير منعيس
كاظمة طريق تذهب إلى مكة و منعيس أي كربها و قوله تعالى : يوما عبوسا أي
تعبس منه الوجوه و العبس بالتحريك ما تعلق بأذنان الإبل من أبوالها و أبعادها
يجف عليها، و عبس قبيلة و عمر بن عبسة صحابي و معنى البيت فيه قضينا
بوصل سلمى على أطراف كاظمة في زمن غير عن كربه و من شعر بشار في الغزل و
هو أغزل بيت:

¹⁴² نسخة أ: سقطت هذه الفقرة.

أنا والله أشتهى سحر عينيك .: و حشر مصارع العشاق
و من شعره :

يا قوم أذنّى لبعض الحي عاشقة .: و الأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا أَمَنْ لا ترى تَهَوَّى فقلت لهم .: الأذن كالعين توافي القلب مكانا
ومن بديع ما قال أبو الحسن على الغراب رحمه الله

و سقاني شبه أَمَاق .: و حمرة خُدَّيه و جمرة أشواق
سقاني و شهب الليل منهن قد غدا .: له ذنبك السرحان كأَنس أفاق
و شاد على عود لنا راق لحنه .: يجاوبه شاد على عود أوراق
و قد طاب بالعودين مجلس انسنا .: فعود لتحريك و عود لاحتراق
متى يشدو في الحان داوود يوسف .: غدا صوت ابراهيم سهما و إسحاق
تخاف طلوع الشمس و هي بكأسنا .: و من خَدَّ ساقبها لها فضل اشراق
غدت شهبوب الكاسات تشرق بيننا .: و تغرب في أفق الحشا بعد إشراق
و لا سفحنا على واد ابن الخير دما .: من منح الدن اذ يحيى و يرتمس

سفح كمنع أراق و سفح الدم أرسله سفحا و سفوحا و سفحانا وواد ابن الخير هو
نهر وهران الذي عليه بساتينها و سائر منافعها و ابن الخير هو محمد بن الخير بن
خزر أحد ملوكها كما مرّ، و جدّه الخزر هو الذي اختطها و المراد بالدم هنا المدام أي
الخمير و الدنّ واحد الدنان و منحره حلقة و فيه استعارة بالكنية و قلبي يرتمس أي
يقبر و يدفن لأن الرمس القبر و الدفن كالرمس و الراموس.

فائدة: ذكر الأبي في حواشيه على شروح مسلم أشياء على وزن فاعول و هي
راموس للقبر و كابوس للفتور الذي يأتي قبل النوم و هو السنة عند الأكثر لأنها بدء
النعاس و ليس يفقد معها كل الذهن.

و بابوس للرضيع و قاموس للبحر و نافوس دابة يتشاءم بها و ناموس هو صاحب
سر الخير و الجاسوس هو رسول الشر و جاموس أحد نوعي البقر إلخ... و يحيى و
يرتمس على طريق المبالغة، و قد قال عبد الملك للأخطل: أسلم و تمنى عليّ ما شئت
ولو نصف ملكي "فقال له" أن أسلمت، نفارق الخمر" قال نعم، قال له: تلك القتلة
التي لا تبقى لذة معها و كان منصور بن ريان الغطفاني قبل إسلامه متزوجا بمليكة
زوجة أبيه و كان شريبا فلما أسلم حيلَ بينه و بين زوجته مليكة و حيلَ بينه و بين
الخمر فجعل يقول:

خليلى لا قتل التي لك الخير .°. و قد حجبت مني مليكة و الخمر.
وفد ولد أبي مُحجن على معاوية فخطب فاحسن فأراد بعض أهل المجلس أن
يوقعه فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله :

إذا مت إدفنوني في ظل كرمة .°. تروي عظامي في الممات عروقها
ولا تدفنوني في الفضاء فاننى .°. أخاف إذا مت أن لا أذوقها
فقال : بل الذي أنا أقول

لا تسأل الناس مالمالي و كثرته .°. وسائل الناس ماجودى و ما خُلقي
وأطعن الطعنة في عارض و حشا .°. وأكتم السرفيه ضربة العنق
و قال حرقوص النمى :

ألا فاسقياني قبل جيش أبي بكر .°. لعل منايانا قريب و ما ندري
ألا عللاني بالزمان و كررا .°. على كميت اللون صافية تجرى
ألا فافرغها وأرضيا جاها هديتها .°. بماء سحب زل من جبل و عر
و رؤيا هامني من قبل رقدة .°. أكون بها طول الليالي في القبر
و هات سلاحي يا إمام فإنني .°. أخاف يبات القوم بالأسل السمر
أظن جيوش المسلمين و خالدا .°. سيطر قكم بالليل في واضح الفجر
فهل لكم يا قوم قبل صباحه .°. و قبل خروج الغانيات من الخدر
أرى الموت خيرا من حياة طويلة .°. أردي بها يوما إلى أرذل العمر

فهجم عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه و قصد رجل من الجيش حرقوص
المذكور و قد سمع شعره المار فقتله و جز رأسه و جعله في جُفنة خمر و جدها بين
يديه.

و من لطائف أبي الحسن علي الغراب في تشبيه دن وضع في حلقه نارنجة*
و نارنجة في حَلَقِ دَن و قد بدت .°. لها منظر قد راق كل لبيب
فشبهتها إذ راقني حسن و صفها .°. بد ينار إبريز بثغر حبيب
و قال صاحب الأشعار الراقية و التشبيهات الفائقة عبد الله بن المعتز بن المتوكل
بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسى :

* نَارَنَجَة : بُرْتَقَالَة

سقى المطيرة ذات الظل و الشجر .: ودير عبدون هطال من المطر
 فطال ما نبهتني للصبح بها .: في غرة الفجر و العصفور لم يطر
 أصوات رهبان دير في صلاتهم .: سود المدارع نقارير في السحر
 مَسْتُورِينَ¹⁴³ على الأوساط قد جعلوا .: على الرؤوس أكاليلا من الشعر
 فجاءني في قميص الليل مستترا .: يستعجل الخطو من خوف و من حذر
 فقمتم أفرش خدي في الطريق له .: ذلا واسحب أذيالي على الأثر
 ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا .: مثل القلامه قد قدت من الظفر
 و كان ما كان مما لست أذكره .: فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر.
 و من ضريف شعره و بديع مأخذه و متخير

و مهفهف عقد الشراب لسانه .: فحدثته بالزمن و الأيام
 حركته بيدي و قلت له .: إنتبه يافرحه الخلطا و الندما
 فاجابني و السكر يخفض صوته .: بتلجلج كتلجلج الفاما
 أنا لا أفهم ما تقول و إنما .: غلبت عليّ سلافة الصهبا.

تولى عبد الله بن المعتز الخلافة يوما و ليلة لما خلع المقتدر ثم أن أصحاب المقتدر
 تحزبوا و حاربوا أعوانه و شتتوهم و أعادوا المقتدر و استخفى ابن المعتز في دار ابن
 الجصاص التاجر فأخذه المقتدر و قتله سنة ست و تسعين و مائتين وأخذ من ابن
 الجصاص مقدار ألفي دينار و ردّ له بعد ذلك منها مقدار سبع مائة ألف دينار و
 كان ابن المعتز حنفي المذهب. وأنشد حماد بن سابور الراوية لعدي بن زيد العبادي.
 "و دعوا بالصبح يوما فجاءت .: قينة بيدها إبريق."

و كان حماد هذا أحفظ الخلق للأشعار، أنشد الوليد بن عبد الملك يوما حتى
 زجره ثم و كل به من يصدقه عنه و يستوفى عليه محفوظاته فأنشده ألفين و
 تسعمائة قصيدة للجاهلية فقط.

فاخير الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم، و مرّ لنا أول من اتخذ الخمر و من
 أسمائها المدام و الصهبا و الكميت و السلافة و العقار و الخندريس مشتق من
 الخدرسة و قولي ولا سفحنا إلخ... قال دبّيس الأمير الأسدي.
 شربنا وأرهقت على الأرض كأسنا .: و للأرض من كأس الكرام نصيب.

¹⁴³ نسخة أ: سقطت مستورين

و مرّ لنا أن الدن واحد الدنان، زاد الجوهرى الدندنة أن تسمع من الرجل نعمة ولا تدري ما يقول و في الحديث حولها لدندن.

يا حسرة لمعالم الإيمان بها .٠ فكانت مدّته كسنة الكبس

النداء بالحسرة فيه تنبيه على تعظيم الأمر و تشنيعه و الحسرة التلهف و المعلم في الأصل هو الذي يستدل به على الطريق و جمعه معالم و المراد بالمعالم هنا أركان الإيمان و شعائره كالدعائم الخمس و الآذان و نحو ذلك و الضمير في بها لوهرا و الضمير في مدته يعود للإيمان و الكبس هو الذي يأتيك قبل النوم، و الكبس قال في القاموس كبس البئر و النهر يكبسها أطمها بالتراب ورأسه في ثوبه أخفاه، أدخله فيه ثم قال بعد نحو سطرين و الغراب الذكر الضخم و العظيم الرأس و من يكبس رأسه في ثيابه و ينام أي فكانت مدّته أي الإيمان بذلك الثغر في القصر كالسنة التي تأخذ من أدخل رأسه في ثوبه لينام ثم أستيقظ و نشط.

- يحكى أن نبي الله عيسى عليه السلام لقي سيدنا نوحا عليه السلام مَنَامًا أو يقظة كما قيل، فقال له: "كيف رأيت الدنيا" فقال "كقصرله بابان دخلت من واحد و خرجت من آخر ومازال عنك من ملاذ الدنيا فهو متاع قليل وأن صحبك قبل زواله زمن طويل، ولذا تجد المؤرخين يقولون وقع ذلك أيام فلان عبارةً عن مدّة مديدة، بقي فيها بسنين عديدة، فيالها من مدّة لو لم تشب ببعاد أو كان وصلها ماله من نفاد فلم يدم ذلك الوصل عن حاله و قد جذع أنف كماله، وأسرع فألجّ في النفار، وولت أجناده الأدبار فارتحلت الأحبة على الديار كأن لم يلبثوا الأساعة من نهار، فراحت الروح على آثارهم و ناح الغراب على أوكارهم و كلما ملت الزمان بسبب التقصير و جذع أنف موته بمدينة المسير، وقال كيف لا أجذع أنفى على خلو الثغر من الإسلام و تقصير، قال الشاعر.

و ما الدهر و الأيام الأكما ترى .٠ رزية مال أو فراق حبيب

آخر ما بعده الزناكي حاصرها .٠ فامتنعت و شمسيت أبما شمس

الضمير في بعده يعود على القرن العاشر و الذي بعده القرن الحادي عشر أي في آخر الحادي عشر، حاصر الفقيه الهمام و البطل الضرغام، الملك العلام الذي بأعباء الولاية قائم، حاصد شوكة أهل الكفر و الطغيان، الزناكي سيدي الباي شعبان، الكفرة بثغر و هرا و ضايقهم بالآلة و الجنود وأرهبهم بكثرة العساكر و الحشود، فهو الحامل للواء الإسلام و بنده، المباشر لوطيس رَحَى الحرب بنفسه و طرفه. و شهرته تغنى عن الأطناب في وصفه و المفاعلة في حاصرها ليست على بابها،

وقولي شمس صعبت بحيث لاتنقاد لأحد، مأخوذ من شمس الفرس شموسا و شماسا منع ظهره فهو شامس. و أما الشموس فهي امرأة من جدیس العرب العاربة البائدة بنت غفار أخت حنظلة الغسيل رضي الله عنه و بنت عمر بن حزام و بنت مالك بن قيس و بنت النعمان صحابيات و أيضا علم لفرس الأسود بن شريك، وقولي أيما شمس أي امتنعت غاية الامتناع أو امتنعت امتناعا أي امتناع و أيما بفتح الياء التحتية المشددة نعت لمصدر محذوف وما زائدة فتكون حينئذ مضافة النكرة لأن أي الموصوف بها و الواقعة حالا لا يضافان إلا للنكرة وإنما وجب إضافتها إلى النكرة فيهما لأن نعت النكرة و الحال يجب أن يكونا نكرتين.

وأول من غزا وهران من ملوك الترك بالجزائر إبراهيم باشا. كان قبل الولاية يقال له إبراهيم خوجة و طويها بثقله و أناخ عليها بكلّله فرماها مدّة من "المائدة" قنة جبل هيدور بالمدافع و البونبة، فلم يَفِدْ شيئا. و سعى في هلاكها بجميع الحيل و المكائد و هو في كل ذلك كضارب حديد بارد. فلما أيقن أنها ممتنعة عليه، إنقلب راجعا إلى دار ملكه، و لما قلّد الأتراك بالجزائر إيالة مازونة و ما ينضم إليها من البسائط و البلدان لسيدي الباي شعبان في حدود نيف و سبعين ومائة وألف، صرف همته للجهد ومكافحة أهل البغي و الإلحاد، فكرر الغزو إليها و التدويخ، و قد استعانوا علينا من تلك العدو بالصريح مع ما أنضم إليهم من ضعفة الدين من المسلمين، فاشتد عضدهم وأطمأن الكفر بالثرر قرير العين، فكثير الآن يقع القتال و في كل ذلك الحرب بينهم سجال إلا أنه قبض أيديهم عن بسائطها وأكثر المرات يكتسح مسارحها و ضيق عليهم أشد التضييق ولم يكن لهم في الفرج سبيل و لا طريق وأرصد عليهم الجواسيس و العيون حتى أنهم لا مجال لهم إلا يمين المدينة و برج العيون و إلى ذلك أشرتُ بقولي:

وطني الفيلق الجرار لآراضهم . . به همت دمعهم من زكا وخس

دارت حروب عظام بينهم قد أتى . . آخر أمرها باستشهاد النفس

الفيلق كصقيل و الجرار من السماء، الجيش كالخميس و الجند و نحو ذلك و همت من الهميان و هو الأنحدار و السيلان وزكا للشفع و خسا للوتر، قال ابن دريد:

كم قد هوى في جثة عاذرها . . من بعد ما كانت خسا فهي زكا.

و قولي باستشهاد النفس و خبر ذلك اليوم أن الباي شعبان رحمه الله زحف إلى وهران في نحو أربعة آلاف فيهم نحو ثلاثة آلاف فارس وزحف الكفرة إليه من وهران

مع مرادة العرب من بنى عامر وكيزة وغمرة و نحوهم من أزيد من ثمانية آلاف فيهم ألف خيل و الباقي رجاله فكان مصاف القتال بكدية الخيار وصبر الفريقان ثم أنفضت الكفرة واختل مصافهم و قد ربط بعضهم أنفسهم بالحبال و بعضهم طرحوا أنفسهم في الأكبال فجعلهم الله غنيمة للمسلمين و فيئنا للموحدين فقتل في تلك الهزيمة أكثر من إحدى عشر مائة و دامت عليهم الهزيمة حتى أنتهى المسلمون إلى باب وهران، فحمي الوطيس عنده و في تلك المعركة قتل الباي رحمه الله وأمه برضوانه وأسكنه فسيح جنانه و من الفردوس ميطانه، فبقيت جثته بأيديهم فجزوا رأسه و علقوه على الباب، فرأى بعض الكفرة بالليل نورا يسطع عليه فبعثوا للمسلمين فجعلوه في خزنة مع جسمه و ذلك سنة ثمان و تسعين وألف. إن الذي قتله من المسلمين الذين معهم المسمون بالمغاطيس و يقال إن اسم هذا القاتل له: أبو نصابية و ذلك سبب غزو السلطان إسماعيل لها كما يأتي قريبا، ولما استشهد أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي الأندلسي الحافظ قاضى بلنسية سنة ثلاث وأربع مائة، بقي بلا دفن ثلاثة أيام ثم دفن في الرابع متغيرا رحمه الله، وروى عنه أنه قال تعلقت باستار الكعبة وسألت الله الشهادة ثم فكرت في هول القتل فهممت أن أرجع فاستقبل إليه من ذلك فاستحييت، وكان رضي الله عنه في تلك الواقعة جرح و بقي بين القتلى فسمع هاتفا بصوت ضعيف يقول لا يكلم أحد في سبيل الله الأجراء يوم القيامة و جرحه يبعث دما اللون لون دم و الريح¹⁴⁴ مسك كأنه يعيد على نفسه الحديث ثم قضى و هذا الحديث أخرجه مسلم ولنا في الوليد هذا، أشعار حسان منها قوله :

أسير الخطايا عند بابك واقف .: عَلَى وَجَلٍ مِمَّا أَنْتَ بِهِ عَارِف
يخاف دُثُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ عَيْبُهَا .: وَيرجوكَ فِيهَا فهو راج و خائف
و من ذا الذي يرجي سواك و يتقى به .: و مالك في فصل القضاء مُخَالَف
فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي .: إذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسى في ظلمة القبر عندما .: يصد ذوو القربى و يخف الموالم
لَيْسَ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعَ الَّذِي .: أَرْجُو لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِف
ومن قولي: دارت حروب، فائدة: الحرب رحي ثقالتها الصبر و قطبها المكر و مدارها الإجتهد و ثقافتها الأناءة و زمامها الحذر ولكل شيء من هذه ثمرة فثمره المكر الظفر، و ثمرة الصبر التأكيد، و ثمرة الإجتهد التوفيق، و ثمرة الأناءة اليمين و ثمرة

¹⁴⁴ نسخة: أ: تبعث دما اللون و الريح مسك...

الحذر السلامة. و لكل مقام مقال، ولكل زمان رجال، و الحرب بين الناس سجال، و الرأى ابلغ من القتال، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمر بن معدى كرب الزبيدي "صف لنا الحرب" فقال مرّة المذاق إن كشفت عن ساق من صبر فيها عرف، ومن كلّ عنها تلف ثم أنشأ يقول:

الحرب أول ما تكون فتنة .: تَسْعَى بزینتها لكل جهول
حتى إذا حميت واشتد ضرامها .: صارت عجوزا غير ذات خليل
شمطا، جزت رأسها و شكرت .: مكروهة للشم و التقبيل

وقيل لعنترة الفوارس: صف لنا الحرب فقال، أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى: وجمع الله تدبير الحرب في آيتين من كتابه فقال "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتكم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" و"أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم وأصبروا إن الله مع الصابرين" وقالت العرب: الشجاعة و قاية و الجبن مقتلة ومن يقتل مُدْبِرًا أكثر من الذي يقتل مقبلا ولذا قال الصديق لخالد رضى الله عنهما: "أحرص على الموت توهب لك الحياة" و العرب تقول الشجاع مَوْقَى و الجبان ملقى، و كان خالد بن الوليد يسير بين الصفوف و يقول: إن الصبر عز و الفشل عجز و قالت الحكماء استقبال الموت خَيْرٌ من استدباره.

قال العلوى:

محرمة اكفال خيلي على القنا .: ودامية لباتها ونحورها
حرام على أرماحنا طعن مدبر .: و تَشَقُّ منها في الصدور صدورها.

وكانوا يتمادحون بالقتل ويتسابون بالموت على الفراش ويقولون مات فلان حتف أنفه وأول من قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال عبد الله بن الزبير لما سمع بقتل أخيه: مصعب "إنا والله لا نموت جيّفا جيّفة الحصار¹⁴⁵ كبنى مروان ولكن نموت بأطارق الرماح و قطع السيوف و قال السَّمَوَل:

وما مات منا سيد في فراشه .: ولا طلّ منا حيث كان قتيل

يقال طل دمه أي هَدَرَ و الأفصح أنه لا يستعمل إلا مبنى على المجهول كما قال العلامة بحرق في كيبيره قال في مفيد العلوم: أعرف الناس في القتل عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام، عمارة ماتَ بقديدٍ وحمزة قتله الخوارج و مصعب

¹⁴⁵ نسخة أ جيفة الحمير
* القديد: السيف

قتله عبيد الله بن ضبيان وسيدنا الزبير يوم الجمل وأبوه العوام قتله هوازن في حرب الفجار المشهورة.

تنبيه: لا شك أن قولي في الرحى مجاز لُغوي على الأصح في الحرب. فالحرب مستعار له و الرحى مستعار منه و القاعدة أن الإستعارة التي قرنت بما يلائم المستعار منه تسمى مرشحة ونظيره قوله تعالى: "أولئك الذين إشتروا الضلالة بالهدى فما رَبحَتْ تجارتهم" وأما المجردة فهي التي فرضت بما يلائم المستعار له كقول كثير عزة.

غمر الردى إذا تبسم ضاحكا .°. علمت لضحكته رقاب المال

غمر الردى أي كثير العطاء، إستعار الردى للعطاء ثم وصفه بالغمر الذي يلائم العطاء دون الردى، وأما المطلقة فهي التي لم تقترن بصفة و لا بما يلائم واحد منها نحو عندي أسد و المراد بالصفة هنا عند البيانبيين المعنوية التي هي معنى قائم بالغير، لا للنعت الذي هو أحد التوابع لتدخل الحالية و الخبرية و نحوهما و قد تجتمع المرشحة و المجردة معا كما في قول الشاعر.

لدى أسد شاكى السلاح مقذف .°. له لبد أظفاره لم تقلم

فذكر السلاح تجريد و ذكر الأظفار التي لم تقلم و اللبد ترشيح و معنى شاكى تامها و مقذف، قذف به كثيرا إلى الوقائع و لبد الأسد ما تلبد على منكبيه من شعره و التقليل مبالغة و القلم القطع...

أول عام من قرن ثاني عشر .°. جمع اسماعيل لها أقاصى سس.

هو السلطان إسماعيل المشهور ابن على السجلماسي الشريف الحسنى من نسل سيدنا موسى الجونّ بن عبد الله الكامل بن الحسن بن على بن أبى طالب أصل سلفه من ينبوع النخل و مدشرهم فيه مشهور يقال له مد شر بنى إبراهيم. و لما جح أهل سجلماسة و مروا في أيامهم بينبوع، أتى معهم الولي الأمجد و الطالع الأسعد سيدي على المعروف بالشريف فاستوطن بأرضهم ووقفوا عليه أوقافا عظيمة و ذلك في حدود سنة خمس و سبعين و ستمائة أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، فكثر أولاده بسجلماسة و لما فشل ریح بنى وطاس و بنى سعد و ثب السلطان رشيد على المغرب فاستولى على ملكه واستعان عليه بمال أبى مشعل الذمّي وإلى هذا السلطان تنتسب الموزونة الرشيدية و لما مات بويج بالملك أخوه السلطان إسماعيل المشهور و بقي الملك في عقبه إلى أن توفي رحمه الله سنة ست و ثلاثين و مائة و ألف

* و هو خطأ حسب النسابين : يعود نسبه إلى محمد النفس الزكية

وملك ثلاثا و ستين سنة وقيل غير ذلك وكان صحيح البخاري يختم على ظهره رحمه الله و هو الذي فتح طنجة و المدينة البيضاء و غيرها فبسببه ضعف أمر الكفر بسواحل المغرب ، قال الشهاب الخفاجي في شرح الشفا : طنجة بفتح الطاء ، لفظ بربري فتحت في الإسلام ثم إستولى عليها النصارى سنة سبعين و ثمانمائة بعد قتال عظيم و لما رأى المسلمون أن لا مغيث لهم سلموها لهم "إنَّا لله و إنا إليه راجعون" ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا أكثر البلاد فعاد الإسلام غريبا كما بدا. انتهى.

و قد كان هذا السلطان محاصراً لسبته مدّة أيامه فيه تقلص ملك الكفرة من المغرب وانقبضت أيديهم عن بسائطه. و سجدلماسة مدينة من قواعد المغرب و هي بكسر السين و الجيم وأهلها يسمون الكلاب و يأكلونها و مرّ تاريخ بنائها. قلت وأهل بسكرة وما ولاهم مثل هؤلاء في أكل الكلاب و سيدنا موسى الجون هو الذي مات في سجن أبي جعفر المنصور العباسي رحمه الله ، قال التنسي ثم أن الله جعل البركة في عقبه فملك منهم ثلاثة طوائف بنو الأخيضر ملوك اليمامة و الهواشم و بنو أبي عزيز ملوك مكة إلى الآن وكتب الشيخ القصّار الفاسي على كلام التنسي هذا ما نصه : و البركة الكاملة و النعمة الشاملة سيدي عبد القادر الجيلالي صاحب خلافة القطبانية و هو محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي و فاطمة رضى الله عنهم أجمعين بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد عشر أبا وقد اتفق المؤرخون على أن هذا النسب كما ذكرناه و طبقا لما سطرناه كالذهبي في تاريخه وسبط بن الجوزى في مرآة الزمان و الشنطوفي في بهجته و ابن حجر في غبطته وغيرهم من الأئمة الأعيان المرجوع إليهم في هذا الشأن و عبد الله أبو الكرام هو الذي أراد المأمون أن يوليه مقام ابن عمه علي بن موسى المعروف بالرضى الحسنى لما مات علي وقد كان المأمون عهد إليه بالخلافة فأبى عبد الله قاله الأزورقائي و نقله المسناوي و أمه أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين ولقب موسى الجون لأنه كان آدم اللون وأمّه هند من ذرية أبي عبيدة أحد العشرة و هي أم أخويه محمد المبيع له بالمدينة وإبراهيم المبيع له بالبصرة وواسط.

وروى الإمام مالك عن عبد الله الكامل و المثنى وصف للحسن بن الحسن لقبه به النسابون لقصد التمييز ولم يعرف به في حياته و كذا المثلث كما في بحر الأنساب ،

ولد الشيخ بجيلان سنة سبعين وأربعمائة و جيلان إقليم بأرض العجم مغرب كيلان وراء طبرستان ولد بقرية منه يقال لها نيف و منها رحل إلى بغداد لطلب العلم سنة ثمان و ثمانين وكان يناظر في ثلاثة عشر فنا و يفتى على مذهب الشافعي وأحمد و أخذ علم الحقيقة عن ابن الخير حماد بن مسلم الدباس و جماعة و سلمت له الفتوى بالعراق و قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني قلت لشيخى على الخواص كيف يصح تقليد الشيخ للإمام أحمد و تقليد سيدى محمد الحنفى لأبى حنيفة مع إشتهارهما بالقطبانية، و صاحب هذا المقام لا يقلد إلا الشرع و حده، قال قد يكون منهما ذلك قبل بلوغهما مقام الكمال ثم لما بلغا إستصحب الناس ذلك في حقهما مع خروجهما عن التقليد و الحنفى هذا مدفون بمصر وله مشهد عظيم و كنيته أبو محمد وله خوارق غريبة. توفي الشيخ عبد القادر ليلة السبت الثامن من شهر ربيع الأخير سنة إحدى و ستين و خمسمائة و صلى عليه إبنه عبد الوهاب و تخرج عنه في علم الظاهر و الباطن جماعة وافرة من الأعلام و المشايخ العظام و منهم بنوه العشرة و قد ألف فيه كتب منها أنوار الناظر لعبد الله بن نصر البكري الصديقي و نزهة الناظر لعبد اللطيف إبن هبة الله الهاشمي و بهجة الأسرار لأبى الحسن على بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي، و شطنوفة قرية من قرى مصر، قرأ على المراغي الحنبلى و المراغي قرأ على الموفق المعروف بابن قرامة و هو عن الشيخ عبد القادر الجيلاني و فيه ثلاثة أسفار، قال الشيخ أبو محمد صالح المدفون برباط أسفى: سمعت شيخنا أبا مدين يقول لقيت الخُصْرَ فسألته عن المشايخ في كل قطر فقال الشيخ عبد القادر إمام الصديقين و حجة العارفين، و قال طأطأ الشيخ أبو مدين رأسه و قال اللهم إني أشهدك و ملائكتك إني سمعت للشيخ عبد القادر وأطعت و نزلت بالعراق مسألة في رجل حلف إنه يعبد الله ولا يشركه في ذلك الوقت أحد، فعجز عنها فحول العلماء فقال الشيخ يطوف حيث المطاف خاليا.

و بنوه عشرة الشيخ عيسى صاحب لطائف الأنوار في التصوف قدم مصر و حدث بها وسمع بالأسكندرية من أبى طاهر السلفي توفي سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة و قبره بالقرافة مشهور ومقصود للزيارة، و الشيخ عبد الله أسمى أولاده توفي ببغداد سنة تسع و ثمانين و خمسمائة و الشيخ إبراهيم و عقبه بفاس موجود إلى الآن و بالشام توفي في واسط سنة اثنين و تسعين و خمسمائة، وواسط هذه إختطها الحجاج سنة ثلاث و ثمانين من الهجرة بين البصرة و الكوفة و العالم الشهير الشيخ عبد الوهاب توفي سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة ببغداد و الشيخ يحيى هو أصغر أولاده توفي ببغداد سنة ستمائة و دفن عند الشيخ عبد الوهاب أخيه و الشيخ محمد توفي

سنة ستمائة و دفن بمقبرة الحلية ببغداد و الولي الجليل الشيخ عبد الرزاق و هو الذي حج مع أبيه لما لقي أبا مدين دفين تلمسان بعرفات و لم يحج الشيخ عبد القادر بعدها توفي سنة ثلاث و ستمائة و دفن بروضة أبيه و الشيخ موسى توفي بدمشق سنة ثمان عشرة و ستمائة و هو آخر بنيه موتا و دفن بسفح جبل قاسيون و قد روى عنه ابن سيدي الناس و غيره. و الشيخ عبد العزيز و الشيخ عبد الجبار¹⁴⁶ و ذكر بعض أن له من الأولاد أربعون غير أن التعريف إنما كان للعلماء منهم و هم العشرة المذكورون و لهم أعقاب بعضهم بالشام و القادريون الموجودون بمصر الآن من عقب الشيخ عبد العزيز و سكن بعضهم الأندلس و لما أخذت غرناطة أنتقلوا إلى فاس و ذكر بعض أن الشيخ عبد الجبار فكيك من نسله و من الحسينيين المشهورين و الشرفاء المعروفين الشيخ أبو محمد عبد السلام بن مشيش بالميم و يقال بالباء و يقال بشد الشين وهو ثابت الشرف بلا شك. و لما ثار بكتامة محمد بن محمد بن أبي الطواجن سنة خمس و عشرين و ستمائة و ادعى صنعة الكيمياء و تبعته الغوغاء، ثم ادعى النبوة و شرع الشرائع و أظهر أنواعا من الشعوذة، فكثير تابعوه فَوُتِبَ عدو الله على الشيخ عبد السلام فقتله فلما أطلعوا على جثته نبذوه و قتله بعض البربر غيلة. و قتل الشيخ عبد السلام هو سبب رحلة تلميذه أبي الحسن الشاذلي للمشرق رضي الله عنهما. و للشاذلي بتونس مشهد عظيم و لما دخل مصر وجد بها الشيخ العظيم المنذرى و العز بن عبد السلام الشافعي أيام السلطان الظاهر أبي الفتوحات بيبرس و كان العز يقول كنت أعيب على هؤلاء الطائفة حتى اجتمعت بأبي الحسن فعلمت أنهم على الحق و قبر أبي الحسن بالصعيد في موضع موحش رحمه الله و من أجل تلامذته أبي العباس المرسى و من الأولياء الحسينيين أبو العينين الشيخ إبراهيم الدسوقي على شاطئ النيل بين رشيد و مصر (القاهرة) و من الأولياء الحسينيين أبو فراج الشيخ أحمد البدوي رضى الله عنهم و قبره بطنطا مشهور لا يخفى على أحد، انتهى.

و قولى أقاصى سوس إسقطنا واوه لضرورة الوزن وهو جائز؛ أي أن إسماعيل لما زحف إلى وهران جمع لها أقصى سوس مثل أهل تارودانت و أسفى و تمنطيط و غير ذلك و فيه إشارة إلى أن سوس قسمان الأدنى و الأقصى و هو كذلك، فالأدنى مراكش و جبال درن و الأقصى ما وراء ذلك، و سوس أيضا بلدة بأرض الروم و السوس مدينة بكور الأهواز بالعراق و بها قبر دنيال النبي عليه السلام، و قال ابن جرير إنه في وسط نهرها في تابوت من رصاص وسورها و سور تستر أول سور بني على وجه

¹⁴⁶ نسخة أ: سقطت الفقرة: و قد روى إلى عبد الجبار

الأرض بعد الطوفان، بناهما السوس بن سام بن نوح، و بتستر قبر البراء بن مالك الصحابي رضي الله عنه و يقال إن بها أيضا قبري عدي ومحمد أخوي عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم، و أول مدينة بنيت على جه الأرض ثمانين بجبل الجودي و ذلك أن أهل السفينة مع نوح عليه السلام ثمانون فكل واحد بنى دار فلذلك سميت ثمانين فهي أول مدينة بنيت بعد الطوفان خرج منها جماعة من العلماء و الشعراء.

فحط كلكله حولها معتزما .: على النزال فلم يجد محل بوس

الحط الوضع كالاحتطاط و الحدر من العلو إلى الأسفل والحطيطة ما يحط من الثمن و قولي حطه أي حطَّ عنا ذنوبنا و مسألتنا حطة أي أن تحط عنا ذنوبنا و هي أيضا اسم رمضان في الأنجيل، و حط كلكله أي ثقله، قال أمرؤ القيس

فقلت له لما تمطى بجوزة .: و اردف إعجازا و ناء بكلكل

قال بعض من شرحه و ناء أي نهض بكلكل أي يثقل و الكلكال الجماعات و النزال بالكسر الحرب وأصل النزال عند العرب أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا، قال عنتره العبسي مخاطبا للملك الأسود أخی النعمان المنذر

أبشر بيوم يظهر لك زعازعها .: يوم النزال و قد يبدو لك العجب

و قولي: لم يجد محل بوس، قال الجوهري الأبوس جمع بؤس من قولهم يوم بؤس و يوم نعم و الأبوس أيضا الداهية ومنهم عسى الغوير أبؤس، قال الكميت.

قالوا أساء بنو كرز فقلت لهم .: عسى الغوير بآباس وأوغار

و البوس الثقل و هو فارسي معرب و قد باسه ييوسه انتهى، و في القاموس البأس العذاب و الشدة في الحرب: أي أن السلطان إسماعيل ضرب حول و هران فساطيطه و خيم أخبيته و رتب عساكره و أصلح آله يريد من الكفرة النزال و مجاهدة الأبطال و جالت كتائبه حولهم فدخلوا كنائسهم فلم يجد محلا منه بؤسهم ولا فرجة بسببها يدوسهم فحينئذ قابل المسلمون شدة وبالها بالصبر حتى فتح الله بعد ذلك بالنصر و مواهب الظفر فكان عاقبة أمرها خسر و قد قال الشاعر:

إن الأمور إذا اشتدت مسالكها .: فالصبر يفتح مثل كل ما ارتتجا

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته .: ومد من القرع للأبواب أن يلجأ

لا تيئسنَّ و إن طالت مطالبة .: إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

قام بهيدور أباما يحتال لها .: قد استعان بما حولها في مخس

قام أي إسماعيل و هيدور جبل هران كما في ابن خلدون و يحتال لها أي يتحيل عليها فاللام في لها بمعنى على ، قال في القاموس الأحيال و التحول و التحيل الحذق و جودة النظر، انتهى.

و قلوي قد إستعان بما الخ أي طلب منهم المعونة لأنهم أدرى بعوراتها ووسائل آفاتها، لأنه إستعان بهم لقلّة جنده و فراغ و فده، و قلوي في مخيس على حذف المضاف أي في أرض مخيس و إلا فمخيس أنفسهم قد تلاشوا قبل ذلك و دثروا فلم يبق بينهم حلة تنجع و لا قبيل يذكر و لا علاقة تحمل ولا عصابة لصريخ. قد عفت منهم أوطانهم و عمر غيرهم مكانهم و مخيس هؤلاء بطن من نبي زغبة من بني هلال و مخيس أخ سويد لأنه من أبناء عمار بن مالك و سويد بن عمار بن مالك وزغبة بفتح الزاي و أما قبيلة زغب التي بضواحي طرابلس اخوة ذياب أحد بطون بني سليم فبضم الزاي و هو زغب بن ناصرة بن جفان بن إمرئ القيس بن بهث بن سليم و قيل بكسر الزاي و في قبيلة زغب و إخوانها يقول عنان بن جابر وزير أبي زكرياء لما فرّ منه.

و لما رأيت الود قد بان وانقضى . و ثارت لي نار الشوق تغدو غواثر

رأيت رجالا من رياح و مالك . و زغب و ذياب وعوف و ماجر

آستوطن بنو مخيس هذه الأرض في وسط المائة السابعة و بقيت منهم الآن أوزاع مغمرون في المدن و القبائل و قد مرّ لنا طرف من هذا، و سليم و هلال يجتمعان في قيس بن غيلان بن مضر ومن أراد الوقوف على قبائل العرب من بني ربيعة و بني مضر و بني حمير و بني هلال فليطالع كتاب نوادر الكبير لأبي عمر بن إسحاق بن مدار الشيباني، فإنه جمع أشعارها ودون قبائلها فكانت نيفا و ثمانين قبيلة وكان هذا السيد الهمام من العلماء العظام، روى عنه الكبار كابن حنبل و القاسم بن سلام و يعقوب بن السكيت صاحب إصلاح المنطق و الذي قصّر به عند العامة أنه كان يشرب النبيذ عاش مائة و ثمان عشرة سنة. و يكتب بيده إلى أن مات سنة ثلاث عشرة ومائتين ومما ينبغي إنخراطه في هذا السلك وإدراجه في هذا السبك أن عياض بن غنم الفهدي رضي الله عنه ولّاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حرب أهل الجزيرة ففتح سائر مدنها مثل الرقة يحكى أنه مكتوب ببابها ما يحدث في الزمان إلى قيام الساعة بخط قل من يعرفه و مدينة حران ومدينة رأس العين و شمشاط و الخابور ثم نازل نصيبين فحاصرها سنة كاملة فلم يفد منها شيئا و لما عضل داؤها وشد خطبها و كثر الإستشارة في شأنها، أشير عليه بأن يرميها بالعقارب فكتب إلى أبي موسى الأشعري و هو حينئذ بشهرزور من أرض العراق و عقارب يضرب بها

المثل في شدة الإذابة بأن يبعث إليه قدورا مملوءة عقارب فبعث إليه كثيرا من ذلك فكان يجعل التراب في القدر إلى نصفه ثم يجعل العقارب لتقتات بالتراب، فرمى عياض القدور بالمجانيق ليلا، فلم تقع القدر في المدينة إلا مكسورة فدب العقارب لأهلها فلم يصبح الصباح حتى قتلت منهم كثيرا و لما أحسوا بها فتحوا الباب وخرجوا فلقيتهم جنود المسلمين فأثخنوا فيهم و غنموا و سبوا ووقع الفتح هذا على ما رأيته في سيرة ابن جرير رضى الله عنه و في ذلك يقول رجل من الصحابة.

و سرنا إلى أرض الجزيرة نغتني .: قرى الروم ضربا بالقنا والقواضب
ألحنا على باب نصبين خيلنا .: كتائب صدق يا لها من كتائب
أقمنا بها يا صاح حولا محرما .: نقارع بها كل ليث مشاغب
فلما أراد الله ذو الطول فتحها .: وذو الطول و النعماء ليس بغائب
رمينا لهم بالحتف موسم ساعة .: على كل خوار القينا عقارب
فاعطوا بأيديهم فرشلوا و قتلوا .: و أبنا باسلا ب لهم و رغائب
وجرد عتاق من جيا د خيولهم .: وادم ضباه من حسان الكواعب
فلم أر فتحا مثل ذاك و لا أرى .: على الأرض فتحا مثل فتح العقارب
و فتح نصبين في الكلاعي و قع على غير هذا الوجه و الله أعلم
و أعيته حيلتها حزما ومنعتها .: عقاب جو قد أرتقى على الردس
فقال هي حية تحت صخرتها .: تضررا الضرباتي لها من أنس

الضمير المنسوب عائذ على السلطان إسماعيل و حيلتها فاعل بأعيت و الهاء فيه في محل جرّ بالإضافة و آخر الفاعل هنا لأن المفعول ضمير متصل و قولي حزما، الحزم ضبط الأمر و الأخذ فيه بالثقة و حزم ككرم فهو حازم و حزيم و منعتها أي آمتناعها بالتحصن بما تحتاجه و العقاب هو أحد جيابرة الطيور و الجو في القاموس الهواء و ما أنخفض من الأرض و فسرناه فيما مرّ بغير هذا، أرتقى علا و الردس الرمي و ردسته رميته، و قولي فقال إسماعيل هي - أي وهران - حيّة، الحيّة معروفة، تحت صخرتها المراد بالصخرة هنا الجناس الصادق بغير واحدة و صخرتها برج العيون و برج اليهودي و مرجاجو و الأحمر و غيرها فيه لوهران أيضا، و من لطائف الماهر في فنون البلاغة و لطيف الأداب أبي الحسن على الغراب ينكر فضلي الأغبياء وربما .: لأمكنة التعظيم جاء منكر وهم أضمرنا ذكرى ليجهله الورى .: و أعرف أنواع المعارف مضمّر

و قولي و منعته عقاب جو إلى آخره هو تلميح وهو أحد أصناف البديع و صورته أن يشير إلى قصة أو إلى شعر و إلى مثل بغير ذكره و هو بتقديم اللام على الميم مصدر. لمح المضعف من لمحّه إذا أبصره ومنه لمح البصر و يقال في هذا البيت تلميح إلى قول لمح فلان أي نظر وإشارة إليه. وأما التلميح بتقديم الميم فهو مصدر، لمح الشاعر شعره إذا أتى فيه بشيء مليح و مبحثه في باب التشبيه من أبواب البيان و نحن أشرنا إلى قصة الزباء لما قتلت جذيمة الأبرش و قد ملك بعده ابن أخته عمر بن عدي فقليل له: هلا أخذت بثأرك من الزباء فقال: و كيف لي بذلك و هي أمتع من عقاب الجو. قال ابن دريد في مقصوده.

و قد سما عمر إلى أوتاره . . . فاحتط منها كل عالي المسمى

فاستنزل الزباء قسرا و هي من . . . عقاب لوح الجو أعلى منتما

و القسر المراد به القهر و من لطيف ما يناسب و يليق بهذا المعنى أن أبا أيوب سليمان الخوزي وزير أبي جعفر المنصور لما فسدت نية المنصور فيه كان يظن أن يوقع به وما من دخول يدخل عنده إلا في شدة الخوف ثم يخرج سالما فقليل له كان معه شيء من الدهن قد عمل فيه السحر فكان يدهن حاجبيه إذا دخل على المنصور ومن مليح أمثاله أن خالدا الأرقط قال: بينما أبو أيوب جالس في أمره و نهيه أتى رسول المنصور فتغير لونه فلما رجع تعجبنا من حاله فقال و كيف لا يخاف من سلم نفسه إلى حية فارغة فها ثم ضرب لنا مثلا و قال لنا: زعموا أن الصقر قال للديك ما في الأرض حيوانا أقل منك و فاء، قال و كيف؟ قال أخذك أهلك بيضة و حضنوك وأطعموك و نشأت بينهم حتى إذا كبرت صرت لا تأنس في أحد و أخذت أنا مسنا من الجبال فعلموني الصيد فاغتنمه ثم أرجع به إلى صاحبي، فقال له الديك: لو رأيت من البزاة و الصقور في السفافيد مثل الذي رأيت أنا من الديوك لكنت أنفر مني و لكنكم أنتم لو تعلمون ما أعلم من خوفي لم تعجبوا ثم أنه أوقع به سنة ثلاث و خمسين و عذبه و أخذ أمواله و مات سنة أربع و خمسين ومائة، ثم إن السلطان إسماعيل لما تحقق أن وهران ممتنعة عليه أفرج عنها وانقلب إلى حضرته بعد ما دَوَّخ الإعراب المواليين للكفرة من بنى عامر و غيرهم و كان جلهم دخل مع النصارى في الحصون بالأهل و المال، و بعضهم أعانهم بالسلاح و الرجال و زحفوا بين الحصون أمام الكفرة يقاتلون و في شراك شركهم يتخبطون فكان إسماعيل لما إنقلب أحق بالمثل بيت عمر بن معدى كرب: و هي:

إذا لم تستطع شيئا فدعه . . . و جاوزه إلى ما تستطيع

و سبب إنشاده هذا البيت أن العباس بن مرداس هزمه يوما وأسر أخته ريحانة،
 حكي الخليل بن أحمد قال: كان عندي رجل يتعلم العروض فلم يفهم واتعبنى
 بلاطائل فقلت له يوما قطع إذا لم تستطع شيئا، فدعه و جاوزه إلى ما تستطيع
 فشرع يقطعه على قدر معرفته ثم نهض و لم يرجع عندي بعد فتعجبت من فطنته لما
 قصدته في البيت بعد فهمه، و كان للخليل ابن فوجده يوما يقطع بيتا من الشعر
 بأوزان العروض فخرج للناس فقال إن أبي قد جن فدخلوا عليه و أخبروه بما قال
 ابنه فقال مخاطبا له :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني .: أو كنت أعلم ما تقول عذلتك
 لكن جهلت مقالتي فعذلتني .: و علمت أنك جاهل فعذرتك
لما أراد الله عود الإيمان بها .: أقام بالجزائر مذهب الغلس

الغلس بتحريك اللام ظلمة آخر الليل و أغلسوا دخلوا فيها و غلسوا ساروا بغلس
 و غليس كأثير من أسماء الخمر و جبارة بن المغلس كوفي محدث و الجزائر علم على
 مدينة عظيمة على شاطئ البحر بنتها ملوك صنهاجة و مرّ لنا تاريخ بنائها واسم
 بانيها و غير ذلك فانظره إن شئت في شرح قولي، حتى أزالهم عنه يوسف بن
 تاشفين إلخ ... ولم تزل في طاعة بنى بلكين من صنهاجة ملوك أشير و القيروان إلى
 أن تغلب ابن عمهم حماد على جبل كتامة و بنى به القلعة المارّة الذكر و كثرت
 جنوده و خفقت بنوده واستولى على باجة و بجاية و دلس و نحوها فكانت الجزائر
 من جملة أعماله ثم زحف إليه باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد فهزمه
 من مجانة إلى واد أشلف ونزع إليه عامّة عسكره ثم رجع جادّ السير إلى قلعته و
 باديس في أثره و حاصره إلى أن هلك، و بويق ابن باديس و هو المعز ابن ثمان سنين
 فاتسعت عن حماد و عاد ملك الجزائر، ولما هلك و لي ابنه القائد فزحف إليه ابن
 زيري بن عطية المغراوي فصالحه ثم زحف إليه المعز بن باديس فصالحه القايد أيضا
 و بقي على ملكه بالقلعة و المدينة و الجزائر إلى تخوم مغراوة تحت حكمه و على أمره
 إلى أن هلك سنة ست و أربعين وأربعمئة وولي مكانه ابنه محسن ثم قام فيهم
 الناصر بن علناس بن حماد فبنى قصر اللؤلؤة ببجاية من أعظم قصور الدنيا في حدود
 سبعين و أربعمئة و قد قال ابن خلدون في بعض كلامه على المغرب الأوسط ببجاية
 إختطها الناصر بن علناس ثم لما مات الناصر و لي ابنه المنصور و لما استولى يوسف بن
 تاشفين على تلمسان و غلب عليها أولاد يعلى الإفريني سنة أربع و سبعين وانزلها
 محمد بن تينعمر الموسوي و نازل بلاد صنهاجة و ثغورها كالجزائر و نحوها زحف
 إليه المنصور و خرب ثغوره و حصون مّا حُوخ و ضيق عليه فصالحه يوسف فانقبضت

يد المرابطين عن بلاد صنهاجة، و المنصور هذا هو الذي خرب "الجعبات" و"أمرات" ووقعت حروب بينه و بين ماخوخ انجلت عن قتل ماخوخ و لحق إبنه بتلمسان مُسْتَصْرِحًا بآبن تينعمر فرجعا إلى الجزائر فحاصروها يومين فمات ابن تينعمر وولى يوسف بن تاشفين مكانه أخاه تاشفين بن تينعمر فافتتح أشير و الجزائر و رجع إلى تلمسان ثم أن المنصور زحف من بجاية بأمر المشرق إلى تلمسان و نزل واد الصفصيف فلقية تاشفين بجنوده فانهزم تاشفين ولجأ إلى جبل الصخرة و عاثت عساكر المنصور بتلمسان فخرجت إليه حواء زوجة تاشفين أميرهم متوسلة له بوسائم القرابة الصنهاجية التي بينهم فآكرم مثواها و رجع إلى القلعة و قدم على المنصور معز الدولة صمادح من المربة لما ملك الأندلس يوسف بن تاشفين فاقطعه دلس و أنزله بها و لما هلك سنة ثمان و تسعين وأربعمئة و لي ابنه باديس وكان عظيم البطش شديد البأس ثم ولي أخوه العزيز و تزوج بنت ماخوخ و طال أمد ملكه و كان العلماء يتناظرون في مجلسه و نزلت جربة على حكمه و تونس و سكنت العرب في أيامه القلعة و في أيامه و صل المهدي بن تومرت إلى بجاية قادما من المشرق إثنتي عشرة و خمسمئة و غير المنكر بها فسعى به عند العزيز فخرج إلى بني ورياكل و قام بهم يدرس العلم وطلبه العزيز فمنعوه و قاتلوا دونه إلى أن رحل إلى المغرب و هلك العزيز سنة خمس عشرة و خمسمئة فولى بعده ابنه يحيى و هو الذي اتخذ السكة ملوكهم و كان ديناره مكتوب فيه ثلاثة أسطار و دائرة في كل وجه، فدائرة الوجه الواحد "واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله" "ثم توفى كل نفس ما كسبت و هم لا يظلمون" و سطور "لا اله الا الله" "محمد رسول الله" ثم يعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله الأمير المنصور، و دائرة الوجه الآخر بعد البسملة ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين و خمسمئة و في سطور: الأمام المقتفى لأمر الله أبو عبد الله أمير المؤمنين العباسي. و كان مشغلا باللهو و الصيد و النساء لما أدبرت الأيام عن قبائل صنهاجة و كان عامله على الجزائر أخوه القايد بن العزيز بن المنصور و لما فشل ريح بنى عمه أولاد باديس بإفريقية و ضايقهم جرجين بن منحايل أحد رؤساء الكفرة، بعث يحيى بالأساطيل في البحر وأتى بالحسن آخر ملوك إفريقية من بنى عمه و أنزله بالجزائر مع أخيه القايد.

و سبب غزو الكفرة لثغره: أن عليًا بن يوسف بن تاشفين أغزى محمد بن ميمون صقلية و فتح قرية منها و سبى أهلها فلم يشك طاعتهم "رجار" أن ذلك باملاء الحسن فجهز ثلاثمئة مركب و أمر عليها جرجس المذكور و فيهم عدد كثير من النصرانية فيهم ألف فارس فملكوا قصر الذهاس ثم رجعوا إلى صقلية بعد أن إستمر

القتل فيهم و لما زحف الموحدون إلى الجزائر، فرّ منها القايد أخو يحيى فقدم أهل الجزائر الحسن المذكور على أنفسهم و لقي عبد المؤمن فأمّنهم و أصبح ببجاية من الغد، فرحف إليه يحيى فانهزم وملك عبد المؤمن بجاية و ذهب يحيى إلى أخيه الحارث يمونه لما لم يجد السبيل إلى بغداد ثم ذهب إلى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن فخلا له الأمر ثم بايع يحيى عبد المؤمن سنة سبع وأربعين و نقله إلى مراكش فسكنها ثم إنتقل إلى سلا فسكن قصر بنى عشرة إلى أن مات و هو آخر ملوك صنهاجة بالقلعة و بجاية و الجزائر وانقطع ملكهم إلى الآن بل عفى رسمهم و حمل ذكرهم وأغمروا في الناس فلا يعرفون و كذا بنو عمهم ملوك إفريقية.

غريبة: ولم سمى هذا القصر بسلا قصر بنى العشرة، أن امرأة و وضعت عشرة أولاد ببطن واحد فجعلهم أبوهم على مائدة و ذهب بهم إلى الأمير فاعطاهم ألف دينار فبنى لهم أبوهم عشرة دور أنظر بعض شروح الفرائض، ولما كان زمن السلطان الباني لهم الدور فيه تناقض مع زمن سكنى يحيى بها لم نذكره و الله أعلم، ثم انتظمت الجزائر في ملك الموحيدين كغيرها من المغريين بل و المغرب الأدنى أيضا لأنهم ملكوا طرابلس مرّات و تونس أكثر أيامهم وأول خلفائهم ثم لما ركذ ريحهم و دخل الهرم دولتهم سنة الله التي قد خلت من قبل أستقل أبو زكرياء الحفصى من الموحيدين بولاية إفريقية لما بلغه أن المأمون أحد ملوك بنى عبد المؤمن غير معالم شيخهم المهدي و غير ضرب الدرهم المربع الذي يعرف عندنا بدرهم المؤمن الذي مكتوب فيه كما هو شاهد إلى الآن "الله ربنا و محمد نبينا و المهدي إمامنا" و قطع إسمهم من الخطبة و أثبت ذكره بعد ذكر المهدي بن تومرت مقتصرًا على لفظ الأمير فقط ورفع إليه بعض شعرائه بيتا و هي:

صل أميرًا بالمؤمنينا . فأنت أحق بها في العالمين

فأتى عن ذلك إلى آخر دولته و دخلت الجزائر في ملكه و تلمسان و الزاب و غيرها و داولها بنوه إلى أن ضعضع شوكتهم الرّاعي ابن أبي عمارة و بسببه إفتقرت كلمتهم كما هو شأن الدنيا، طمع في الجزائر بنو عبد الواد فغزاها السلطان أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن من أعياص ملوكهم لما خلاله الجو بفتنة محمد بن أبي عصيدة سلطان تونس وأبي زكرياء الأوسط سلطان بجاية فأخذها منه سنة أحد عشرة و سبعمائة على يد قائد حروبه ابن عمّه محمد بن يوسف بن يغمراسن و كان ذلك أي أخذها أيام السلطان أبو اللحياني من ملوك تونس و لما حاصر يوسف بن يعقوب المريني تلمسان أوائل القرن الثامن كان أبو زكرياء صاحب بجاية مظاهرا لعثمان بن يغمراسن و السلطان محمد بن أبي عصيدة سلطان تونس تلميذ و محضون الولي

الصالح أبي محمد المرجاني مظاهر ليوسف المريني فكان أبو زكرياء يمدّ عثمان بالعساكر فيسمع بهم يوسف في حصاره لتلمسان فيبعث لهم كتائب بنى مرين فتوقع بهم و تهزمهم ثم أن أبا عصيدة صاحب تونس بعث إلى يوسف يغريه بغزو بجاية فشرح يوسف العساكر لنظر أخيه أبي يحيى فضايقوا بجاية و عاثوا في تلك الجهات ثم انقلبوا إلى يوسف وهو معسكر على تلمسان و في سنة ثلاث وسبعمئة أرسل محمد ابن أبي عصيدة هدية ضخمة إلى يوسف أغرب ما فيها سرج و سيف ومهاميز مرصعة بالياقوت و الجواهر مع رئيس الموحدين أبي عبد الله بن أكمارين و رجع بهدية ضخمة من عند يوسف بن يعقوب كان من جملتها ثلاثمائة بَغْل و في أيام ابن أبي عصيدة سنة خمس قتل علماء تونس هدايج من الكعوب بسبب إهانتهم المسجد، فإنه دخله بأخفافه فقيل له في ذلك فقال هكذا و الله دخلت بها على السلاطين فقتل في بعض زقاق تونس بأمر ابن أبي عصيدة و قد ذكره الوُثْرَيْسِي في كتابه المعيار، قلت وهدايج هو ابن عبيد بن أحمد بن كعب من بطون سليم و قومه يقال لهم الكعوب مشهورون بأرض إفريقية و هو إذ ذاك سيدهم واستمرت الجزائر في طاعة بني عبد الواد ملوك تلمسان من سنة إحدى عشرة إلى أن استولى أبو الحسن عليها و على إفريقية وطرابلس سنة ثمان وأربعين و سبعمئة وكان دُوخ تلمسان قبل ذلك فكانت لدولته أذل ولأمره أطوع و لما جرت بابي الحسن الواقعة المشهورة بالقيروان واستقل ابنه أبو عنان فارس بملك المغرب، راجع بنو عبد الواد ملكهم واستقامت قدمهم بعد عثار و قد دخل أبو الحسن الجزائر من البحر و جمع جموعا و زحف لتلمسان فكان مصاف القتال بتاسالة فكانت على أبي الحسن و قتل ابنه الناصر و خلصه وانز مار السويدي إلى جبال المصامدة بازاء مراكش و تزاحف مع ابنه أبي عنان حتى مرض و مات سنة إثنين و خمسين وسبعمئة في جبل عبد العزيز بن محمد الهنتاتي الذي أجاره و نصره و قاتل معه ولده و كان عنده في غاية الرفعة و تحفظ به في مرضه و قام بمئونته و جعله فوق أعواد نعشه وبعث إلى السلطان أبي عنان ابنه فلقى النعش باكيا راجلا عافيا مكتئبا من مصيبتة و هو يقبل الأرض بين يدي جنازته و عفى عن عبد العزيز و أحسن إليه فكان له بعد ذلك يد عليه ثم أن أبا عنان لما استقام له المغرب زحف إلى تلمسان ففتك بهم واستلحمهم حتى كاد أن يستأصلهم و ذلك في سنة ثلاث و خمسين من القرن الثامن واستولى على المغرب الأوسط فكانت الجزائر له، طَوَعَ البدو وولى عليها عاملا و بعث إلى أبي عبد الله الذي ملك بجاية من الحفصيين يقيم الرصد على إبل بني عبد الواد، فبعث العيون فعثروا على محمد بن سلطانهم أبي سعيد بن عثمان بن عبد الرحمن و على أبي

ثابت أخيه و على وزير هما يحيى بن داوود فاوثقهم ثم بعث بهم إلى أبي عنان فسألوا عن أبي ثابت بعد قتل أبي سعيد ليميزوه من يحيى بن داوود لعدم معرفتهم له. فقال الوزير: أنا أبو ثابت و هذا يحيى، فقتلوا الوزير و خلوا عن أبي ثابت، فجاد يحيى بنفسه لنجاة الأمير و هذا أمر غريب لم أطلع على مثله إلا في قضية كعب بن إمامة لما آثر بالماء غيره و مات عطشا و بقيت تلمسان خرابا مدة سنين و كان رجل يقال له موسى بن صالح مشهور بالكهانة عنده علم من الحدثنان يقول إن تلمسان يحرقها غلام أسود على ثور أسود، فحرق على هذه الصفة بسبب هذه الواقعة سنة ستين أو إحدى ستين. و كانت هذه تلمسان الجديدة يقال لها تكرارت ومعناها المعسكر لأن عسكر يوسف بن تاشفين نزل هناك و قد بنى لهم موضعا مشهورا - أبو حمو- المشهور إلى الآن فصار أهل المدينة ينتقلون حتى دثرت القديمة بسبب إنشاء الجديدة و لما مات أبو عنان عادت دولة بنى زيان بمجرد ملكهم وواسطة عقدهم السلطان أبو ثابت المتقدم وراجع ملكه ومن جملة الجزائر.

- و الحاصل أن الجزائر كان ملوك تلمسان و ملوك إفريقية يتداولونها فتكون لمن غلب عليها، و مرة يتغلب عليها بعض مشايخها إلى أن دخلها ملوك الأتراك سنة خمس عشرة و تسعمائة و أول من ملك بها منهم مشهور السيادة وواسطة القلادة، منتقل الأحوال، مسعد المنال أمير المسلمين السلطان حسن خير الدين فهو سبب سعادتهم وانتشار صيتهم فكان وجهه للصباحة و لسانه للفصاحة و يده للسماحة و عقله للرجاحة، كان قبل حلوله بالجزائر، طبق أرض الكفرة بالغزوات وكثر لديه الفتوحات وامتدت له سعادة الحياة، وكان من خبره أن السلطان أبا يزيد بن السلطان محمد الفاتح بن مراد من ملوك بنى عثمان التركماني الأكبر الذي ينتسب إليه الخلفاء العظام، زادهم الله النصر و الإكرام و العز و القبول الساكنين الآن بمدينة اسلامبول، فتح مدينة في بعض جزر البحر يقال لها مدلي وأنزل فيها حامية من الأتراك¹⁴⁷، فبعثوا إلى السلطان يأذن لهم في تزويج بنات أهل الذمة من كفرة جزيرة مدلي، فأذن لهم فتزوج أبو السيد حسن خير الدين المذكور امرأة منهم فولدت له عروج المشهور برايس و خير الدين وإسحاق و عروج أكبرهم فشبوا في إكمال خصال الرجولية و غاية الشجاعة و الفحولية، واشتغلوا بالتجارة ثم بعدها عملوا أجفانا للجهاد في البحر، فأذاقوا الكفرة شرا و قهروهم قهرا حتى أن عروج قطعت يده في بعض الحروب قرب بجاية و كانت بجاية إذ ذاك عامرة بالكفرة لأنهم لم تؤخذ منهم إلا في سنة إحدى و ستين و تسعمائة و دخلوها وقت تلاشي أمر آل أبي حفص

¹⁴⁷ نسخة أ: سقطت كلمة حامية

وافترق كلمتهم و تعداد أمرائهم فكان هؤلاء الثلاثة الإتراك يأتون بالغنائم و يرسون على مدائن الإسلام الساحلية ليبيعوا ما عندهم و يقضون حوائجهم فكان خير الدين في بعض المرات أرسى أسطوله بمرسى الجزائر فقضى حوائجه على عادته فرغبوه في المبايعة و الملك عليهم لعدم إستقامة دولة أهل تلمسان وأهل تونس وألحوا عليه فاجابهم ثم كان بينهم كلام فغضب عليهم و ذهب من مدينتهم فلم يروه إلا بعد حول فرغبوه في المكوث عندهم و الملك عليهم و السمع و الطاعة فقبل على شرط قتل المفسدين و عينوا منهم جماعة أرادوا قتلهم فقال لا تقتلوا الأمن عظم شره و كثر فساده فخصصوا فيهم و حصروا أمر الفتنة في نفر منهم فقال لهم تحروا في أهل الفساد و لا تزروا زرة و زر أخرى وذلك كله إحتياطاً منه رحمه الله و من سفك الدماء من غير وجه شرعي، يقال أنه مازال يأمرهم بالتخصيص لأهل الفتن و التحري حتى إتفق أمرهم على ثلاث فصلبوا على السور، فهم أول من حكم فيهم بالقتل في ملكهم بالجزائر، و كان كثيراً يرى رسول الله عليه الصلاة و السلام، و كان بالغاية القصوى في الزهد و الورع و التقوى و الإناءة ولم يقبل الملك حتى قيل له أنه واجب عليك متيقن. وكان بعض أراد إغتياله بمداخلة غلام له فكوشف له عن ذلك رضى الله و حسم ما خشى. فلما إنتظمت له الجزائر واستحكم أمرها وأكثر جندها وأصلح خللها داخل الفقيه الأعظم العلامة الإكرم سيدى أحمد بن القاضي أحد أبناء "صاحب المغارسة"، ملوك الزيانيين بتلمسان في شأنه و اشار إليهم بحربه ومناجزته و كان هذا العالم من أهل بجاية و قد ذكره صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة في نوازل النكاح و ما يتعلق به و بنوه وإخوته و قومه هم الذين آووا الشيخ على أبهلول الوطاسي وأخذوا عنه العلم الظاهر و الباطن ووقفوا عليه الأوقاف، و بعد موته رضى الله عنه خلفه أبناه الشيخ محمد بن على و الشيخ أبو على فكان الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر صاحب المغارسة أحد تلامذتهما نفعنا الله بهم أجمعين، فكان الشيخ أحمد من أكابر رؤساء تلك الأرض وأكثر، أغزاه بنى زيان بخير الدين فلم ينجح له شيء لأن أمر بني زيان حينئذ قد ولى الإدبار و ضعف ملكهم و تقلص ظلمهم لا سيما و قد أخذت من أعمالهم وهران يومئذ و كان بذلك العصر في تلك الأرض علماء أعلام و فقهاء عظام منهم من ذكرنا و غيرهم كالإمام المغيلي المدفون بتلمسان و الو نشريسي صاحب المعيار المدفون بفاس وأبو عبد الله المغراوي و قد بنى له بحافة شلف قبтан و قبلهم من أهل التاسع سيدى أحمد المريض مستوطن أحد مدآشر و نشريس و كان

* أحمد بن قاضى: تولى قضاء بجاية في عهد الحفصيين وأتصل بعروج و خير الدين وكتبهما صحبة ابن التومى الثعالبي أمير الجزائر و سهل عليهما إحتلال الجزائر. أسس إمارة بالقبائل الكبرى كانت قاعدتها جبل كوكو. قتل في إحدى المعارك.

معاصرا لابن عرفة و قبله من أهل السابع أبو العباس أحمد الملياني كان صاحب فقه ورواية و قد ذكره في المعيار و كذا ذكره صاحب الدرر و قد إنتهت إليه في عصره رئاسة الشورى بالمغرب الأوسط و كان ابنه أبو علي خُلُوًّا من ذلك منهمكا في الرياسة فلما رأى فتن مغراوة مع يغمراسن إستولى على مليانة و بويع له بها فجهز إليه المنتصر سلطان تونس جيشا لنظر أخيه الأمير أبي حفص ففتح مليانة عنوة و فرّ أبو علي للعطاف و عقد لبني منديل على مليانة و قد كان قبلهم بنو ورييين منهم مسكنهم البادية و الإمام المازري المذكور هو الذي جعل كتابا في نسب قبائل أهل المغرب الأوسط و قد ذكر فيه أن الأمحال أهل البطحاء من بني هلال كما قال ابن خلدون و أن الذين يقال لهم المضارب كبني دقيش و بني حميدة العبد و بني عراج من بنى مخزوم من ذرية صَعَصَعَة بن الحارث بن حارثة من ذرية هشام بن إسماعيل المخزومي و قد أجمل ابن خلدون و المشاهد الآن من أقر الأمحال للمضارب بالسيادة و التعظيم و التسليم لهم، يشهد للمازوني و قد كان قبل تلاشى أمرهم وركود ريحهم، لا يزوجون بناتهم الأمحال مع أن الأمحال لا يتوهمون ذلك و لا يطمعون فيه تعظيما لهم، قد أخذوا ذلك عن آبائهم و من المضارب نفر بقبيلة الشكالة و نفر بأولاد فارس و نفر بواد أسلي و كلهم درس ذكرهم و عفت مراسمهم و قد يقال إن الولي الصالح سيدي الناصر بن عبد الرحمن المدفون بالصحرء بالواد المشهور من بني مخزوم و الله أعلم بذلك.

و لنرجع إلى ما خرجت منه، ثم أن خير الدين نافسه أيضا محمد بن علي من رؤساء عرب إفريقية و سعى به إلى آل حفص بتونس و كانت بينهم حروب يقال إن محمد بن علي هلك فيها ثم أن أهل المغرب الأوسط و فدوا على خير الدين و أتوا به إلى أرضهم فاستعمل في طريقه على قلعة بنى راشد أخاه إسحاق و لما دخل تلمسان آستعمل عليها أخاه عروج ثم بعد منصرفه تعصب المسعود من ملوك تلمسان بجيش عظيم و خطب على منبر الجامع الأعظم و ذكر شأن ملك الجزائر و رغب الناس في ملك آل عبد الواد و هجموا على عروج، فأخروجه عنها ثم زحف إليهم بمن معه و كان شديد البأس فدخل تلمسان عنوة و قتل سبعة من المترشحين للملك من بني زيان و نحو الستين من بنى عمهم أولاد عبد الواد وأكثر من ألف من أهل البلد و عاث في تلمسان ثم سكنت الفتنة و لما رأى المسعود إستقامة عروج بتلمسان، دخل و هران فزحف بالنصارى إلى إسحاق بالقلعة ورموا عليها من البراق** فلما علم أهلها قوة

* حميدة العبد: من قادة قبيلة سويد المعروفة بالأمحال: مواطنها بين مستغانم و الشلف

** هضبة تقع بجوار القلعة

العدو و ضعفهم صالحوهم على تسليم البلد ثم لما خرجوا غدروا بهم و قتل إسحاق و قال العلامة الصباغ: و كان أبي ممن قتل يومئذ، ثم زحف بالنصارى لتلمسان لحصار عروج فلما طال أمر الحصار عليه خرج بمن معه من الجيش و البطانة راضيا من الغنيمة بالسلامة فلقوه بجبل بنى موسى* و قتلوه و من معه يوم عيد الفطر سنة خمس و ثلاثين و تسعمائة بعدما ملكوها نحو السنة و قيل إن عروج لما دخل تلمسان و عاث بها ثاروا به (كذا) أهل البلد و أخرجوه منها و خافوا من عودته ففزعوا إلى ولي الله ابن ملوكة فدعا عليه فهلك بجبل ورنيد و الله أعلم و رأيت في بعض فتوح الجزائر أن خير الدين دخل تلمسان مرتين مرة (لَمَّا) استعمل عليها أخاه و مرة بعد موته. و قد عمل بها حانبة من الأتراك في المرة الثانية فهي باقية إلى الآن، فأذهب فتننتها و حسم داءها فلم يعد. ثم إن خير الدين شمر للمدافعة عن الجزائر في البرّ و البحر و قد كانت المرسى آنذاك للأسبانيين من أمم الكفرة و كان لهم بها حصن هو الذي فيه القنار إلى الآن و كانوا مدّتهم مع المسلمين بين نفرة و استقامة و صلح و غدر و كان حصنهم يدور به الماء من البحر و أما الطريق التي به الآن فإنها علمتها ملوك الأتراك و يذكر أن بني مزغنة قبل بناء بلكين بن زيري، الجزائر كانوا يؤدون الخراج لأهل البرج و كذا أكثر أهل متيجة فلما بناها بلكين الصنهاجي و حصنها بالأسوار و أنزل بها الجيوش أقصرت النصارى عن عادتهم و رضوا بدل الخراج بالبيع و الشراء معهم، فلم يزل خير الدين يحاصره و يقاتله و يصلحه إلى أن فتحه سنة ثمان و أربعين و تسعمائة و قطع طمع بني زيان من تلمسان سنة ست و خمسين. و قد رأيت في بعض فتوحات الجزائر في سيرة خير الدين المرة الأولى سنة خمسة عشر من العاشر و بنى لها السور سنة أربع و عشرين منه و آنظر قوله بنى السور مع مأمّر لنا أن يحيى بن غانية صلب منديل بن عبد الرحمن على سور الجزائر أول القرن السادس و لعله السور الثاني أو أن خير الدين رمّ الأول و الله أعلم.

هذا و قد كانت النصارى من كل جنس يغزونها قديما و الحرب بيننا عليها مستديما و أول غزو النصارى لها بعد استيلاء الأتراك عليها سنة خمس و عشرين و تسعمائة في ثلاثمائة و عشرين جفنا فهزمهم الله بعدما قتل منهم خلقا كثيرا يزيد على عشرة آلاف و غزوها مرة أخرى أيام خير الدين أيضا فهزمهم الله و أسر المسلمون منهم نحو الثلاثة آلاف ثم غزاها الطاغية بنفسه** لما استولى المسلمون على برج

* بناحية بنى يزنانس على الحدود مع المغرب الأقصى
** الطاغية: الملك شارل الخامس

المرسى وذلك سنة ثمان وأربعين كما مرّ في زهاء سبعمائة سفينة فبعث الله ريحاً فكسرت أكثر مراكبهم ومن خرج منهم للبرّ قتل حتى أن الطاغية رجع في إثني عشر مركبا وكل هذا أيام خير الدين رحمه الله¹⁴⁸. وله لقبان الأول باشا كما هو معروف في نواب العثماني على الأقطار والثاني دولتلي. ونظير هذه الغزوات غزوة قسطنطين بن هرقل لما أخذت الإسكندرية واستولى المسلمون على كنيستها العظمى وقد كان المسلمون أخذوها قبل ذلك في خلافة عمر ثم رجع لها النصارى بعد ذلك أول خلافة عثمان فأخرجوا منها أيضا وخلف عمرو بن العاص ليتها كبيت الزانية تؤتى من كل جهة فلما سمع قسطنطين بهدم حصونها غزاها في ألف مركب في الشتاء ففرقهم الريح كلهم إلا مركبه نجا لصقلية فادخلوه الحمام ووثبوا عليه فقتلوه جزاء له على فعلته ، وغزوه في ذلك الفصل.

وغزا الجزائر أيضا الأنكليز في أيام رمضان باشا في ثلاثة وعشرين مركبا عظاما فرموا بالبونبة فلم يفد شيئا وذلك سنة احدى وسبعين وألف وغزاها الفرنسيين سنة ثلاث وتسعين وألف في خمسة وعشرين مركبا في ولاية حسن باشا ورموا بالبونبة فهدموا أكثر دورها وبعض مساجدها وكذا رموا على شرشال واقتنص المسلمون مركبا لهم فيه جملة من أكابرهم ففرحوا بذلك فرحا شديدا ورجع الكفرة بلا نيل ولم يحصلوا منها على طائل. ثم غزاها أيضا الفرنسيين في العام الذي بعده في أيام الباشا المذكور في زهاء ثمانين مركبا ورموا بالبونبة في ثالث الأيام من قدومهم فأتت قدرة بونبة بدار الامارة فضاقت مذهبهم وصالحهم من ساعته على أن تسرح لهم الاسرى بلا مشورة أحد من أهل دولته وعلى أن يبذل لهم ما صرفوه في تلك الغزوات ورجع أعداء الله مسرورين وبعد ذلك بيسير قتله الأتراك وولوا حسن باشا و كان قبل ذلك¹⁴⁹ يعرف بحسن رايس فبعث إلى اللعين من ساعته "إبعث أسارى المسلمين إن شئت تمام الصلح على أن لا شيء لك"، فلما سمع اللعين، غزاها من عامه فهدم منها نحو الثلاثمائة دار واستشهد فيها نحو الألفين، ثم رجع عدو الله من غير طائل ثم غزاها الإسبانيون سنة تسع وثمانين ومائة وألف في ولاية محمد باشا وخرجوا إزاء الحرّاش في البر وجعلوا أتراسا من حطب ولوح وغير ذلك وأوقدوا نار الحرب وباتوا ليلتهم في موضعهم فلما كان قبيل الفجر صبيحة يوم الأحد هزمهم الله ومات منهم ما لا يحصى عددهم إلا الله ورجعوا خائبين لم ينالوا خيرا واستشهد من المسلمين نحو أربعمائة جعلت لهم مقبرة بازاء عين الربط. وقد أتوا في هذه الغزوة في خمسمائة

¹⁴⁸ و هو خطأ، إذ وقعت حملة شارل كانت في ولاية حسن أغا خليفة خير الدين

¹⁴⁹ نسخة أ: قبل الإمارة

مركب وبقيت عظامهم ماثلة في رمال الحراش أعصرًا وقد حضر هذه الواقعة المنصور بالله أبو الفتوحات سيدي محمد بن عثمان باي معسكر فظهر من إقدامه واعتناؤه مقامات تعد من مفاخر دولته وذكر له آخر الأيام. ثم غزاها الاسبانيون أيضا سنة سبع وتسعين فهدموا باليونبة أزيد من مائتي دار وطلبوا الصلح فلم يجابوا ورجعوا خائبين ثم غزوها أيضا السنة التي بعدها فزحف لهم المسلمون في البحر وردّوهم على أعقابهم فرجعوا بلا طائل ثم جاءوا سنة تسعين من هذا القرن طالبين الصلح في الحال باذلين القناطير من الأموال بدخولها للتجارة لما آيسوا من الظفر وقدموا في ذلك عجلة من بيوتاتهم على عادتهم الذميمة لعنهم الله فانبرم الصلح بينهم وبين المسلمين كل ذلك أيام محمد دولتي مات رحمه الله سنة خمس ومائتين وألف أيام السلطان سليم بن السلطان مصطفى العثماني.

تتمة: أعلم ان السلطان الاكبر جد الملوك العثمانيين اهل كرسي إسلامبول الخاقانيين أهل الخلافة العظمى والسلطنة الكبرى والرتبة العليا أصله من التراكمة. تولي بلاد الروم شرقي الخليج بعد انقضاء دولته الطرطر (التتار) منه سنة ست وسبعين و ستمائة وهو آرطغرل بن سليمان شاه وقيل من ذريته أنوشروان وللسخاوي أنه من نسل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان جده سليمان ملك بلاد ماهان قرب بلخ من إقليم خراسان فلما ظهر الملك جنكزخان قرب بلاد بلخ فخرج سليمان شاه بخمسة آلاف بيت من التركمان عنها الى أرض الروم فمات بالفرات في طريقه وتفرق التركمان هناك. وقدم عثمان على علاء الدين السلجوقي فأذن له بالإقامة بأرض قروام والجهاد ثم تملك في التاريخ المتقدم لما ضعف علاء الدين ودخلت جنوده تحت إمره عثمان مات سنة ست وعشرين وسبعمائة. انتهى.

وخاقان علم على كل من ملك الترك كقيصر ملك الروم وكسرى ملك الفرس وتبع ملك اليمن وحضرموت والشجر والخنشوان لملك الهياطلة والنجاشي لملك الحبش وعابة لملك الزنج والسميدة لملك العمالة وفرعون والعزيز لملك القبط وجرجيس لملك البربر وجالوت لملك فلسطين وأمير المؤمنين لخليفة المسلمين وأول من تسمى به عمر بن الخطاب وقد قال الشاعر في بعض ما ذكر:

الدار داران أيوان وغمدان . والملك ساسان وقحطان
والارض فارس والإقليم بابل . والإسلام مكة والدنيا خراسان
قد رتب الناس كلا في مراتبهم . مرزبان وبطريق وطرخان

* هكذا في النسختين و لعله تصحيح لجعلة

ففي الفرس كسرى وفي الروم قيصر .°. والحبش النجاشي والأتراك خاقان وقال آخر:

ألم يكن ملك الله طرا .°. لاربعة في الارض متميزينا
تبع خاقان مع ابن كسرى .°. وقيصر ودع المتميزينا

تتمة أخرى : كانت اسطنبول في بدء أمرها قرية يقال لها بزنطة فلما ملك قسطنطين ودخل في دين نبي الله عيسى هو وأمه هيلانة كما مرّ، بناها ومدّنها، فكانت أعظم مدن العالم قبل الهجرة النبوية بنحو ثلاثمائة سنة و دامت للروم¹⁵⁰ إلى أن أخذها منهم الفرنج في خبر يطول آخر المائة السادسة ثم أخذها منهم كشكري الرومي وهو الذي عقد معه الصلح المنصور قلاوون ملك مصر والشام على يد رسوله ابن الضايح النحوي وأن كشكري أراه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملفوف في خرقة ذهب واستمر ملك بني كشكري بعده إلى الفتح الإسلامي في وسط القرن التاسع والله أعلم.

وأن رومة قاعدة الروم بنيت لأربعة آلاف وخمسمائة من مبدأ الخليقة وبناها من ملوكهم ملك اسمه روماش ابن برقاش طولها من الشمال إلى الجنوب عشرين ميلا في عرض اثنا عشر ميلا و ارتفاع سورها ثمانية و أربعون ذراعا في عرض عشرة أذرع واليها تنسب أمم الروم و كانت الهجرة النبوية لألف و مائة من بنائها و أن اليونانيين إخوة الروم انقرض ملكهم بأمرتهم "كلا بضرة"¹⁵¹ الحكيمة وقال الطبري مدّة ما بين تخريب يخننصر القدس وبين الهجرة ألف سنة ونيّف ومن ملك الأسكندر إلى الهجرة تسعمائة ونيّف وعشرين سنة وعمر النبي عيسى عليه السلام إلى رفعه اثنان وثلاثون سنة ومن رفعه إلى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة. انتهى.

محمد بكداش هو باشتها .°. قد فاق الأكفاء في الدهاء والرغس

يقال فاق أصحابه فوقا وفوقا علاهم بالشرف والفائق الخيار من كل شيء والفيقة ما يجتمع به ضرع الناقة وذو الفوق سيف معروف وفوق ملك من الروم نسبت إليه الدنانير الفوقية والفواق كالغراب الذي يأخذ عند النزع والريح التي تشخص من الصدر وما بين الحلبتين من الوقت أو ما بين يدك وقبضها على الضرع وقولي الأكفاء

¹⁵⁰ نسخة أ: سقطت: و دامت

* بنو كشكري يقال لهم Lascaris

** كلا بضرة : كيلوبترا Cléopâtre

أي المماثلين والكفو المماثل والتكافؤ الاستواء والدهاء المكر وجودة الرأي والجمع دهاة ودهوت كرضى دهيًا ودهاءٍ والداهية الأمر العظيم ودهى كغني العاقل والداهي الأحسن وقولي والرغس، الرغس النعمة والخير والبركة والنماء والجمع أرغاس والمرغوس المبارك والرجل الكثير الخير وبهاء المرأة الولود وأرغسه الله مالا أي أكثر وبارك فيه والمرغس كمحسن الذي ينفع نفسه والعيش الواسع وقد اجتمعت خصال الخير في محمد بكداش دولاتي وقد أتحف بالنعم والسعادة والرضوان وأي نعمة أعظم من فتحه لثغر وهران الذي فقدوه وعظم داؤه و منع فناؤه وحمت أرجاءه والدهاء اشتهر به رجال عظام في الجاهلية والإسلام. فالذي ضرب به المثل في الدهاء في الجاهلية قيس بن زهير العبسي، وفي ثقيف كثير كعروة بن مسعود وغيره و لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حنين كان معه الأقرع بن حابس التميمي و عيينة بن حصن الفزاري قيل لهما لم غزوتما وأنتما لم تسلما لأنهما كانا حينئذ من المؤلفة فقالا: لعلنا نصيب من سبي ثقيف جواري يلدن لنا أولاد دهاة وأما في الاسلام فيضرب المثل بإياس بن معاوية القاضي البصرة ونظائره وقد قالت العرب: أسخى من حاتم وأشجع من ربيعة بن مكرم هو من بنى فراس كابن غنم بن مالك بن كنانة قتله نبيشة بن حبيب الأسدي وأخباره مشهورة وأغرّ من كليب وائل ومّرّ لنا ذكره وأوفى من السموء بن عاديد اليهودي وخبره مشهور وأذكى من إياس بن ربيعة وأسود من قيس بن عاصم المنقري بطن من تميم ولما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط له رداءه وقال هذا سيد الوبر ولما مات قال فيه الشاعر

عليك سلام الله قيس بن عاصم . . ورحمته ما شاء أن يترحمها

وما هلك قيس كأن هلك واحد . . ولكنه بنيان قوم تهدما

وأمنع من الحارث بن ظالم وأبلغ من سحبان بن وائل وأحلم من أحنف بن قيس وأصدق من أبي ذرّ وأكذب من مُسَيْلَمَة وأعيبى من باقل وأنعم من حريم الناعم يقال أَشْكَم من الباسوس وأحمق من ذرعة وأمنع من أم قرفة كانت تعلق في بيتها خمسين سيفاً وأرتى من ظلمة وأبصر من زرقاء اليمامة الباسوس جارة جُساس بن مرة الشيباني ولها الناقة التي قتل بها كليب وائل وبها ثارت فتنة بكر و تغلب التي يقال لها حرب الباسوس وأم قرفة امرأة مالك بن حذيفة العِداري وكان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لمحارمها وكانت امرأة من بني عجل وزرقاء معلومة وظلمة امرأة من هذيل زنت أربعين سنة فلما عجزت عن الزنا قادت فلما عجزت اتخذت تيسا وعنزا فكانت تزني التيس على العنز ف قيل لها في ذلك فقالت حتى اسمع أنفاس الجماع. ومما ضرب به المثل قولهم قوس حاجب وقرط مارية وحجام سابط وشقاق النعمان

وندامة الكسيّ وحديث خرافة. هو رجل من بني عذرة سبته الجَنّ وكان معهم فإذا استرقوا السمع، أخبروه فيخبر به أهل الأرض فيجدونه كما قال. هكذا أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أمنا عائشة وقال لها أصدق الحديث حديث خرافة ومن أمثالهم القول ما قالت حذام ومواعد عرقوب هو رجل من العماليق وقولهم يوم حليلة ليس بسرّ وقولهم لتسمع بالمعيد خير من أن تراه وهو تصغير معد رجل منسوب إلى معدومن الأمثال قولهم فلان ما تفرع له العصا وأول من قرعت له العصا سعد بن مالك الكَتّاني ثم قرعت لعامر بن الضرب ومن أمثالهم وضع الشيء في غير موضعه ومنه كمستبضع التمر إلى هاجر. قال الشاعر:

فانا ومن يهدى القصايد نحونا . كمستبضع تمر إلى أهل خيبرا

ومنه ما تبض قطرة والبض أقل السيلان وقولهم الاجتماع داعية إلى الفراق ومنه

وكل أخ مفارقه أخوه . لعمر أبيك إلا الفرقدان

فجهز جندا من الأبطال حاصرها . أضحي لذلك حزب الكفر منبئس

يقال جهز الميت والعروس والمسافر أعطاهم ما يحتاجون إليه وقد جهزه تجهيزا فتجهز والجمع أجهزة والجند بالضم العسكر ويقال للأعوان أيضا وصنف من الخلق على حدة. وفي المثل أن لله جنودا منها العسل والأبطال مفردة بطل بالتحريك أي شجاع تبطل جراحته فلا يكثرث لها أو تبطل عنده دماء الاقران والجمع أبطال والحصص التضييق ومنه محاصرة العدو وأضحى بمعنى صار وحزب يقال للورد والطائفة والسلاح وجماعة الناس وجند الرجل وأصباحه و الذين على رأيه وأمر حازب وحزيب أي شديد والحيزاب الديك والبأس العذاب والشدة ومنبئس بمعنى معذب ضاقت عليه أحواله وأدبر إقباله قال الشاعر في عمر بن هند:

له يوم يؤسا فيه للناس أبأسا . ويوم نعيم فيه للناس انعم

فينبع يوم الجود من كفه النداء . ويقطر يوم البؤس من سيفه الدم

وفي حاشية السيد عند قول السعد في المطول هل عرفت الدار بالغريين، الغريان قبرا مالك وعقيل نديمي جذيمة الابرش سُمَيّا غريّين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذ خرج في يوم بؤسه كذا في الصحاح وقيل كان ينادمه رجلا من العرب خالد بن الفضل وعمر بن مسعود الاسديان فشرب معهما ليلة فتراجعوا الكلام فغضب وأمر أن يجعلا في تابوتين ويدفنا بظهر الكوفة فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بصنيعه فندم وركب حتى وقف عليهما وأمر ببنائهما وجعل لنفسه في كل

سنة يوم نعيم ويوم بؤس فكان يضع سريره بينهما فإذا كان يوم نعيمه فأول من يطلع عليه يعطيه مائة من الإبل وإذا كان يوم بؤس فأول من يطلع عليه يعطيه رأس ضربان وهو دُوبَيَّة منتنة الريح ويؤمر به فيقتل ويغري بدمه الغريان. انتهى.

وقال الشيخ الحسن اليوسي في كتابه "الزهر الاكم في الامثال والحكم" وكان عبيد ابن الابرس الشاعر المشهور طلع على النعمان في يوم بؤسه فلما أحس بالقتل قال أتيتك بحائن رجلاه والحائن الهلاك يقال حان الرجل يحين كباع يبيع بيعا إذا هلك فهو حائن وأحانه الله أهلكه وهذا المثل يضرب فيمن سعى إلى مضرته فلما رآه النعمان قال ألا كان الذبح لغيرك فأنشد عبيد:

لا غرور من عيشة نافذة . . . وهل غيرها ميتة واحدة
فأبلغ بني وأعمامهم . . . بأن المنايا هي الراصدة
فلا تجزعوا من حمام دنيا . . . فللموت ما تلد الوالدة

فقال الملك لا بد من الموت ولو لقيني أبي في هذا اليوم لذبحته، فاختر إما من الأكحل أو الأفجر أو الوريد فقال عبيد ثلاث خصال مقادها شر مقاد وحاديها شر محاد ولا خير فيها لمرتاد ثم قال:

وخيرني ذو بؤس في يوم بؤسه . . . ثلاثا أرى في كلها الموت قد برق
كما خيرت عاد من الدهر مرة . . . سحائب ما فيها لذي خبرة أنسق
سحائب ريح لم توكل ببلدة . . . فتركها إلا كما ليلة الطلق

فأمر به فذبح. ولما دخل ابن زياد الكوفة فسمع به عقيل تحول إلى دار هاني ابن عروة المرادي فدلّ عليه محمد الأشعث بن قيس فلما نظر ابن زياد قال عقيل اتيتك بحائن رجلاه.

فكان حين أزن حسن نزاولها . . . وفائق مصطفى ذو الحزم والفرس

يزاولها يعالجها ويحاربها كما قال الشاعر وقال وأيديهم أرسوا نزاولها وفائق بمعنى عظيم السبال ومصطفى هو باي الأيالتين كانتا قبله لأمرين مستقلين: مازونة و تلمسان و أزن بمعنى طويل وحسن هو صهر الباشا المذكور ووزيره وكان شهما شجاعا عارفا بمكايد الحرب ودسائسها طالبا لمعالي الأمور مغتنما لنفائسها والسبال بكسر السين هو طول شعر الشارب ولم يسمع عند العرب استعمال هذا اللفظ فيه يعني لفظ فائق نعم. قال في القاموس فياق ككتاب وغراب الطويل وإنما الذي سمع فيه هو السبال فقد قال في القاموس السبلة الدائرة في وسط الشفة العليا أو على

الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين إلى أن قال والجمع سبال انتهى. والحزم هو ضبط الأمور والأخذ فيه بالثقة والفرس بكسر الفاء مفردة فراسة بالكسر أيضا وهي إصابة الظن وجودة الذهن وحسن التفطن وأما الفراسة بالفتح فهي ثبوت على الخيل قال في القاموس الفراسة بالكسر اسم من التفريس بالفتح الحذق بركوب الخيل والذي يضرب به المثل في الفراسة بالكسر إياس بن ربيعة وفي الفراسة بالفتح ربيعة ابن مكرم مع زيادة كونه أشجع أهل زمانه. ومن لطائف الفراسة أن أبا نائلة رضي الله عنه لما ذهب ليلا مع نفر لقتل كعب بن الأشرف المشهور بالأذى للمسلمين فناداه فسمعت الصوت امرأته فقالت له لا تخرج هذا صوت يقطر منه دم فقال لها هو صوت أخي أبي نائلة، إني رضعت معه أمه، لو وجدني نائما ما أيقظني فقالت ستري فخرج له فوجده مع جماعة من الأنصار معهم السيوف فقال ما هذا؟ قالوا نرهنها لك في الزرع والثمر ثم تنحوا به إلى موضع وكان آنذاك عروسا وأكثروا شمه وهم يقولون له ما أعطرك فاحتضن أحدهم رأسه لظنه أنه يشمه فضربه آخر فقلته ثم جزوا رأسه وذهبوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت صلاة الصبح فلما رآهم صلى الله عليه وسلم قال أفلحت الوجوه ومن الفراسة الصائبة أن عمرا بن الخطاب رضي الله عنه وجد امرأة في سوق المدينة تبيع اللبن وبجنبها عجوز بلبنها تبيعه أيضا فقال للشابة هل فيه غش فقالت لا وقال للعجوز فقالت لا فقالت الشابة بل مذقنة ونهيتها يا أمير المؤمنين البارحة عن ذلك وحذرتها منك فأبئت فأهرق لبن العجوز ثم ذهب إلى ابنه عاصم فقال اذهب إلى تلك المرأة التي تبيع اللبن ان كانت لا زوج لها، تزوجها فلعل الله يرزقك منها ذرية صالحة فسألها عاصم فاخبرت بأنها لا زوج لها فتزوجها فولدت له أم عاصم فتزوجها لعبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز. ومن الفراسة أن شيخا كبيرا زعم أنه رأى هلال رمضان وفي القوم أصغر سنا منه فلم يروه فانزله إياس بن ربيعة القاضي ونظر في وجهه فرأى شعرة من حاجبيه بيضاء انحدرت على صورة الهلال على عينه فجعل على أصبعه بللا ولبدها مع شعر الحاجب ولم يفهم الشيخ ذلك ولا أعلمه بصنعه له ثم قال له أرني الهلال فلم ير شيئا وحلف أنه كان قد رآه يقينا فلما أخبره إياس بالقصة رجع عن قوله وعلم أنه خيل له.

وكان بكداش دولاتي لما جهز العساكر لحرب وهران عقد عليهم لصهره ووزيره أزن حسن فكان تدبير أمر الجيوش و تدبير الحرب انما يصدر عنه و عن الباي محي الدين مصطفى بن يوسف رحمهما الله وأنجح سعيهما ونما ربهما.

تنبيه: كانت العرب لا تعرف الوزير وكذا غيرها من الأمم وإنما المعروف عند ملوك التبابعة تسميته بالقييل وهو الذي أراد الحلفاوي رحمه الله حيث قال في الباي مصطفى وهو من الاقيال فائق مصطفى والمعروف عند أهل المغرب تسميته بالقايد و أما غير العرب من ملوك العجم فبعضهم يعبر عنه بالمزبان و بعضهم بطرخان و بعضهم بالأسوار وبالبطريق إلى غير ذلك وأول من تسمى بالوزير أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني وزير السفاح ولم يكن هذا الاسم قبل ذلك في دولة بني أمية ولا غيرها. وكان السفاح يأنس به كثيرا لأنه كان ذا مفاكهة حسنة صاحب سياسة وتدبير وكان ذا يسار أبذر أموالا كثيرة في إقامة دولة بني العباس وأبو مسلم يومئذ تبع له وقد بعث أبو مسلم من خراسان إلى السفاح يعرفه بفسادنية أبي سلمة وميله إلى العلويين وحرضه على قتله فبعث السفاح لأبي مسلم يقول له هذا رجل بذل ماله في خدمتنا وفصحنا وقد صدرت منه هذه الزلة فنحن نغفرها له فلما رأى أبو مسلم ذلك فدرس له من قتله لأربعة أشهر من ولاية السفاح وكان يقول وزير آل محمد والوزير المعين القائم بوزر الأمور وهو ثقلها لأنها مشتقة من الوزر، وهو الحمل لأن الوزير حمل من السلطان الثقل هكذا قال ابن قتيبة وقال الزجاج أنها مشتقة من الوزر وهو الحبل الذي يعتصم به لينجو من الهلاك لأن الوزير يعتصم السلطان برأيه ويوقف عند قوله.

ومن لطائف الأمراء ودقة تفرس الوزراء أن عليا بن منقذ الملقب شديد الملك كان توزر صاحب حلب وهو تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس فجرى بينهما أمر، خاف شديد الملك بسبب ذلك على نفسه من الملك محمود، فخرج إلى طرابلس الشام وصاحبها جلال الملك فقام عنده فقال محمود بن صالح يوما إلى كاتبه أبي نصر: اكتب إلى شديد الملك كتابا استعطفه واستدعيه وأمنه ففهم الكاتب غرضه، إنه قصد مكرًا وكان الكاتب صديق شديد الملك فكتب كما أمر إلى أن بلغ إن شاء الله تعالى فشد النون وفتحها فلما وصل عرضه على صاحب طرابلس ومن معه فأعجبهم تعطفه عليه فقال أنى أرى في الكتاب ما لا ترون ثم أجاب عن الكتاب كما اقتضاه وزاد أنا الخادم المقر بالأنعام و كسر الهمزة من أنا وشدّ النون فلما وصل الكتاب إلى محمود وقف الكاتب عليه و سرّ بما فيه وقال لأصدقائه قد علمت أن الذي كتبته لا يخفى عليه وقد أجاب بما طيب نفسي وكان الكاتب قصد قوله تعالى "إن الملائكة يأتون بك ليقتلوك" وأجابه بقوله تعالى "إنا لا ندخلها أبدا ما داموا فيها" فاعجب منهما. ولما ولى عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان على الشام موضع أخيه يزيد بن أبي سفيان رحمهم الله قال "لما أردت السفر أوصاني أبي ثم دخلت على أمي فأوصتني

أيضا فعجبت من اختلاف لفظهما واتفاق معناه" ومن اللطائف أن أبا عمر جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح العذري قال لراوي شعره كثير عزة يوما من أين أقبلت؟ قال من عند محبوبتك بثينة. قال وأين تمضي؟ قال لعزة قال لا بد أن ترجع تأخذ لي موعدا من بثينة. فقلت استحي أن أرجع عن قريب فقال لا بد من ذلك؟ قلت متى عهدك؟ قال من أول الصيف وجدتها جالسة عند جاريتها وهي تغسل لها ثوبا أسفل وادي الدوم قال فرجعت إليها فقال لي أبوها ما ردك يا ابن أخي فقال قلت أبياتا عرضت فأحببت أن أعرضها فقال هاتها فأنشدت وبثينة تسمع :

فقلت لها يا عزة أرسل صاحبي .: إليك رسولا ولا الرسول موكل

بأن تجعللي بيني وبينك موعدا .: وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل

وآخر عهدي منك يوم لقيتني .: بأسفل واد الدوم والثوب يغسل

قال فضربت جانب خدها وقالت : يأتينا أخشى ، أخشى. فقال لها أبوها : "ممن يابثينة". قالت : كلنا يأتينا إذا نام الناس من وراء الرابية * ثم قالت للجارية : إيتنا من واد الدوم حطبا لندبح لكثير شاة و نشويها له. فقال كثير: أنا أعجل من ذلك و راح إلى جميل فأخبره فقال له : الموعد واد الدوم و خرجت بثينة إليه و جاء جميل إليها فما برحا حتى برق الصبح فقال كثير: ما رأيت مجلسا أحسن من ذلك المجلس ولا رأيت أفهم منهما. وكان منزل جميل واد القرى وروى جميل عن الهدبة بن خرشم و هدبة عن الحطيئة عن زهير و ابنه كعب و من شعر جميل :

وخبرتmani ان يتمادى منزل .: لبثن إذا ما الصيف القى المراسيا

فهذه شهور الصيف عناق انقطعت .: فما للنوى يرمي ببثن المراسيا

ومازلتم يا بثن حتى لو أنني .: من الشوق استبكي الحمام بكاليا

مازادني الواشون الاصابة .: ولا كثرة الناهين الا التماديا

ألم تعلمي يا عذبة الربق أنني .: أضل إذا لم ألق وجهك صاديا

لقد خفت أن ألقى المنية بغتة .: وفي النفس حاجة إليك كما هيا

ففتحت عنوة في تسع عشره .: من بعد سكني ره والدين في وكس

الفتح في الأصل ضد الغلق ثم استعمل للماء الجاري وللنصر ولافتتاح دار الحرب و العنوة القهر وقولي في تسع عشره أي القرن الثاني عشر لأننا بصدده وناسجين في

* الرابية = الربة

درجه من غزوة الملك إسماعيل إلى هنا وقولي¹⁵¹ (من بعد سكناهم) أن الكفرة فتحت مدينتهم وهران عنوة وأذهبهم الله منها من بعد سكناهم بها لفظ الراء وهو مائتا سنة ولفظ الهاء خمس سنين و قولي والدين في وكس أي الدين في نقص من ذلك الثغر لأن الوكس هو النقص وفي الحديث لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط أي لا نقص ولا زيادة. ووكست فلانا نقصته وبريت الشجة على وكس إذا بقي في جوفها شيء وفي القاموس الوكس النقصان والتنقيص لازم متعدد الخ ... ويقال أن السلطان سيدي محمد بكداش مات إثر فتحها بقليل لقد كان رحمه الله نادرة الزمان وقبلة الإحسان من المحبين للجهاد الحاصدين لشوكة أهل البغي والعناد. لقد وفر بهذا الفتح أجرا، اتخذته عند الله دخرا. وكان أول ما فتح من حصونها برج العيون وأما برج المرسى فلم يفتح إلا بعد فتحها وفتح سائر حصونها

تنبيه: اختلف في أرض المغرب فقل أفتتحت عنوة و قيل صلحا و قيل الفرق بين جبالها ووهادها.

فالأول صلح والثاني عنوة. قال بعضهم وظاهر كلام ابن أبي زيد أن بعضها عنوة وبعضها صلحا وهذا التفصيل هو المختار و قال بعض الشيوخ أرض العنوة كل ما صار للمسلمين بقهرهم الكفار و غلبتهم إياهم سواء دخل عليهم المسلمون إليها أو هربوا منها و تركوها قال و أرض الصلح هي التي حاصر المسلمون أهلها حتى صالحوا على أنفسهم بشيء أعطوه أو جزية التزموها على أن أرضهم تبقى بأيديهم و إما أن أعطوا على تأمينهم من القتل أو على أنهم لا يخرجون من أرضهم فليس تلك البلاد بلاد صلح يريد كأنها في هذين القسمين داخلة في العنوة. ومن الأرض التي أسلم عنها أهلها بلاد المصادمة و هي جبال درن^{*} وما حولها و مراکش و ما حولها و أغمات و ما حولها و الحكم فيها: فما كان منها معروف بشخص معين فهو له يتصرف كيف شاء و ما كان بخلاف ذلك فالإمام يتولاه و يقطعه لمن يراه أهلا له و بلاد البربر و السواحل و افريقية جهل الناس أمرها فتوقفوا حينئذ في حكمها و أن الإمام هو المتولى لأمرها أيضا و روى عن الإمام مالك إن المغرب فتح عنوة و من أكل منه شيئا و لم يؤد للسلطان فقد أكل الحرام

أوضحت مراتع للأنام وقد . . . كانت بها طببات الأنس في دنس.

أوضحت أي صارت و مراتع موضع الرتع من رتع كمنع رتوعا و رتعا و رتاعا بالكسر، أكل و شرب ما شاء في خصب وسعة أو هو الأكل و الشرب رغدا و جمل

¹⁵¹ نسخة أ: سقطت هذه الجملة
* جبال درن: الأطلس الكبير بالمغرب الأقصى

راتع من إبل رتاع و رتع كركع و رتع بضميتين و رتوع و قد أرتع فلان إبله و قولي نرتع و نلعب أي نرتع نحن دوابنا و نلعب هو قولي بالعكس أي يرتع هو دوابنا و نلعب جميعا و قولي بالنون فيهما و الأمن ضد الخوف و الأنام كسحاب و أمير الخلق أو الجن و الإنس و جميع ما على وجه الأرض و المراد بالآنام هنا المسلمون بدليل السياق و الأنس البشر الواحد إنسان و الإنس بالضم و بالتحريك و الإنس محركة ضد الوحشة و الونس محركة ضد الوسخ و كفرج للثوب و العرض بكسر العين و الخلق و لا يخفى ما في إضافة مرتاع للأمن من المجاز و فيه استعارة بالكناية مع التخيلية و ليس هو من المجاز المرسل لأن العلاقة هنا المتشابهة لأنا شبهنا في أنفسنا الأمر بشخص يأكل و يشرب ما شاء و أثبتنا الرتع الذي هو من لوازم المشبه به تأمل. و هذا على قول من الأقوال الثلاثة المعلومة هنا و مما ينبغي إدراجه هنا في هذا الطرس و ينخرط في جملة طبيبات الأنس، إن الوزير الحسن بن هارون المهلبلي كان ينادمه أربعة من قضاة الامصار من العلماء الكبار أهل الحديث و الأدب و الكرم و الحسب أولهم القاضي محمد ابن أبي الفهم التنوخي قاضي البصرة و الأهواز و القاضي أبو بكر بن قريعة و ابن معروف و آخرهم لم أقف على إسمه، كانوا يجتمعون عند هذا الوزير في كل أسبوع ليلتين على البساط الفائق و الفراش الرائق و ما منهم إلا أبيض اللحية طويلها فإذا تكامل أنسهم و طاب مجلسهم و هبوا ثواب الوقار للفقار و تقلبوا بين أصناف العيش و الخفة و الطيش و قد وضع في يد كل واحد منهم طاس من ذهب فيه ألف مثقال مملوءا شرابا قطر بليا و كل واحد يغمس لحيته فيه و يرش بعضهم بعضا و يرقصون و قد لبسوا المصبغات فإذا أصبحوا عادوا لهيئة القضاة و زي العلماء و قد كان التنوخي منهم و قد عزل مرة عن قضاء بغداد لما وليه بعد قضائه في البصرة و الأهواز فوفد على سيف الدولة ابن حمدان فآكرم مثواه و أحسن قراه و كتب في ما معناه: إلى حضرة بغداد حتى أعيد إلى عمله و زيد في رتبته و رزقه. قال الشاعر:

أجد طبعك الموصوف بالجدّ راحة . عليه وعوده بشيء من المرح

و لكن إذا أعطيته المرح فليكن . على قدرها يعطى الطعام من الملح

و من بديع شعر أبي الحسن على الغراب رحمه الله:

و قد واعدتني الكأس تمليك وصله . وواعدتها تمليك عقلي بميثاق

فما زال كأس الراح ينفق كنزه . و تنفق كنز العقل أوسع إنفاق

إلى أن غدا كل من المنفقين من . فراغ كلا الكنزين في حال إملاق

و حين دانت تلك الوعود و أورقت .°. غصون الوفاء من وعدنا إلى أوراق
و ملكت للصهباء عقلي و ملكت .°. يميني يدًا الصهباء من ذاك اتساق
خلعت¹⁵² ثياب الخزعنه و طوقت .°. به جيده و ألتفت الساق بالساق
و ما سمعت في صيغة الدنيا و الميل إلى طيباتها و محبوبات انسهما أبلغ من قول
القائل ،

نراع بذكر الموت في حين ذكره .°. و نفترض الدنيا قبلهما و نلعب
و نحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها .°. و ما كنت منه فهو شيء محبب
فذكر أن الإنسان ابن الدنيا و ما كان منه فهو محبب و كان المأمون يقول: "لو
وصفت الدنيا بنفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس:

ألا كل حي هالك وآبن هالك .°. و ذو نسب في الهالكين غريق
إذا إمتحن الدنيا لبيب تكشفت .°. له عن عدو في ثياب صديق
و ما أحسن ظنه بربه حيث قال:

تكثر ما استطعت من الخطايا .°. فإنك بالغ رباً غفورا
ستبصر إن وردت عليه عفوا .°. و تلقى سيذا ملكا كبيرا
تعرض ندامة كفيك مما .°. تركت مخافة الزمهريرا
و كان بعض الأولياء لما حضرته الموت حلف بالله الذي لا إله إلا هو: "يا مولاي
حتى تغفرلي لأنك تجد من تعذبه غيري و لا أجد من يرحمني سواك".
قدمه بعد عشر استقل بها .°. بغاية حادث كالعدو و للفرس

العدو معروف و فيه إستعارة مكنية و عثر كضرب و نصر و علم و كرم، عثرا و
عثيرا و عثارا و تعثرا كبّ هكذا في القاموس و قال في خلاصة الحكم عثر يعثر عثرا و
عثارا و معثرا كبّ و زاد عثر الرجل يعثر عثورا و عثر الفرس عثارا و عثرت على
الأمر أطلعت عليه و أما العثير بكسر العين و بياء فهو الغبار و منه قول أبي الطيب
المتنبي:

عقدت سباكبها عليها عثيرا .°. لو تبتغي عنقا عليه لأمكننا.

و من لطائف العلامة في شرح المفتاح العثير الغبار و لا تفتح فيه الغين و بيان
لطافته أنه لفظ مشترك بين الجارحة و الفتحة التي هي ضدّ الكسرة و نهاك عن كل

منهما واحدة لإصلاح بَدَنك و الأخرى لإصلاح دينك لسانك. و إستقل أي إستبد بها و تميز و آطمأن و الغاية ضد المبدإ و العدو جري الفرس و أما العدا بالكسر ففي الصحاح أنه المولات بين الصيدين يصرح أحدهما على إثر الآخر، قال امرؤ القيس.

و يَعدُّ و أعداءً بين ثور و نعجة .: دراكاً و لم ينصح بماء فيغسل.

و الفرس للذكر و الأنثى و الجمع أفراس و فروس وراكبه فارس أي صاحب فرس و هما كفرسي رهان يضرب إلى إثنيين يستبقان إلى غاية يستويان و هو التشبيه في الإبتداء لأن النهاية تجلى عن السابق لا محالة. و في كتاب العقد لابن عبد ربه أن نبي الله سليمان بن داود عليه السلام و فد عليه للقدس أمها أصهاره الأرد فلما أرادوا الرجوع قالوا له "يا نبي الله إننا بيننا و بين أهلنا مهمة و مفاوز فلا بدّ لنا من زاد فاعطاهم فرسا كان يسميه أعوج و قال لهم إن احتجتم لغذاء يركب عليه أحكم فإنه ما من صيد يراه إلا اقتنصه ففعلوا ذلك حتى أتوا أهلهم و نسلوا من ذلك الفرس كثيرا حتى قيل إن خَيْلَ العرب كلها من نسله ولذلك قال الفرزدق في عمر بن هبيرة الفزاري عامل العراق لما حبسه خالد بن عبد الله القسري في سرب تحت الأرض و هرب منه من العراق إلى دمشق في يوم و ليلة.

و لما رأيت الأرض قد سدّ ظهرها .: ولم يبق إلا بطنها لك مخرجاً ناديت الذي ناداه يونس بعدما .: ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا فسرت من العراق للشام ليلة .: ولم يسر سار مثلها حين أدلجا نجوت و لم تمنن عليك طلاقه .: سوى حثك التقريب من آل أعوجا

و يقال إن داحس من نسله و قصتها مشهورة عند العرب و ذلك أن صاحبها قيس بن زهير العبسي تراهن مع صاحب الغبراء حذيفة بن بدرّ الذيباني على عشرين بعيرا و جعلوا الغاية مائة غلو و المضمار أربعين ليلة فاجرى قيس داحسا و حذيفة الغبراء فوضعت فزارة رهط حذيفة كميئاً في الطريق فردوا الغبراء و لطموها و كانت سابقة فهاج الحرب بسبب ذلك بين عبس و ذيبان أربعين سنة و من أيامهم المشهورة في تلك الحروب يوم هباب قتل فيه حذيفة و أخوة حمل، و في ذلك يقول القيس بن زهير قاتلتهما في مريثته لهما.

شفيت غليلي من حمل ابن بدر .: و سيفي من حذيفة قد شفاني قتلت باخوتي سادات قومي .: و قد كانوا حُلّي الزمان فإن شفيت بهم غليلي .: فلم أقطع بهم إلا بناني

و كان سبب الصلح بينهم أن الحارث بن عوف المري قال لخارجة بن سنان إن خطبت أحدا من العرب تراه يردني فقال نعم. قال يا ويلك من يردني و انا سيد قيس بلا مدافع. قال خارجة بن أوس بن حارثة الطائي. قال له: و هل له بنات قال نعم قال له ثلاثة قال الحارث إذهب بنا إليه فسارا له في أرضه فوجداه في ساحة أهله فسلم عليهما و رحب بهما و قال ما حاجتكما. قال له أردنا مصاهرتك فأبى فذهبا من عنده. فقال خارجة فكنت أكثر الالتفات إلى جهته و الحارث لم يرفع رأسه كأن عليه الطير و هو في غيض ثم أن أوس دخل إلى بيته فقالت له زوجته: من النفر الذين وقفوا عندك و انصرفوا؟ فأخبرها فقالت له: ألك إرادة في نكاح بناتنا، قال لا بدّ من ذلك. قالت و أي رجل يكافيك مثل سيد العرب الذي رددته اليوم لا بدّ أن تمضي إليه قال و كيف و قد سبق مني. قالت أسبقه في الطريق و اعتذر له بأن غضبك كان لأمر سبقه فلحقه. قال خارجة فالتفت فإذا بالفارس راكضا نحونا حتى نزل بين أيدينا و اعتذر للحارث و ردّه فوجه أصغر بناته فلما أراد بها أهلها مدة إقامتها عند أبيها فقالت له عند أبي و أمي ثم زف بها و أراها في الطريق فقالت أكون مثل الأمة المجلوبة بأيدي التجار فلما وصلوا بها إلى بيته أراها في بيت البناء قالت: كذب من يقول أنك سيد العرب قال و لمّ، قالت تشتغل بالنساء و العرب في الحرب الشديد و الهول المزيد. فحينئذ قال لخارجة بن سنان: اذهب بنا لعيس و ذبيان لنصلح بينهما فتحمل بديّات الفريقين و كانت ثلاثين ألف بعير ووقع الصلح بينهما فمن ثم قيل له صاحب الحمالة و لما وفد على رسول الله بعد ذلك ضاعف في إعطائه فوق العادة التي كانت مع الوفود. و أوس هذا هو الذي ملكه كسرى على العرب بعد النعمان بن المنذر و صاحب غزوة ذي قار. قال الشاعر في صلح الحارث المذكور

سعى ساعي غيض ابن مرّة بعدما . . . تنزل ما بين العشيرتين دم
فاقسم بالبيت الذي طاف حوله . . . و جال بنوه من قريش و جرهم
يمينا لنعم السيدان و جدتهما . . . على كل حال من سجيل و مبرم
تداركتما عيسا و ذبيان بعدما . . . ذاق بينهما عطر منشم

السيدان الحارث بن عوف و خارجة بن سنان و عطرا منشم مثل للملاح العظام.
و أصله أن امرأة يقال لها منشم خزاعية تعمل قصعة طيباء في حربهم مع جاره
جرهم، تضح به من يفر. كما قالت الشموس بنت غفار الجريسية لقومها.

و دونكم عطر العروس تضحوا . . . فانتم نساء للتعطر و الكحل

حكم الإله كما ترى قدره . لو شاء ما ملكوها عشر النفس

يقال شرب فلان الماء من غير النفس أي من غير أن يبينه* عن فيه و شرب بثلاثة أنفاس فأبانه عن فيه في كل نفس و في شمائل الترمذي: كان صلى الله عليه و سلم يتنفس في الإناء مرتين وفي طريق أخرى ثلاثا أي بعد أن يبينه عن فيه بدليل ما في البخاري: أنه صلى الله عليه و سلم نهى عن التنفيس في الإناء و يقال نفس أو نفسين أي لو شاء الله ما ملك النصارى وهران عشر نفس و قدروى ما من ساعة و نفس يمر على الإنسان و لم يكن فيه ذاكرة و متفكرا إلا كان عليه ترة يوم القيامة. قال السيوطي و معنى ترة حسرة. لطيفة: بعث ملك الروم و اسمه لاون بن طبالوس إلى عبد الملك بن مروان أن يبعث له عالما من علماء المسلمين ففكر في ذلك فقال مالها إلا الشعبي فبعثه إليه فآكرمه ملك الروم ثم جالسه يوما و قال له أتدري لم بعثت لكم. قال الله أعلم. قال: لأجل أن أسألك على ثلاثة أشياء قال: سل عما بدا لك. قال بلغني أن أهل الجنة يأكلون و يشربون و لا يتغوطون و لا يببولون. قال الشعبي نعم. قال الملك: أرني مثالا لذلك ظاهرا حتى لا يبقى عندي شك. قال الشعبي: أرأيت الجنين في بطن أمه يأكل و يشرب و لا يتغوط و لا يببول فلو لم يأكل مات و لو تغوط قتل أمه ثم قال له: بلغني أن خزائن الله تنتفع بها الخلائق كلهم و لا ينقص منها شيء. قال الشعبي: هو كذلك. قال الملك أرني مثال ذلك قال له أرأيت الشمعة يوقد منها أكثر من أن يحصى و لا ينقص من نورها شيء. و كذلك الشمس ثم قال له بلغني أن الملائكة يسبحون الليل و النهار و لا يفترون أبدا قال الشعبي نعم قال أرني مثال ذلك قال الشعبي مثل نفس الإنسان يصعد في جسده و يهبط لا يفتر في نومه و أكله و غير ذلك فأستحسن أجوبته و أجازة إجازة سنية فلما أذن له في الرجوع كتب له كتابا للخليفة فلما قرأه عبد الملك وجد فيه عجباً لقوم فيهم مثل هذا الشعبي و يولون غيره أمرهم. قال له: يا شعبي كتابهم حرضوني فيه على قتلك فقال: يا أمير المؤمنين انما ذلك لعدم حضورك عندهم و لو رأوك ما عظموني ثم قال له الشعبي: كم عطائك فقال له ألفين ففطن لها عبد الملك و علم أنه لحن ثم قال له: كم عطاؤك فقال الشعبي ألفان. قال له عبد الملك لم قلت أولا ألفين و قلت ثانيا ألفان قال له: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لي أن أعرب و تلحن أنت، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

تعلم فليس المرء يولد عالما . و ليس أحق علم كمن كان جاهل

* يبينه عن فيه: أي يبعده عن فمه

فان صغير القوم ان كان عالما .: كبير اذا التفت عليه المحافل
و إن كبير القوم و ان كان جاهلا .: صغير إذا ردت إليه المسائل
و مرّ الشعبي يوما بجماعة يقذفونه فقال متمثلا بببيت كثير عزة.
هنيئنا بريئنا غير داء مخامر .: لعزة من أعراضنا ما استحلت.
من بعد عشر و عشر ثم أربعة .: عادوا إليها قرة أعين التعس
فملكوها بلا كبير ملحمة .: لكن في الأولى بخدمة منخيس

يعني الكفرة أهلكهم الله عادوا إلى وهران سنة أربعة و أربعين و مائة و ألف بعد
خروجهم منها سنة تسع عشرة و هو معنى قولي من بعد الخ.. و سنة خروجهم منها
خارجة عن العدد المذكور تأمل. و التعس الهلاك. يقال رجل تعس و تاعس و الجمع
تعس و أصل التعس الكؤب و هو ضد الانتعاش. و الملحمة القتال. و قال سعد بن
عبادة رضي الله عنه اليوم يوم الملحمة و ذلك في غزوة فتح مكة و كان من خبر
دخولهم لها هذه المرة الثانية أهلكهم الله أنهم زحفوا لها في مراكب كثيرة و أرسوا
بمرسى الحريشة* غربي وهران ثم خرجوا للبرخيلا و رجالا في عدة و عدد و قوة و
مدد. و قد زحف إليهم مصطفى بن يوسف باي المتقدم الذكر في نحو أربعة آلاف فلم
يكن له بهم طاقة و لقد أخبرنا شيخنا الأكمل و أستاذنا الأمثل خاتمة اهل التحقيق
و أعمدة أهل التوفيق الشيخ سيدي عبد القادر بن عبد الله المشرفي شرف الله في
الجنان مكانه و أحله من الفردوس ميطانه و كان حاضرا لتلك الوقعة أن الكفرة لما
تكامل عسكرهم في البرّ و بقي جل مدد هم في البحر: لم يعملوا صفا للقتال و لم
يطلبوا مجادلة الرجال و إنما زحفوا للبلد بجميع الرجالة و الفرسان و هم كهيئة
الرحى في الدوران، بارودهم كرعد متصل و رصاصهم كمطر منهطل لا يستطيع أحد
قربهم و لا يكر شجاع نحوهم و المسلمون يجعلون أمامهم و ما حمل عليهم من
المسلمين إلا قليل. و مع ذلك لم يرجع منهم إلا القليل و أن الباي مصطفى سقط ذلك
اليوم عن فرسه لشدة تحريضه على الجهاد و كثرة عدوه و كتائب بني عامر واقفون
و للمسلمين خاذلون فلم يصلوا المدينة حتى خلاجوها و هرب ساكنها و هذا معنى
قولي بلا كبير ملحمة و أخبرني الشيخ المذكور أنهم لما ظهوروا أولا نحو الحريشة* و
اجتمع المسلمون على ذلك الساحل فصاروا يرمونهم بالكور حتى كشفوهم عن شاطئ
البحر و قال : و أول كورة أتت من أعداء الله نزلت مني في الأرض بقدر ذراع أو باع
و قولنا لكن في الأولى الخ: أي أن أخذهم لوهران المرة الأولى في أول العاشر كما مرّ،

* الجريشة : شاطئ يقع بين رأس فالكون و المرسى الكبير حسب المصادر الإسبانية و ليس ميناء.

إنما كان بخداع و مكر و احتيال لا بحرب و قتال و ذلك أن برج المرسى أخذه بمكر يهودي و المدينة بعد ذلك بسنين إنما دخلوها بمكر و غدر و نقض ميثاق بين المسلمين و بينهم كما وقع ذلك لأهل مالقة قبلهم. يحكى أن أهل مالقة وقعت المهادنة بينهم و بين الكفرة على ثمانية عشر شرطاً فكلها نقضوها و من ورائهم نبذوها و المنخيس الغادر. يقال خاس به يخيس إذا غدر به و فلان خاس بعهد فلان أي نكث و خيسة تخيلاً أي ذلك و منه المَنخيس و هو اسم سجن بالعراق أي موضع التذلل و معلوم عند العرب أن الغدر أوله عار و عاقبته بوار.

و لما أضمرت قبيلة جريس الغدر بإخوانهم طسم لجور الملك عَمَلُوق الطمسي عليهم و عزموا على الفتك بهم حذرتهم الشموش بنت غفار الجريسية و قالت لأخيها الأسود لا تفعل. فابي فاستأصلوا طسم بالقتل و السبي و قد نجا منهم رجل يقال له رفاع و هو أخ رزقاء اليمامة المشهور فاستصرخ بحسان بن تبع أحد ملوك اليمن فزحف إلى جريس فأبادهم إلى آخر الدهر. و لما بعث رسول الله عليه و سلم أهل بئر معونة إلى بني سليم يعلمونهم القرآن فلما علم بذلك عامر بن الطفيل حشر لهم رعل من قبائل سليم و ذكوان و بني لحيان و بني عصىة فقتلوا أهل بئر معونة كلهم فلما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم دعا عليهم فذثروا و تلاشوا و خمل ذكرهم و انقطع دابرهم بسبب دعوة رسول الله صلى الله عليه و سلم و دعا بعد ذلك على عامر فأخذته غدة كمام.

و قولنا قرة أعين الخ.. فإنهم أحبوها و أحببتهم و من أقاصي الأبحر جلبتهم أدامها الله الآن للإسلام و قطع رجاءهم منها على الدوام. قال في العقد وفد مصعب بن الزبير بوجوه أهل العراق على أخيه سيدنا عبد الله بن الزبير فلما استقر بهم المجلس قال مصعب: يا أمير المؤمنين هؤلاء رؤوس العراق أتيت بهم إليك تواسيهم من مال الله. قال جئتني بعبيد العراق لأعطيهم من مال الله. و الله لا فقلت و رددت. و الله إن لي بهم من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم. قال عبید الله بن ضبيان: أتدري ما مثلنا و ما مثلك فيما ذكرت قال و ما ذلك مثلنا و مثلك و مثل أهل الشام كما قال أعشى بكر بن وائل.

علقتها صرفاً و علقت رجلاً. غيري و علق أخرى ذلك الرجل

أحببناك نحن و أحببت أنت أهل الشام و أهل الشام أحبوا عبد الملك بن مروان ثم انصرفوا من عنده خائبين، فكاتبوا عبد الملك بن مروان و غدروا بمصعب بن الزبير رضي الله عنهما. و من لطائف الاشعار في المحبة قول ابي المطاع ذي القرنين حمدان بن ناصر الدولة التغلبي.

إني لأحسد لا في أسطر المصحف .: إذا رأيت اعتناق اللام و الألف
و ما أظنهما طال اعتناقهما .: إلا لما لقيا من شدة الشغف
دخل الشبلي يوما على شيخه الجنيد رضي الله عنهما فوقف و انشد
عودوني الوصال و الوصل عذب .: و رموني بالصدّ و الصدّ صعب
لا و حق الخضوع عند التلاقي .: ما جزاء من يحب إلا يحب
فأجابه الجنيد بقوله

و تمنيت أن أراك فلما رأيته .: غلبت دهشة السرور فلم أملك ألبكا
مات الشبلي رحمه الله سنة أربع و ثلاثين و ثلاثمائة ليلة الجمعة لليلتين بقيتا
من القعدة ببغداد و دفن بمقبرة الخيزران عن ثمانين سنة و الشبلي بكسر الشين و
سكون الباء كما في ابن خلكان نسبة إلى شبله قرية من قرى أسرو شلة بلدة عظيمة
وراء سمرقند من وراء النهر

فمرتین ابتاعوها غیر غالبية .: كيف يباع ثغر وهران بالبخس

ابتاعوها اشتروها و البخس النقص و بخسه يبخره بخسا إذا نقصه و في المثل
يحسبها حمقاء و هي باخس.

قال ثعلب و إن شئت قلت باخسة و البخس أيضا أرض تنبت بغير سقي و
البخس أيضا¹⁵³ الظلم و الأباخس الأصابع و تباخسوا تغابنوا.

أخبار لطيفة شريفة و نبذ طريفة: و هي أن رَيَّ فرانس و معناه ملك فرنسا
استصرخ النصارى و من جملتهم البابية خليفة المسيح بزعمهم و أطلق يده في أموال
الكنائس فأجابه ملك الأنكلتار و ملك سكُوستا و ملك توركا و ملك برشلونة و حشد
إلى تونس سنة ثمان و ستين و ستمائة فتوافدت أساطيلهم بقرطاجنة بعد أن ملئ
الساحل بالمرابطين و المطوعة زهاء أربعة آلاف و نزل النصارى بالساحل في زهاء ستة
الاف فارس و ثلاثين ألف رجالة و فيهم سبعة ملوك و معهم العلجة زوجة الطاغية
و تسمى الربية قاموا بقرطاجنة بعدما حصّوها باللوح و كانت ماثلة ستة أشهر و
أداروا خندقا على السور بعيد المهوى و تراحفوا للقتال منتصف المحرم أول سنة
تسع و ستين فمات من الفريقين خلق و هجموا على العسكر بعد العشاء و ترّامى
المسلمون عنده. غلب الكفرة المسلمين بعد أن قتل النصارى زهاء خمسمائة و ابتلى

¹⁵³ نسخة أ: سقطت هذه الفقرة

* ملك سكوستا و ملك توركا: أي ملك سكتلندا و ملك لكسنبورغ

المسلمون و ظنوا الظنون و همّ السلطان ممدوح حازم بالتحول من تونس إلى القيروان ثم أن الله أهلك ملكهم فأصبح ميتا بسهم أصابه فبايع الكفرة ابنه دمياط سمي بذلك لميلاده به وقت محاصرتهم عمالة مصر و كان أمر النصارى على عاداتهم الذميمة راجعا إلى العجلة فراسلت المستنصر أن يبدل لها ما خسروه في حركتهم فتولى عقد الصلح القاضي ابن زيتون لخمسة عشر عاما و صلح صاحب صقلية على جزيرته و أفلح الكفرة أول الشتاء فهلك الكثير منهم بالريح. يقال أنه أعطاهم عشرة أحمال من المال و ترك النصارى بقرطاجنة تسعين منجنيقا وبث الرسل في الأقطار بما وقع. غريبة: و لما بعث معد المعروف بالمعز جوهر على مصر بالعساكر فكان من جملة حملته ألف حمل من المال و أما الخرثى^{**} و غيرها من الآلات و مئونة العساكر لا يحصيها إلا الله تعالى و ذلك سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة و في آخر السنة، فتح مصر و أخذها من يد وزيرها و رئيسها العلامة ابن الفرات المعروف بابن خنزابة كان وزير بني الإخشيد ملوك مصر ثم توزر كافور الخصي مولاهم لما استقل بملك مصر و كان يملي الحديث و هو وزير و كان يقصده الأفاضل من البلدان. و لما مات كافور استقلّ بتدبير الملكة و قبض على كثير من أرباب الدولة و صَادَر يعقوب بن كلس فاخذ منه أربعة آلاف دينار و خمسمائة و قد قصده الحافظ الدار قطني المشهور من العراق، فلم يزل عنده حتى فرغ من أسانيد تأليفه و له تأليف في أسماء الرجال و الأنساب و غير ذلك. و لما مدح كافور هَجَاهُمَا المتنبي بقصيدته المقصورة و هي

و ماذا بمصر من المضحكات .: و لكنه ضحك كالبكاء

بها نبطي من أهل السواد .: يدرس أنساب أهل الفلاء

و أسود مُشْفَرَة نصفه .: يقول له أنت بدر الدجا

أراد بالنبطي أبو الفضل و الأسود كافور غلام الإخشيد و هذا القدر ما غض منه^{*} و مازالت الأشراف تهجى و تمدح. مات سنة إحدى و تسعين و ثلاثمائة و خنزابة هي أم أبيه و أورد ابن عساكر من شعره:

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها .: فليس ترمي سوى العالي من الشجر

و كان كثير الإحسان لأهل الحرمين و اشترى دارا قرب مسجد النبي صلى الله عليه و سلم، ليس بينها و بين الضريح النبوي سوى جدار واحد و أوصى أن يدفن

** الخرثى: الأثاث
* غَضُّ منه: أساء له

فيها و لما مات حمل تابوته إلى الحرمين و خرجت الإشراف للقائه وفاء له بما أحسن إليهم فحجوا به و طافوا ووقفوا ثم ردوه إلى المدينة فدفنوه بالدار المذكورة.

خَالَهَا الجو صرفا و اطمأنو بها . و قد تجلت للكفر جلوة العرس

الجو مرّ الكلام عليه و صرفا أي خالسا و حقيقته مأخوذ من الصريف و هو الفضة الخالصة التي لا يشوبها غشا و قال ابن مالك في الخلاصة. و الثاني كَبَانِي أنت حقا صرفا أي سكنت قلوبهم من أرجاف الخوف. قال ابن دريد:

كثلت ريعت لليث فانزوت . حتى إذا غاب اطمأنت إذا مضى .

الثلت بمثلثة و لام و تاء قطعة من الضأن أو معها المعز لا معز فقط. و التجلي هو الظهور، أي ظهرت للكفر و العرس يستوفي فيه الرجل و المرأة ما دام في أعراسهما و هم عرس و هن عرائس و حصن باليمن. و قولهم لا عطر بعد عروس مثل اول من قاله أسماء بنت عبد الله العذرية و كان اسم زوجها عروس و مات عنها فتزوجها رجل أعسر أبخر ذميم. انتهى. و الجلوة الظهور ضد الخلوة و مما ينخرط في هذا المظان و يرسم في هذا الموطن أن عبید الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي و لما مرض عاده الوزير فلما انصرف كتب إليه.

شكرت نعمة العلة عليّ إذ . . . كانت إلي رؤيتك مودية

فاني كالأعرابي الذي جزي يوم البين فقال

جزي الله يوم البين خيرا فانه . . . أرانا على امتناعها أم ثابت

أرانا رايبات الخدور و لم نكن . . . تُراهن إلا بانتعاث النواعث

و قال عقلمة بن عبيدة التميمي:

طحا بك قلب في الحسان طروب . . . بعيد الشباب عَصْر حان مشيب

يكلفني ليلي و قد شط و يلها . . . و عادت عواد بيننا و خطوب

ممنعة لا يستطاع كلامها . . . على بابها من أن تزار رقيب

إذا غاب عنها البعل لم تفش سرّه . . . و ترضى إياب البعل حين يتّوبُ

فلا تعدلي بيني و بين مُخمر . . . سقتك روايا المزن حيث تصوب

سقاك يمان ذو حبي و عارض . . . يروح به جنح العشى جنوب

لطيفة: روى أن عمر بن أبي ربيعة المخزومي و فد على الوليد بن عبد الملك بدمشق فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال الوليد لا سلمت و لا قربت. قال

عمر: و ما ذاك يا أمير المؤمنين قال له: ضاقت عنك العرب و قلت عنك نساؤها فتعمد إلى بنات عبد مناف تتشبيب بهن حيث تقول:

نظرت إليها بالمحصب من منى .: أشمسُ، أبدُرُ ثان أم أنت حالم
تراءى خلف السحب إمّا لنوفل .: أبوهم و إمّا عبد شمس و هاشم
فقال: يا أمير المؤمنين: إن كنت قلت هذا فقد قلت بعده

طلبن الهوى حتى إذا ما وَجَدْنَهُ .: صددن وهن المسلمات الكرائم
فسرّ الوليد و ضحك و أحسن جائزته وردّه لأهله مكرما و مثلها ما روى أن عبد
الله النمري الثقفي وفد على الحجاج فلما رآه قطب وجهه و نظر فيه شزرا و هم أن
يبطش به فقال النمري: ما هذا أيها الأمير: سألتك بالرحم و القرابة، قال الحجاج لا
قربك الله، فضحتنا، تعمد إلى أختي زينب و تتشبيب بها حيث تقول:

تضوع مسكا بطن النعمان إن مشت .: به زينب في نسوة خدرات
دعت نسوة شمّ العرانيين بدنا .: نواعم لا شعثا و لا غبرات
فلَمْ تَرَ عَيْنِي مثل سرب رايته .: خرجن من التنعيم مُعْتَمِرَات
قال النمري: إن كنت قلت هذا، فقد قلت بعده

يواربن أطراف البنان من التقى .: و يخرجن وسط الليل معتمرات
قال له الحجاج: أأنت أنت القائل:
فلما رأوني صرن يَسْدِلْنَ دونها .: ستر وراء من القسى و الحبرات
قال النمري: إني كنت قلت:

و لما رأت ركب النمري أعرضت .: و كن من أن يلقينه خدرات
فقال الحجاج: ما كفاك ان تراها بنفسك، فلقيتها بركب. فقال النمري إنمّا ركبي
رفيقي و حماري أعرج فضحك الحجاج و أجازته و لما أنشدت هذه القصيدة بين يدي
سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال على البديهة:

و ليست كأخرى واسع جيب ذرعها .: و أبدت بنان الكف للجمرات
و قامت تراه بين قوم فأفتنت .: برؤيتها من راح هو عرفات
يا له من ثغر أضحى أهله جزرا .: للنائبات و أمسى للعدا خيس

يا له من صيغ التعجب مع التحسر و أضحى صار و جزائر و جزر و جزرات
جمع جزر و هو القِطْع و ما يذبح من الشات و نحوها و اجزره أعطاه شاتا يذبحها

أو بَعِيرًا و الجزار أو الجزير كسكيت من ينحره. و الجزارة بالكسر و المجزر موضعه و الجزارة بالضم اليدان و الرجلان و العنق و لم يقال جزيرة البحر لقطعها من البرّ بالماء من سائر جهاتها كجزيرة مالطة و صقلية و نحوهما أو من غالب جهاتها كجزيرة العرب و جزيرة الأندلس و جزيرة قور ذات المدن الكبار بين دجلة و الفرات و النائبات نزول الأمر و الدواهي و المصائب. قال عنتره بن شداد العبسي:

إن لم أخلصهم من كل نائبة . . . فلا سلمت و لا أخطأني النوب

المفرد: نوب و الجمع نائبات و بالضم جبل من السودان بجنوب الصعيد و أرض واسعة بالسودان و منها سيدنا بلال رضي الله عنه و نوبة صحابية و بيت نوبي كطوبي بلدة بفلسطين و العدا جمع عدو و الخبس بالخاء المعجمة و الباء الموحدة و السين المهملة: الأخذ و الغنيمة. يقال خبست الشيء أخذته و غنمته و رجل خباس غنام و أخبسته أخذته مغالبة و أسد بن خبوس و الخباسة بالضم المغنم و في القاموس خبس الشيء بكفه أخذه و فلانا حقه ظلمه و غشه و الخبوس المظلوم و خباس كغراب فرس قبيح من جرب و اختبسه أخذه مغالبة و المختبس الأسد و مما يناسب هذا قول الحكماء: الدنيا كلها حزن و ما كان منها سرور فهو ربح و قول الحريري

يا خاطب الدنيا انها . . . شرك الردى و قرارة الأكدار

دار إذا ما اضحكت في يومها . . . أبكت غدا تبا لها من دار

و قول أبي محمد الحازن في مراثية

هي الدنيا تقول بملء فيها . . . حذار حذار من بطشي و فتكي.

لا يغرنك منها ابتسامي . . . فقولني مضحك و الفعل مبكي

و من أحسن الأشعار في مآل الأمور قول لبيد:

بلينا ما تبلى النجوم الطوالع . . . و تبقى الجبال بعدنا و المصانع

فلا تجزع ان فرق الدهر بيننا . . . فكل أمرئ يوما له الدهر فاجع

و ما الناس إلا كالديار و أهلها . . . بها يوما حلوها و تغدو بلا قع

و يمضون أرسلا و تخلف بعدهم . . . كما ضم إحدى الراحتين الأصابع

و ما المرء إلا كالشهاب و ضوئه . . . يصير رمادا بعد أن كان ساطع

و ماله الا ما أعدّه من التقى . . . و ما المال إلا عربان ودائع

أليس ورائي أن تراخت منيتي . . . لزوم عصا تحنى عليها الأصابع

أخبر أخبار القرون التي مضت . . . أدبٌ كأنني كلما قمت راع

فاصبحت مثل السيف أَخْلُو جفنه .: تقادم عهد الغين و النصل قاطع
 فلا تبعدن أن المنيّة موعد .: علينا فدان للطلوع و طالع
 أعاذل ما يدريك إلا تصيينا .: إذا رحل الفتیان من هو راجع
 أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى .: و أي كريم لم تصبه القوارع
 لعمرک ما تدري الضوارب بالحصى .: و لا زاجرات الطيرتاً لله صانع
 قال صاحب الأغاني فيا عجباً من حسن ألفاظه و صحة إنشاده و جودة اختياره
 و لما أنشدت بين يدي المعتصم بن هارون الرشيد العباسي بكى حتى سالت دموعه
 على لحيته. كان عثمان بن مضعون في جوار الوليد بن المغيرة ثم قال: و الله ما
 ينبغي لي أن أكون في جوار كافر و رسول الله صلى الله عليه و سلم خائف فجاء إلى
 الوليد فقال له تبرأ من جواري فقال له: لعلك رابك ريب و لكن أحب أن تفعل فتبرأ
 منه في أندية قريش و لبيد بن ربيعة العامري ينشد قوله:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل، قال له عثمان بن مضعون صدقت ثم قال لبيد
 و كل نعيم لا محالة زائل. قال له: كذبت لأن نعيم الجنة لا يزول فقام أي أبي
 بن خليفة، فلطم وجهه فقيل له: قد كنت في منعة من هذا فقال ما أحوج عيني هذه
 الصحيحة إلى أن يصيبها ما أصاب الأخرى في الله، ثم أسلم لبيد و حسن إسلامه و
 طلبه عمر لانشاد الشعر الذي قاله في مدة إسلامه فكتب سورة البقرة و أتى بها إليه:
 عوضني الله هذا به. فزاد في إعطائه خمس مائة دينار و عاش لبيد مائة و خمسة و
 أربعون سنة تسعون في الجاهلية و الباقي في الإسلام. و هو القائل
 و كل أناس سوف يدخل بينهم .: دويهيّة تصفر منها الأنامل
 و كل أمرئ يوماً سيعرف سعيه .: إذا حصلت له الحصائل

تنبيه: أفتى العبدوسي ببطلان الصلاة خلف إمام مقوس الظهر مستدلاً بقول لبيد
 المار: أليس ورأيي إن تراخت منيتي، البيتتين. و أفتى البرزلي بالكراهة. قال ابن
 غازي في "تكميل التقييد و حل التعقيد" قد نقل أن العبدوسي عضه الزمن بشيء من
 هذا و لقي بمكناسة شيخنا الأديب أبا زيد عبد الرحمن بن ثابت فنظر إليه و قد
 انحنى ظهره فقال له يستدعني منه بديهة: لا تنحي يا شيخ لا تنحي فأنشده
 ارتجالاً.

يا سليل الكرام نفسي فداك .: قلت لا تنحي و أنت كذلك
 حفظ الدهر فاعل الدهر عنا .: مع حال عدمت منها انفكاك

ختم الله للجميع بخير .: إنه قادر على فعل ذاك
وقد كان مرة دُعي لطعام و كان الخطيب ابن مرزوق حاضرا في ذلك الصنيع فلما
دنا من باب البيت قال ابن مرزوق لعبد الله العبدوسي :

تقدم لصدر البيت يا أيها الصدر، فقال بديهة
بل أنت الإمام و الإمام له صدر. رحمهم الله و نفعنا بهم. آمين.
وكل شارقة الإمام بارقة .: مأتمها عاد للعداء كالعرس.

شارقة جميلة مأخوذ من الشريق و هو الجمال و مشريق موضع القعود في الشمس
بالشتاء و باب للتوبة في السماء. و قد ورد حتى ما بقى إلا شرقة والشرقية محلة
بمصر و بغداد و بواسط و محلة ينيسا بُور منها أبو حامد محمد بن الحسن و شارقة
حصن بالأندلس و أشرق دخل في شرق الشمس والثوب في الصبغ بلغ و الإمام أصله
الجمع و ألم شعته قارب ما بين شتيت أموره. قال نصيب بزینب الهم قبل أن
يرحل الركب. وبارقة من برقت المرأة برقاً تحسنت وتزينت كبرقت والبرق فرس ابن
العرفة وواحد بروق السحاب أو ضرب من السحاب وتحريكه آياه لينساق والبراق
بلدة بخوارزم وجرجان "وبرق نحره" لقب رجل وذو البرقة علي رضي الله عنه لقبه
به العباس رضي الله عنه يوم حنين و البرقة الدهشة وبلدة قبالة واسط وجعفر بن
برقان محدث. والبراق مركوب الرسول صلى الله عنه وسلم، ليلة الاسراء وبلدة
بحلب "وبرق ديار العرب تنيف على مائة. انتهى. والمأتم الحزن وسببه أن شخصا
من العرب عمل صنيعا فاجتمع فيه الناس فمات وَلَدُهُ قبل اتمامه فقبل مأتم" وفي
توضيح الشيخ خليل علي ابن الحاجب بسكون الهمزة وبمثنات فوق الزبيدي هو
الجماعة من النساء والرجال في حزن وعند الجوهرى النساء يجتمعن في الخير والشر.

تنبيه: المأتم ليس الطعام الذي يعمل فيه الأطعمة الثمانية إن كانت عادة يجعل
الطعام فيه كما جرت بذلك في أرضنا، يجعل الطعام للنساء اللاتي يجتمعن في دار
الميت والحكم في هذا أنه من قبيل الصدقات والله أعلم أنظره وقد نظمت الولاثم
الثمانية فقلت:

أعذار مختان نفيعة قادم .: وخرس نفاس للبناء و كيدة.
مأدوبة دعوة وحذقة قرآن .: وليمة عرس للمولود العقيقة.

المأدوبة هي طعام يجعل ويدعى إليه الأصدقاء والجيران للمودة فقط وعلى مراد
من قال هي طعام الدعوة وهي بفتح الدال و قول تطرب بضمها غلطوه فيه وفي
القاموس وتُضَمُّ وقال بعضهم الدعوة بالفتح الرجل يناديك وبالكسرة الذي يدعى إلى

قوم وبالضم الدعاء إلى طعام ومثل الولائم قال الشيخ بهرام في الشامل يكره الإتيان لهذه الولائم ما عدا الوليمة فيجب والمأدوبة كغيرها وهو خلاف ما في المقدمات من نذب الإتيان للمأدوبة وإباحة ما عداه. إن المكروه ما يقصد به الفخر والخرس بضم الخاء وسكون الراء ولم أر من تكلم على طعام المآثم وهو الاجتماع لأجل حزن والعداء جمع عدو والعرس جمع عروس ورجال عرس بضمّتين وامرأة عروس ونساء عرائس والعرس بالكسرة زوجة الرجل ولبؤة الأسد.

تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم .°. شمس المعامل مع موضع الدرس.

الروم تقدم الكلام عليهم وقولي لا نالت الخ أي لا ثبتها الله لهم ولا أمكنهم من التمتع بها والنوال والنال والنائل في الأصل العطاء والنوال جمعه أنوال وبالضم جبل من السودان والنازلة ما حول الحرم وساحة مكة وأبال بالله حلف النوال. النصيب والكرم قال مروان بن أبي حفصة في مرثيته لمعن بن زيادة الشيباني:

ذهب الحياء بموت معن .°. وذهب النوال فلا نوالا

الشم الطويل والمعامل واحدها معقل وهو الحصن ويقال له أيضا صيصة والجمع صياصي. قال تعالى: " وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيتهم" ويقال أيضا لقرون البقر الصياصي والدرس واحده درس وتجمع المدرسة على مدارس. فميم المدرسة زائدة وتلحق الجمع هنا وأصل درس عفا ودرسته الريح لازم ومتعد والمرأة درسا حاضت والكتاب يدرسه ويدرسه درسا ودراسة قرأه وإدريس النبي صلى الله عليه وسلم، ليس من الدراسة كما توهمه كثيرون لأنه أعجمي واسمه خنوخ وللمدرس كمنبر الكتاب والمدارس المواضع يقرأ فيه القرآن ومنه مدارس اليهود و الدرواس، بالكسر عَلم كلب والمدرس الكثير الدرس واندريس، انطمس.

تنبيه: المدرسة المتعارفة عندنا الآن وهي التي تبني لدراسة العلم أي لتعليمه وتعلمه كالمدرسة البوعنانية بفاس ومدرسة إبنى الإمام بتلمسان والمدرسة المستنصرية والباشية بتونس والقشاشية في الجزائر والمحمدية بأمر عسكر نسبة إلى بانيها أبي الفتوحات المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان فاتح وهران والمؤلف في مسيرة فتحه لها هذا الكتاب ونحوها من المدارس لم تكن في أول الإسلام فضلا عن معرفة العرب لها بهذا الاسم وإنما كانت دراسة القرآن وسائر العلوم بالمساجد فقط، أو بمواضع لا يطلقون عليها اسم المدرسة حتى أن هذا الاسم يصرف لها وموضوع عليها وإنما كانت ابتداء بناء المدارس آخر القرن الرابع وأول من بني المدارس واقتدى الناس به في ذلك أبو علي الحسن بن علي ابن إسحاق الملقب بنظام الملك وقوام الدين. اللؤاكأتى

نسبته "لودكات" قرية قرب طوس وهو من أبناء الدهاقين اشتغل أول أمره بالحديث والفقه ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان ببلخه ثم قصد داوود بن مكيال بن سلجوق والد السلطان البارسلان فلما ظهر له منه النصح سلمه إلى وليه البارسلان وقال له: لا تخالفه فيما يشير به فلما ملك البارسلان دبر أمره فأحسن التدبير ثم دبر ملك ابنه ملكشاه لما تقلده بعد موت أبيه الأمر كله لنظام الملك وليس للسلطان إلا اللهو والصيد ودخل نظام الملك هذا على الإمام المقتدى بالله الخليفة فأذن له في الجلوس بين يديه فقيل له يا حسن رضي الله عنك برضى أمير المؤمنين عنك وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والصوفية وكان كثير الأنعام على الصوفية، فسئل عن سبب ذلك فقال: أتاني صوفي وأنا في خدمة بعض الأمراء فوعظني وقال اخدم من تتفقد خدمته ولا تخدم من يأكله الكلاب غدا. فما أعلم معنى قوله فَشَرَبَ ذلك الأمير وكانت له الكلاب كالسباع تفترس من القرباء في الليل فَغَلَبَهُ السكر فخرج وحده فلم تعرفه الكلاب فمزقته فعلمت أن الرجل كوشفَ بذلك. فأنا أخدم الصوفية لعلني أظفر بمثل ذلك وكان إذا سمع الآذان مسك عن جميع ما هو فيه وكان إذا قدم إليه إمام الحرمين والقشيري بالغ في إكرامهما وأجلسهما مجلسه وأول مدرسة بناها المدرسة المشهورة بالنظامية ببغداد وقدم للدرس بها العلامة الشيرازي فامتنع ثم صار يدرس بها وإذا حضرت الصلاة خرج وصلى في بعض المساجد وكان يقول: "بلغني أن أكثر آلها غصب" وكان هذا الوزير يسمع الحديث و يسمع عنه. مات رحمه الله سنة ثمان وأربعمائة بسجلة* قرية قرب نهاوند "فيها قبور جملة من الصحابة. يقال إن السلطان ملكشاه دس عليه من قتله لما سئم طول حياته واستكثر ما بيديه. لقد كان من حسنات الدهر ومن أعظم ولاة الأمر. ورثاه زوج ابنته: ابو الهيجاء مقاتل بن عطية البكري بقوله :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة . نفيصة صاغها الرحمن من شرف

فلما لم تعرف الأيام قيمتها . فردها غيرة منه إلى الصدف

و إنما أظننا فيه البيان لبديه بهذا الإحسان و موضع الدرس بوهران مساجدها مع ما كان فيها من المدارس التي درسها الكفرة و عفوا رسمها.

كانت حدائق الأحداق مونة . فأبدلت بنوعي الحفس والحدس.

الحدائق هي البساتين عليها حلق وحضائر وجدران وفي القاموس الحديقة الروضة ذات الشجر والجمع حدائق أو كلما أحاط به البناء أو القطعة من النخيل وبلدة من أعراض المدينة وحديقة الرحمن بستان شجر كان لمُسَيِّلَمَة الكذاب فلما قتل عندها

سميت حديقة الموت وكجهينة موضع لبني بربوع والحدقة محرقة سواد العين كالحدوقة والحديقة والجمع حدق وحادق وأحداق والحدق محرقة الباذنجان ومونقة معجبة والجفس بجيم وفاء وسين مهملة من جفس كفرج، اللثيم والحدس بدال مهملة وحاء وسين مهملتين أيضا الفساد. يقال دحست بين القوم أفسدت وقال الحجاج في مدح الخلفاء ويقتلون من خاض في الدحس والدحس إدخال اليد في الشاة للسلك و داحس اسم فرس قيس بن زهير العبسي كما مرّ والدحاس كرمان دويبة صفراء تشدها الصبيان في الفخاخ أي وهران كانت كأنها حدائق بساتين مختلفة الأطعمة والرياحين فابدلت من ذلك بالكفرة اللثام أهل الفساد والآثام وأي لوم أقبح من الكفر وأي فساد أشد منه في البر والبحر ولما وفد المأجشون على المهدي الخليفة بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال له ما قلت يا مأجشون لما فارقت المدينة، قال قلت

لله بالك على أوطانه جزعا .
 . قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا
 مازال والله ضيم الدهر يرهفني .
 . حتى تجرعني من بعدها جرعا
 فليضع الدهر في ما جاء مجتهدا .
 . فلا زيادة فوق شيء ما صنعا
 فأعطاه ألف دينار وقال بعضهم سمعنا مجنون في دير هرقل يقول:

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم .
 . وحملوها وسارت بالدبي الابل.
 وقبلت بحلل السحف ناظرهم .
 . ترخوا إلى ودمع العين ينهمل
 وودعت ببنان عقده عتم .
 . ناديت لا حملت رجلاك يا حمل
 يا حادي العيس عرج كي نودعهم .
 . يا حادي العيس في ترحالك الأجل
 إني على العهد لم انفض مودتهم .
 . ياليت شعري لطول العهد ما فعلوا
 وقال آخر:

لما علمت بان القوم قد رحلوا .
 . و راهب الدير بالناقوس مشتغل.
 شبكت شعري على رأسي وقلت له .
 . يا راهب الدير هل مرت بك الإبل
 فحن لي وبكى ورق لي ووجّا .
 . وقال لي يا فتى ضاقت بك الحيل
 إن الخيام التي قد جئت طلبها .
 . بالأمس كانوا هنا و اليوم قد رحلوا
محي محاسنها طاغ أتيح لها .
مُكتحل السهر لها مكثر الحوس

محاه يمحوه ويمحاه أذهب أثره وانمحي كادعي و امتحى قليلة والمحو السواد في القمر و الماحي النبي صلى الله عليه وسلم يمحو الله به الكفر والمحاسن جمع حسن

بالضم على غير قياس والحسن الجمال وأما حسن ككرم ونصر فجمعه حسان وحسانون وتاح له الشيء يتوح تهيأ وتحتم من مكانه تحرك والمتيح كمنير من تعرض فيما لا يعنيه أو يقع في البلايا والمتياح الكثير الحركة وأبو التياح يزيد الضيفي تابعي وطاغ من طغى يطغى طغوا أو طغيانا فهو طاغ وطاغوت وهو اللات والعزة والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب والجمع طواغيت وطواغ و الطاغوت كعب بن الأشرف وأمثاله وسهر كفرح لم ينم ليلاً ورجل ساهر وسهار وسهران والساهرة أرض لم توطى وأرض يجردها الله تعالى يوم القيامة وجبل بالقدس. قال الشاعر "بالسهر مكتحل بالليل مشتمل" والحوس طلب الشيء بالاستقصاء والتردد خلال الدور والبيوت بالغارات والطواف فيها كالجوسان والاجتياص والجواس ككتان الأسد وجواس بن قطبة شاعر وجوشية بلدة بالشام قرب حماة منها أبو عثمان الجوشي المحدث وقولي لها متعلق بمكثر أي مكثر التردد لها فلم يرض الطاغية بأخذه الأندلس بل تخطى لهذه العدو وأكثر الفساد والجوس.

قال أحمد النيسابوري صاحب الواحد المفسر:

تنفس شيب الصبح في ليل عارض .°. فقلت عساه يكتفي بعذار.

فلما فشأ عاتبته فأجابني .°. ألا هل ترى صبحا بغير نهار.

هنا تم الجزء الأول بحمد الله والصلاة على نبيه عليه الصلاة والسلام. أعلم أنا تكلمنا في هذا الجزء الأول على إنشاء وهران وما تداولتها من الدول وما داهمها من الأمور الطوام والنوائب العظام ومدة الكفرة وأهل الإسلام.

قائمة المصادر و المراجع:

1 - المصادر

- 1.1- أبوراس (محمد بن أحمد)
- عجائب الأسفار و لطائف الأخبار - مخطوط رقم 1633 - المكتبة الوطنية. الجزائر.
- الخبر المغرب عن الأمر المغرب و الحال بالأندلس و ثغور المغرب - مخطوط (ملكي)
- فتح الآله و منته في التحدث بفضل ربي ونعمته: تحقيق محمد بن عبد الكريم المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1990.
- 1.2- أحمد بن سحنون الراشدي:
- الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني - تحقيق المهدي البو عبدلي - مطبعة البعث: قسنطينة 1973
- 1.3- أحمد بن يوسف الزباني:
- دليل الحيران و أنيس السهران - تحقيق المهدي البو عبدلي الجزائر 1979
- 1.4- الحسين الورثلاني:
- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار - مخطوط رقم 579 مكتبة الوطنية- الجزائر.
- 1.5- مصطفى بن عبد الله الدحماوي
- الرحلة القمرية في السيرة المحمدية مخطوط رقم 3322 - المكتبة الوطنية - الجزائر.
- 1.6- مسلم بن عبد القادر
- أنيس الغريب و المسافرين في طرائف الحكايات و النوادر - تحقيق رابح بونار المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر 1974
- 1.7- عبد القادر المشرفي:
- بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبانيين بوهران من الإعراب كبني عامر - تحقيق محمد بن عبد الكريم - مكتبة الحياة - بيروت (د.ت)

2 - المراجع :

- 2.1- ابن سودة المري : عبد السلام
- دليل مؤرخي المغرب الأقصى - دار الفكر - الرباط 1997
- 2.2- سعد الله : أبو القاسم
- تاريخ الجزائر الثقافي - ج2 - الجزائر 1980
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر - ط2 - الجزائر 1981
- 2.3- سعيدوني (ناصر الدين)
- دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر - العهد العثماني - الجزائر 1972
- 2.4- غالم محمد
- التاريخ و المؤرخون في الجزائر- ضمن المجلة التاريخية المغربية عدد 91-92-
تونس 1998.
- 2.5- السبتي عبد الواحد
- مستويات النص التاريخي التقليدي: ضمن النهضة و التراكم - الدار
البيضاء-1986
- 2.6- كيريطو: عبد الفتاح
- الرحلة: تساؤلات منهجية: ضمن مجلة الجدل- عدد 6 الرباط 1987.
- 2.7- بلبروات بن عتو: د
- محمد الكبير و مشروعه الحضاري- رسالة ماجستير- دائرة التاريخ- وهران
2002
- 2.8- حمدادو: بن عمر
- أبوراس الناصر وكتاباتة التاريخية - رسالة ماجستير- كلية العلوم الإنسانية
و الحضارة الإسلامية- وهران 2003

1- Arnaud

« Voyages extraordinaires et nouvelles agréables » in revue Africaine - Alger
(1878 - 1884)

2- Guin (L).

Le Collier précieux - traduction d'El Todjini- in revue Africaine Alger - Année
1891.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

- 1- "أو لم يسيروا في الأرض من قبلهم. "سورة غافر الآية 21 ص51
- 2- "نحن نقص عليك أحسن القصص" سورة يوسف الآية 03 ص51
- 3- "إن هذا لهو القصص الحق" آل عمران الآية 93 ص51
- 4- منهم من قصصنا عليك و منهم مَن لَّمْ نقصص عليك" سورة غافر الآية 78... ص51
- 5- "لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الأحاباب" سورة يوسف الآية 111 ص51
- 6- " ومن ذريته داود و سليمان " إلى قوله "يونس ولوطا" سورة الأنعام
الآياتان 84 و 86 ص51
- 7- "إن الله أصطفى آدم و نوحا" إلى قوله " ذرية بعضها من بعض" سورة آل
عمران الآية 33 و 34 ص51
- 8- "و الذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله" سورة إبراهيم — الآية 09 ص54
- 9- "و عندهم التوراة فيها حكم الله" سورة المائدة الآية 43 ص55
- 10- "قل فاتوا بالتوراة فأتلوها إن كنتم صادقين" سورة آل عمران الآية 93..... ص55
- 11- "و من لم يحكم بما أنزل الله" سورة المائدة الآية 45 ص55
- 12- "ومريم ابنت عمران" سورة التحريم الآية 12 ص51
- 13- "و جرین بهم بريح طيبة و فرحوا بها، جاءتها ریح عاصف — سورة
يونس الآية 22 ص57
- 14- "ولسليمان الريح عاصفة" سورة الأنبياء الآية 81 ص57
- 15- "و كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف" سورة إبراهيم الآية 18..... ص57
- 16- "فلما حضروه قالوا أنصتوا" سورة الإحقاق الآية 29 ص60
- 17- "و أناسي كثيرا" سورة الفرقان الآية 49 ص60
- 18- "رب المشرقين" سورة الرحمن الآية 17 ص61
- 19- "ثم رددنا لكم الكرة عليهم" سورة الإسراء الآية 17 ص73
- 20- "العاقبة للمتقين" سورة القصص الآية 83 ص73

- 21- "و أو حيناً إلى موسى أن الق عصاك فإذا هي تلفق ما يا فكون" سورة الإعراف الآية 117 ص74
- 22- "وألبسنا عليهم ما يلبسون" سورة الأنعام الآية 09 ص77
- 23- "سيكفيهم الله و هو السميع العليم" سورة البقرة الآية 137 ص79
- 24- "قد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة" سورة المائدة الآية 73 ص81
- 25- "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير" سورة الحج الآية 39 ص87
- 26- "يا أيها الذين... يلونكم من الكفار" سورة التوبة الآية 123 ص87
- 27- "أهدنا الصراط المستقيم" سورة الفاتحة الآية: 06 ص121
- 28- "يجعل الرجس على الذين لا يعقلون" سورة يونس الآية 100 ص121
- 29- "و تلك حجتنا آتينها إبراهيم على قومه" سورة الأنعام الآية 83 ص121
- 30- "حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى" سورة البقرة الآية 238 ص136
- 31- "و من يسلم و جهه إلى لله تعالى و هو محسن، استمسك بالعروة الوثقى" سورة لقمان 22 ص136
- 32- "و إلى الله عاقبة الأمور" سورة لقمان الآية 22 ص136
- 33- "يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون" سورة الحج الآية 88 ص136
- 34- "الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي. لولا أن هدانا الله" سورة الإعراف الآية 43 ص136
- 35- "لقد جاءت رسل ربنا بالحق" سورة الإعراف الآية 43 ص136
- 36- "واسروا النجوى الذين ظلموا" سورة الأنبياء الآية 3 ص137
- 37- "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتكم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون: سورة الأنفال الآية 45 ص147
- 38- "وأطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم.." سورة الإنفال الآية 46 ص147
- 39- "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم" سورة البقرة 16 ص148

- 40- "إن لله و إن إليه راجعون" سورة البقرة الآية 156 ص149
- 41- " و آتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله " سورة البقرة الآية 281 ص157
- 42- " ثم توفي كل نفس بما كسبت و هم لا يظلمون " سورة آل عمران الآية 161 ص157
- 43- " إن الملأ يأتُمرون بك ليقتلوك " سورة القصص الآية 20 ص171
- 44- "إنا لا ندخلها أبدًا ما داموا فيها" سورة المائدة الآية 24 ص171
- 45- "وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم" سورة الأحزاب الآية 26 ص188

فهرس الأعلام

(أ)

- الأبّي : ص 60، 71، 144
- إبراهيم (باشا) ص 71، 145
- ابن الأبار: ص 82
- ابن حزم (على بن أحمد): ص 35، 51، 54، 97، 122.
- ابن إسحاق: ص 54
- ابن خلدون (ع): ص 20، 22، 26، 35، 37، 40، 53، 54، 61، 70، 72،
82، 89، 90، 91، 97، 98، 102، 114، 117، 121،
122، 153، 156، 162.
- ابن عبد البرّ (النمري): ص 51، 52، 54، 95، 98، 114
- ابن سيرين : ص 52، 56
- ابن سوريا: ص 55
- ابن كريون (يوسف): 53، 55
- أبوراس (محمد): 7، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 16، 17، 18، 19، 20، 21،
23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 33، 34، 35، 36، 37،
39، 43، 44، 46، 48، 50، 51، 56.
- ابن مالك (أبو عبد الله): ص 9، 15، 61، 137، 183
- الأخطل: ص 58، 141
- إدريس النبي: 54، 55
- الأصمعي: ص 81، 82، 52، 56
- الإصبهاني: ص 52
- إسماعيل (المولى): 21، 46، 148، 151، 152، 153، 154، 173
- الأوزاعي: ص 94

(ب)

- بابا (أحمد التمبكتي): ص 91، 21، 39، 52
- الباجي (أبو الوليد): ص 89، 133
- البخاري: ص 9، 12، 23، 54، 55، 56، 58، 97، 109، 137، 149، 178
- البرزلي: ص 71

- باديس (إبن بلكين): ص 156، 104، 99
- باديس (إبن المنصور): ص 89، 87
- بشار (إبن برد): ص 140
- البغدادى (خ): ص 52، 37
- البكرى (أبو عبد الله): ص 98، 40، 39
- البلاذري (أحمد بن يحيى): ص 63، 59
- البليدى: ص 63، 59
- بوشلاغم (مصطفى باي): ص 45، 47، 169، 170، 171، 179.

(ت)

- التازي (إبراهيم): ص 112، 39
- تاشفين (يوسف بن): ص 43، 66، 93، 96، 97، 99، 100، 101، 105، 109، 133، 137، 138، 156، 157، 160.

- تمام (أبو): ص 127، 79، 78
- تميم (أبو) الوهراني: ص 95
- التنسي (الحافظ): ص 149، 108، 93، 35
- التيجاني (أبو موسى): ص 125، 55، 44
- التوجيني (أبوزيد): ص 97، 94، 29

(ث)

- الثعلبي: ص 130، 68، 60
- الثعالبي (عبد الرحمن): ص 70
- ثلاثمئين: ص 66

(ج)

- الجامعي (عبد الرحمن) ص 124، 45، 39، 37، 35
- الجرجاني: ص 54، 51، 37
- جرير (الشاعر): ص 140، 128، 82، 76، 58
- جميل (بثينة): ص 172
- الجنيد (الصوفي): ص 181
- الجيلاني (عبد القادر): ص 150، 149، 19
- الجوزي (آبن): ص 94، 57

– جوهر الصقلي : 182،96،91،42

– الجوهري : ص 187،152،144،136،129،85،82،68،58

(ح)

– حازم (ممدوح) : ص 89

– الحجاج (آبن يوسف) : ص 190،184،150،122،121،81،74

– حجر (إبن) العسقلاني : ص 149

– الحريري : ص 189،79

– حسن باشا : ص 164

– الحسن البصري : ص 80،76

– حسان (إبن ثابت) : ص 146،126،59

– (أبو) الحسن المريني : ص 159،132،118،116،117

– الحق (عبد) المريني : ص 107،119،116

– حمود (أبو موسى) : ص 160، 158، 70

(خ)

– خزر (المغراوي) : ص 141،95،38

– خزر (إبن) محمد : ص 97،96،92،42،41،38

– الخفاجي : ص 149،140،128،81،62،60،55

– الخطيب (إبن) لسان الدين : ص 138،117،116،103،35،26

– خلكان (إبن) (عبد الغنى) : ص 181،110،88،39

– الخليل (إبن أحمد) : ص 156

– خير الدين (إبن الحسن) : ص 164، 163، 162، 161، 160، 124، 50، 49

(د)

– إدريس (الأكبر) : ص 109،108،90،85

– دريد (إبن) : ص 183،155،145،126،105

– دلامة (أبو) : ص 79،73،72

(ذ)

– الذهبي : ص 149، 52، 40

(ر)

– ربيعة (عمر بن) : ص 63، 183

– ابن رشد (أبو الوليد) : ص 107، 102، 100

– روماش (رو ميلوس) : ص 166، 122، 89

– الرماصي (مصطفى) : ص 129، 44

– رمضان باشا : ص 164

– الرقيق (إبن) : ص 115

(ز)

– زروق (الشيخ) : ص 116

– الزبير (عبد الله بن) : ص 180، 147، 90، 85، 73

– زقاق (إبن) : ص 94

– زكرياء (أبو) الحفصي : ص 158، 133، 102، 93، 82

– زيد (أبو) القيرواني : 88

– زيري (بلكين بن) ص 163، 156، 109، 105، 104، 99، 97، 95، 92، 91، 42

– زيري (إبن مناد) : ص 104، 42

– الزهري : ص 52

(س)

– سحنون (أحمد بن) : ص 25، 13

– إسحاق (إبن الحسن) : 163، 162، 160، 49

– السخاوي (محمد) : ص 165، 48، 35

– سعيد (إبن) الجزائري : ص 59

– السنوسي (علي بن دحو) : ص 15، 11

– السنوسي (محمد) : ص 81، 15

– السلماي (إبن الخطيب) : ص 52

– السموأل : ص 167، 147

– سيف الدولة (الأمين) : ص 83، 81

– السيوطي (جلال الدين) : ص 178، 113، 89، 37، 23

(ش)

- الشلبي (الصوفي): ص 181
- الشاذلي (أبو الحسن): ص 151
- الشريف (الغرناطي): ص 131
- شعبان الزناكي): ص 146، 145، 144، 46، 44
- الشريسي: ص 79، 58، 56
- الأشعث: ص 169، 114، 61، 60
- الأشعري (أبو الحسن): ص 19، 103، 107.
- الشيباني: ص 188، 167، 153، 130، 80، 75، 52
- الشيرازي (أبو إسحاق): ص 189، 111، 107

(ص)

- الصباغ (إبن): ص 163، 112، 36
- سعد (إبن) (التلمساني): ص 39، 36
- صرح (إبن): ص 90
- صلاح الدين (الأيوبي): ص 101

(ض)

(ط)

- الطبري (إبن جريس): ص 166، 154، 151، 120، 98، 54، 40، 37
- طلحة (إبن الزبير): ص 70، 68

(ظ)

(ع)

- عباد (إبن) المعتمد: ص 137، 100
- عبد الملك (بن مروان): : ص 58، 74، 85، 94، 116، 141، 178، 180

- عبد المؤمن (بن علي): ص 100، 101، 103، 104، 106، 110، 132، 157، 158، 160
- عبيد الله المهدي: ص 74، 109
- عرفة (إبن) محمد: ص 89، 112، 118، 162
- عروج (إبن الحسن): ص 49، 50، 160، 162، 163
- عقبة (إبن نافع): ص 84، 85، 108
- عنان (أبو) المريني: 79، 117، 119، 120، 159، 160
- عنتر (آبن شداد): ص 80، 124، 131، 147، 152، 185
- عياض (القاضي): ص 55، 60، 62، 100، 104
- عون (محمد بن): ص 41، 45، 96

(غ)

- الغبريني (أحمد): ص 71
- الغراب (أبو الحسن): ص 140، 141، 142، 154، 174
- الغزال (أحمد): ص 35، 38، 67، 134
- الغزالي (أبو حامد): ص 19، 59، 103، 111، 112
- الغازي (إبن): ص 96
- غانية (إبن) يحيى: ص 114، 163
- الغوني (صريع): ص 139

(ف)

- الفراس (أبو) الحمداني: ص 79
- الفخر رازي (فخر الدين): ص 60
- الفرج (أبو): ص 88
- الفرزدق: ص 76، 82، 126، 176

(ق)

- القاضي (أحمد بن): ص 49، 161
- قتيبة (إبن): ص 171
- قدار (محمد): ص 126
- القرافي (ولي الدين) ص 71، 105، 121
- قراقش الغزي: ص 101، 106، 107

- القزويني : ص 127
- القشيري (إبن) ص 189، 111، 107
- القيس (آمرؤ) : ص 176، 152، 78، 68

(ك)

- كثير (عزة) : ص 178، 172، 148، 58
- كسيلة : ص 88، 84
- كعب (إبن زهير) : ص 171، 81
- الكلبى (إبن) : ص 98، 97، 89، 40
- الكواش (صالح) : ص 134
- الكميت : ص 152

(ل)

- لبيد (إبن ربيعة) : ص 86، 85
- لكحل (إبن خلوف) : ص 93

(م)

- المتنبي (أبو الطيب) : ص 182، 83، 81
- محرز (الولى) : ص 88
- مرزوق (إبن) الخطيب : ص 87، 71، 25، 17
- محلى (أبو) : ص 69، 45، 18
- محمد بن عثمان (باي وهران) : ص 188، 165، 128، 87، 80، 76، 74، 67، 56، 53، 47، 38، 33
- محمد بكداش (داي) : ص 173، 170، 167، 166، 165، 47، 45
- محمد باشا : ص 164
- المرتضى (الزبيدي) ص 105، 45، 13
- المعتصم (بن هارون) ص 129، 77
- مسعود (إبن) : ص 60
- مشيس (عبد السلام) : ص 151
- المعرى (أبو العلاء) : ص 125
- مدين (أبو) الغوث : ص 151، 150، 118، 103
- المغراوي (محمد) : ص 94
- المغوفل (أبو عبد الله) : ص 161، 93، 16

- المسعودي (عبد الرحمن): ص 35، 40، 52
- المسيري (محمد): ص 89، 105
- المظماطي (سابق): ص 39، 53، 67، 97
- مالك بن أنس: ص 19، 54، 60، 89، 94، 110، 111، 112، 149، 173
- المقداد (ابن الأسود): ص 70، 97
- المقرئ (أحمد): ص 24، 35، 138
- منديل (عبد الرحمن) (ابن): ص 93
- المهاجر (أبو) دينار: ص 84، 85
- المهدي بن تومرت: ص 100، 103، 118، 150، 151
- المشرفي (عبد القادر): ص 12، 13، 14، 15، 179
- المغيلي (عبد الكريم): ص 161
- المازوني (موسى): ص 15، 35، 162
- مصطفى (بن المختار): ص 11، 15
- مسلم (بن عبد القادر): ص 10

(ن)

- الناصر (بن يعقوب): ص 101، 107
- نابغة (الذبياني): ص 125، 176
- النحوي (ابن): ص 98
- نواس (أبو): ص 59، 95، 125، 175
- نوح (سيدنا): ص 51، 54، 55، 64، 79، 144، 152

(هـ)

- هرمس (اليوناني) ص 59، 55
- الهواري (الإمام): ص 38، 39، 110، 112، 113

(و)

- الورثلاني (الحسين): ص 24، 25
- الوليد (ابن يزيد): ص 83
- و نزار (بن صقلاب): ص 41، 90، 91
- الونشريسي (أحمد): ص 159، 161
- الوهراني (أبو القاسم): ص 95

(ي)

- يدّ (بن يعلي): ص 97
- يحيى (بن محمد): ص 125، 94، 44
- يزيد (أبو) الخارجي: ص 74
- ياسين (ابن) عبد الله: 100، 66
- يعلى (بن على) الإفريقي: ص 157، 97، 96، 92، 91، 42، 41
- يغمراسن (الزياني): ص 162، 119، 108، 93، 71
- يعقوب (أبو) المنصور: ص 131، 116، 106، 101
- يوسف (ابن يعقوب) المريني: ص 159، 150، 117، 109
- يوسف (أحمد بن) (الولي): ص 112
- اليوسي (الحسن): ص 169، 81

فهرس القبائل والأماكن

(أ)

- أرزيو: ص 47 ، 126
إزداجة: ص 41 ، 42 ، 95 ، 96 ، 97.
الإستانة: ص 20 ، 48 ، 160 ، 165 ، 166
الإسكندرية: ص 17 ، 65 ، 89 ، 90 ، 98 ، 103 ، 105 ، 115 ، 132 ، 164
أشير: ص 98 ، 156
اصبهان: ص 52 ، 64
اغمات: ص 100 ، 137 ، 173 ،
افكان: ص 41 ، 42 ، 96
الأندلس: ص 21 ، 27 ، 37 ، 41 ، 42 ، 64 ، 65 ، 75 ، 85 ، 89 ، 90 ، 96 ، 97 ، 98 ، 99 ،
100 ، 111 ، 103 ، 104 ، 106 ، 107 ، 116 ، 118 ، 119 ، 121 ، 123 ، 132 ،
133 ، 134 ، 135 ، 136 ، 137 ، 138 ، 151 ، 157 ، 185 ، 187 ، 191
أنقاد: ص 70 ، 71
أوراس: ص 90 ، 114

(ب)

- البتري: ص 40 ، 97
البرانس: ص 39 ، 40 ، 84 ، 96 ، 97
بجاية: ص 70 ، 73 ، 101 ، 103 ، 104 ، 106 ، 118 ، 156 ، 157 ، 158 ، 159
برقة: ص 64 ، 90 ، 99 ، 114 ، 119
برشلونة: ص 123 ، 132 ، 181
بسكرة: ص 102 ، 106
البصرة: ص 150 ، 167
البطحاء: ص 42 ، 92 ، 124
بطليوس: ص 106 ، 131 ، 134 ، 173
بطيوة: ص 115
بغداد: ص 88 ، 100 ، 114 ، 119 ، 123 ، 129 ، 133 ، 150 ، 151 ، 175
بنغازي: ص 119
بنو إسرائيل: ص 40 ، 64 ، 65 ، 70 ، 12 ، 123
بنو بختي: ص 41

بنو باديس: ص 114

بنو راشد: ص 11، 69

بنو مزغنة: ص 99، 104، 187، 189

بنو يفرن: ص 40، 41، 43، 100، 109

(ت)

تاهرت: ص 41، 84، 96، 101، 114

تادلة: ص 103، 115

تارودانت: ص 100، 151

تامسنة: ص 99

تازة: ص 114، 115

تركمان: ص 52، 165

تسالة: ص 44، 130

تليالنت: ص 47

تلمسان: ص 9، 11، 15، 26، 41، 47، 49، 50، 71، 73، 93، 101، 103، 107،

108، 109، 110، 112، 115، 107، 118، 124، 123، 127، 132، 133، 134، 135، 136،

137، 138، 151، 150، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 169، 188.

تنس: ص 41، 109

توزر: ص 118

تيطري: ص 98، 104، 127

توجين: ص 93، 117، 134

تونس: ص 14، 17، 23، 71، 88، 93، 102، 106، 107، 109، 118، 134، 151،

157، 158، 159، 161، 162، 181، 182، 188

(ث)

الثعالبية ص 70

ثغلب: ص 58، 130، 167

(ج)

جانا (أولاد): ص 97

جبل راشد: ص 41، 93، 96

جربة: ص 62

الجريد: ص 101

الجزائر (المدينة): ص 15، 16، 21، 23، 26، 28، 38، 49، 50، 65، 70، 93، 95،
100، 101، 104، 109، 123، 124، 156، 158، 159، 160، 161، 163، 164، 188

الجزائر (القطر): ص 20، 21، 27، 43، 45، 48، 49، 98، 99، 145، 162
جلولة: ص 89

جنوة: ص 65، 118، 123، 131

(ح)

الحبشة: ص 66

الحجاز: ص 15، 17، 62، 75، 103

الأحلاف: ص 69، 70

حمزة: ص 98، 109

حميان: ص 44، 71، 124

حمود (بنو): ص 95

(خ)

خزر (بنو): ص 41، 91

خزرون (بنو): ص 41، 94

خراسان: ص 114، 165، 171

الخضراء (الجزيرة) ص: 92، 104، 134

خلوف (أولاد): ص 41، 93

(د)

دانية: ص 132

دراك (جبل): ص 115

درنة (جبال) ص: 84، 119، 173

دلس: ص 103، 108، 156، 157

دمشق: ص 119، 151، 176

دمياط: ص 89، 182

دهمان: ص 48

الديالم: ص 70

(ذ)

الذواودة: ص 118

(ر)

- الراشدية: ص 9، 12
راشد (بنو): ص 109، 112
ربيعة: ص 58، 130
أرجو: ص 131
رشقون: ص 109
رومة: ص 89، 121، 122، 166
الرومي (البحر): ص 66، 67
ريغة: ص 93

(ز)

- الزاب: ص 41، 84، 85، 93، 102، 117، 158
زrehon (جبل): ص 85
زروال (بنو): ص 93
زغبة: (بنو): 91، 153
رغاوة: ص 64
زناتة: ص 41، 84، 92، 96، 97، 98، 108
زيان (بنو): ص 50، 108، 110، 112، 124، 132، 161
زواوة: ص 15، 103، 109
زويلة: ص 64، 119

(س)

- سبتة: ص 38، 67، 92، 133، 149
سبيلة: ص 89
سجلماسة: ص 91، 92، 99، 102، 149
سرقوسة: (سرقسطة): ص 132، 137
سردينة: ص 66
السرسو: ص 84، 93، 96، 115
سطيف: ص 106
سلا: ص 118
سافي (أسفي): ص 151
السودان: ص 61، 99، 100، 119، 133، 185

سنجاس: ص 41 ، 93

سعيدة: ص 43

سوس: ص 100 ، 114 ، 148 ، 151

سوسة: ص 103

السويس: ص 61 ، 65 ، 66

سيرات: ص 44 ، 67 ، 124 ، 126

سيق: ص 47

(ش)

شافع (بنو): ص 44 ، 69 ، 124

شارقة: ص 187

شاطبة: ص 131 ، 132

الشام: ص 17 ، 40 ، 49 ، 62 ، 65 ، 119 ، 120 ، 150 ، 166 ، 180 ، 191 ،

اشبيلية: ص 104 ، 134 ، 137

الشبانات: ص 70

شقرة: ص 131 ، 132

شقران: ص 44

شلف (وادي): ص 41 ، 93 ، 102 ، 109 ، 165 ، 161

شريس: ص 75 ، 132

سيبان: ص 58

(ص)

صبيح (أولاد): ص 70

صفر: ص 64

صفاقس: ص 99 ، 103 ، 105

صفرو: ص 93 ، 100

صقلاب (بنو): ص 41

صنهاجة: ص 43 ، 97 ، 98 ، 99 ، 101 ، 102 ، 105 ، 115 ، 156

صقلية: ص 66 ، 89 ، 92 ، 123 ، 164 ، 185

(ض)

(ط)

الطاغية (نهر): ص 44، 125

الطائف: ص 69

طرابلس (ليبيا): ص 40، 64، 88، 90، 91، 92، 93، 101، 102، 103، 106،

107، 114، 115، 117، 118، 119، 102، 133، 153

طراة (جبل): ص 103

طرطوس: ص 65، 89

طريف: ص 65، 132، 134

طليطلة: ص 67، 134، 137، 138

(ظ)

(ع)

عامر (بنو): ص 44، 64، 69، 71، 115، 125، 146، 155، 179، 180

عبد الواد (بنو): ص 105، 119، 162

عثمان (آل): ص 47، 160، 166

عبو (بنو): ص 93

عجيسة: ص 41، 42، 96، 97

عدن: ص 65

العراق: ص 97، 114، 123، 150، 151، 153، 176، 180

عزونة: ص 115

عسقلان: ص 89

العطاف: ص 115

عين فرس: (ص 44)

(غ)

غانية (بنو): ص 101، 106

غرناطة: ص 116، 126، 132، 138، 151

غريس: ص 15، 22، 41، 44

غسان: ص 58

غمرة: ص 44، 45، 117، 164

(ف)

فاس: ص 23 ، 26 ، 41 ، 85 ، 88 ، 92 ، 93 ، 100 ، 104 ، 133 ، 134 ، 151 ،
161 ، 188
فارس: ص 65 ، 79 ، 80 ، 165
فرات (نهر): ص 48 ، 123 ، 165 ، 189
فرنسا: ص 121 ، 181
فروجة: ص 44 ، 125
فزان: ص 64 ، 120
فقيق: ص 117
فليتة: ص 70

(ق)

قابس: ص 101 ، 105 ، 115 ، 118 ، 120
القاهرة: ص 15 ، 16 ، 17 ، 21 ، 23 ، 67 ، 151
القدس: ص 64 ، 74 ، 118 ، 176 ، 191
قبرص: ص 66
قرطبة: ص 75 ، 92 ، 102 ، 106 ، 131 ، 135 ، 137
قريطش: ص 66 ، 123
قزول: ص 114
قسطنطينة: ص 21 ، 49 ، 121 ، 123 ، 129
القسطنطينية: ص 21 ، 94 ، 121 ، 123 ، 129
قشتالة: ص 117
قفصة: ص 106 ، 118
قلزوم (بحر): ص 61 ، 65
قلعة بني حماد: ص 104 ، 106 ، 165 ، 157
قلعة بني راشد: ص 38 ، 49 ، 111 ، 115 ، 162
القيروان: ص 84 ، 85 ، 88 ، 92 ، 99 ، 105 ، 156 ، 159 ، 182
قيزة: ص 44 ، 46 ، 24 ، 146

(ك)

الكاف: ص 89
كتامة: ص 98

كنزة: ص 97

كوثة: ص 64

الكوفة: ص 83 ، 150

(ل)

لحم (بيت): ص 64

لماية: ص 114 ، 115

لثونة: ص 66 ، 99 ، 101 ، 102 ، 103 ، 110 ، 115

(م)

مازونة: ص 9 ، 11 ، 12 ، 14 ، 15 ، 16 ، 47 ، 93 ، 101 ، 145 ، 161 ، 169

ماسة: ص 100

مادريل: (مادريد): ص 121

ماخوخ (بني): ص 67 ، 117 ، 165 ، 157

مالك (بنو): ص 69

مالقة: ص 132 ، 180

متيجة: ص 70 ، 101 ، 115

مجاجة: ص 10

مجاهر: ص 70

مخيس: ص 162

المحال: ص 167

المدية: ص 99 ، 104 ، 156

مديونة: ص 117

مراكش: ص 84 ، 93 ، 99 ، 100 ، 101 ، 104 ، 105 ، 106 ، 107 ، 109 ، 110 ،

111 ، 116 ، 118 ، 119 ، 120 ، 133 ، 137 ، 159 ، 173

مرسية: ص 131 ، 132 ، 137

مرين (بنو): ص 116 ، 117 ، 119 ، 159

مصر: ص 14 ، 17 ، 38 ، 49 ، 61 ، 70 ، 75 ، 89 ، 92 ، 97 ، 105 ، 109 ، 112 ،

121 ، 135 ، 150 ، 166 ، 181 ، 187

مضر: ص 58 ، 98 ، 124 ، 130 ، 131 ، 151 ، 153

المسيلة: ص 71 ، 92 ، 98 ، 104

- مصامدة: ص 99، 104، 156
مطماطة: ص 96، 111، 115
المربة: ص 131، 133، 137، 157
مطغرة: ص 180
مالطة: ص 115، 129، 185
المدينة (المنورة): ص 17، 91، 181
مستغانم: ص 117
مكة (المكرمة): ص 15، 17، 71، 108، 118
معسكر: ص 10، 11، 12، 14، 27، 43، 47، 75، 188
المعقل: ص 70-71
المغرب الأوسط: ص 20، 22، 26-36، 37-39، 41-43، 42-43، 91-97، 98، 100، 111، 156، 159، 162
المغرب الأقصى: ص 17، 20، 40، 41، 42، 46
مغراوة: ص 38-39، 40-41، 42-43، 89، 90، 91-92، 93، 99، 100، 102، 111، 114، 115، 156
مليانة: ص 41، 70، 99، 101، 104، 112، 162
ملاتة: ص 44، 67، 124
مكناسة: ص 114
منداس: ص 114
مسراتة: ص 111، 119
منديل (بنو): ص 41
المرسى الكبير: ص 43، 45، 68
المهدية: ص 99، 107

(ن)

- نابلس: (ص 55، 64
ناصره: ص 121
ندرومة: ص 70-108
نغزواة: ص 114
نفطة: ص 118

نفوسة: ص 90 ، 102

النوبة: ص 64 ، 120 ، 185

نيطش (بحر): ص 66

النيل: ص 61 ، 66 ، 67 ، 110

(هـ)

هبرة: ص 44 ، 126

هرغة: ص 103

هنائي (حنائي): ص 103

الهند: ص 65 ، 66 ، 100

هواره: ص 111 ، 112 ، 114

هيدرو (جبل): ص 145 ، 153

(و)

وانزرة: ص 44

واندود (بنو): ص 93—100

وجدة: ص 21 ، 70 ، 93

ودان: ص 120

ورسيفان: ص 41 (بنو)

ورنيد (بنو): ص 115

وريان (بنو): ص 93

وزدجين (بنو): ص 115

وطاس (بنو): ص 117 ، 119 ، 148

ونشريس (بنو): ص 170 ، 161

وهران: ص 15 ، 20 ، 27 ، 28 ، 29 ، 33 ، 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، 41 ، 42 ،

43 ، 45 ، 46 ، 47 ، 65 ، 66 ، 69 ، 70 ، 73 ، 74 ، 75 ، 83 ، 91 ،

95 ، 96 ، 97 ، 100 ، 108 ، 110 ، 113 ، 114 ، 115 ، 116 ، 118 ،

123 ، 124 ، 125 ، 127 ، 139 ، 144 ، 145 ، 151 ، 152 ، 153 ،

154 ، 155 ، 161 ، 162 ، 167 ، 170 ، 178 ، 180 ، 181 ، 188 ،

189 ، 191

فهرس الموضوعات

مدخل	ص 6-7
ألف: أبوراس الناصر: مسار عالم جزائري وإنتاجه الفكري	ص 8-29
– الراشدية ومازونة: في رحاب الثقافة المحلية.....	ص 10-13
– طفولة في حرمان	ص 10-12
– خصائص الثقافة المحلية	ص 12-13
– شيوخ أبي راس في المغرب والمشرق.....	ص 13-16
– أبوراس: الحافظ.....	ص 16-23
– الرحلة العلمية.....	ص 16-18
– المناظرات	ص 18-23
– أبوراس: مؤرخا:	ص 23-28
– إحياء علم التاريخ	ص 23-25
– مفهوم التاريخ.....	ص 25-28
– منهجه التاريخي	ص 28-29
باء: تقديم عجائب الأسفار ولطائف الأخبار	ص 32-49
– المضمون: المنهجية والمصادر	ص 33-36
– الموضوعات التاريخية	ص 36-49
– دفاعا عن التاريخ	ص 36-37
– وهران وعلمائها	ص 37-39
– إمارة مغراوة: بين المدّ والجزر.....	ص 39-43
– الاحتلال الإسباني: غارات، نهب وسلب	ص 43-45
– محاولات فتح وهران	ص 45-48
– الأتراك في الجزائر	ص 48-49
عجائب الأسفار ولطائف الأخبار	ص 50-191
❖ الفصل الأول: فائدة التاريخ: أدلة عقلية وعقلية	ص 51-57
– الرد على من ذمّ التاريخ	ص 51-53
– مكانة التاريخ في عصر أبي راس	ص 53-55
– أسباب تدوين العجائب	ص 55-57

- § الفصل الثاني: التهليل لفتح وهران ص 57-61
- الرياح وأنواعها ص 57-59
- الجواهر الروحانية ص 59
- جن في صورة ثعبان ص 59-60
- حكم السهو على أفعال الرسول: (صلع) ص 60
- نادرة ص 61
- § الفصل الثالث: بلاد المغرب: حدودها التاريخية ص 61-65
- حول اصطلاح المغرب ص 61
- حدود أرض الإسلام ص 62
- صورة المغرب في نظر المشاركة ص 62-63
- شئ من علم الفلك ص 63-64
- قبائل بني إسرائيل ص 64-65
- § الفصل الرابع: حزر بحر الروم ص 65
- سواحل بحر الروم ص 65
- جزر بحر الروم ص 65-66
- غربية ص 66-67
- وهران وأبراجها ص 67-69
- § الفصل الخامس: قبائل بني عامر وغيرها ص 69
- بطونها في الغرب الجزائري ص 69
- الأحلاف وبتونها ص 69-70
- الثعالبية والشيخ عبد الرحمن الثعالبي ص 70-71
- § الفصل السادس: الاحتلال الإسباني: زمن الغارات والخوف ص 71-77
- الغارات الإسبانية على المقاطعة الغربية وآثارها ص 71-72
- لطيفة: أبو جعفر المنصور وأبو دلامة ص 72-74
- مقاومة مستمرة للوجود الإسباني ص 74-75
- مدح الفاتح: محمد الكبير ص 75-77

* الفصل السابع: تحرير وهران يتم بالحرب ص 77

- فتح عمورية: نموذجاً ص 77-78
- فائدة: أسماء السيف ص 78-80
- كبار الفرسان في الإسلام ص 80-81
- استعداد الباي محمد الكبير للحرب ص 81-83
- لطيفة: من لم يمت بالسيف ص 83-84
- مقتل عقبة بن نافع وكسيلة وإسلام البربر ص 84-85
- جيش محمد الكبير ص 85-88
- * الفصل الثامن: الإمارة المغراوية بين المد والجزر ص 89-97
- الثغور في الإسلام ص 89-90
- فتوح المغرب وإسلام مغراوة ص 90-92
- تاريخ الإمارة المغراوية ص 92-94
- علماء مغراوة ص 92-94
- وهران في ظل الإمارة المغراوية ص 95-97

* الفصل التاسع: المرابطون و وهران ص 97-101

- قبائل صنهاجة وبطونها ص 97-99
- الدولة المرابطية: لثونة، توسعاتها في المغرب والأندلس ... ص 99-100
- مقتل الأمير تاشفين بن علي بوهران ص 100-101
- * الفصل العاشر: الموحدون و وهران ص 101-108
- بنو غانية والموحدون ص 101-102
- عبد المؤمن يوحد المغرب ص 103-106
- فتح الأندلس على يد أبي يعقوب ص 106
- الأمير الناصر ووقعة العقاب ص 106-108

* الفصل الحادي عشر: الزيانيون و وهران ص 108-115

- بنو زيان: أصلهم وبطونهم وبيعة يغمراسن ص 108-109
- أمراء بني زيان ص 110
- الإمام الهواري ص 110-112
- الإمام إبراهيم التازي ص 112-115

- * الفصل الثاني عشر: المرينيون ووهران ص 116-120
- تشييد البرج الأحمر وبرج المرسى ص 116-118
- سقوط الإمارة المرينية ص 119
- طرابلس الغرب: من الفتح إلى عهد المرينيين ص 120
- * الفصل الثالث عشر: الاحتلال الإسباني لوهران ص 120-155
- أنساب الروم والإفرنج والإسبان ص 120-122
- الاحتلال الإسباني وآثاره ص 123-132
- الإسبان يستولون على الأندلس ص 131-133
- بيعة المنتصر الحفصي بالخلافة ص 133-134
- سقوط المدن الإسبانية في أيدي الإسبان ص 134-137
- ملوك الطوائف ص 137-144
- الباي شعبان يحاصر وهران ص 144-148
- حصار المولى إسماعيل لوهران ص 148-155
- * الفصل الرابع عشر: الأتراك في الجزائر ص 156-191
- الجزائر العاصمة في عهد الحماديين والموحدين ص 156-158
- الجزائر في ظل الزيانيين ص 158-160
- خير الدين بالجزائر ص 160-163
- الحملات الأوروبية على الجزائر ص 163-165
- تاريخ السلطنة العثمانية ص 165-166
- تحرير وهران على يد مصطفى باي سنة 1708 ص 166-179
- استعادة الإسبان لوهران سنة 1732 ص 179-188
- تغيير معالم وهران الإسلامية ومحوها ص 188-191

قائمة المصادر والمراجع

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأعلام
- فهرس القبائل والأماكن
- فهرس الموضوعات